

تاريخ الحضارة

تأليف

المسيو شارل سنيو بوس
أحد أساتذة كلية السوربون في باريس



لغريب
محمد كرد علي
مفتي القس

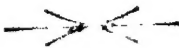
إدارة مطبعة النجاشي بالقاهرة

تاريخ الحضارة

تأليف

المسيو شارل ساموبوس
أحد أستاذة كلمة السوربون في باريس

٥١	من برنت
٥٨	برنت
٤٦	سيدر
١١٠	...



عرب
محمد كرد علي
مفتي - المقتاس

ادارة مطبعة الطاهر بالقاهرة

جملة للمعرب

بسم الله وبه نقي

هذا هو الجزء الاول من اربع الحصارة لمؤلفه العلامة المسمى مارل سيونوس احد
اسادة كلية الدورون مارير شرح فيه الحصارة التي اُرت ع كل امة من الامم ومد
عرف التاريخ الى يومنا هذا . وفي هذا الجزء كلام موحى على الشعوب الشرقية القديمة
كالمصريين والفيثقيين والابليين والاشوريين والبرس واليهود وكلام مطول على مدييه
اليونان والرومان صحح المؤلف مئات من الكتب حتى كتب كتابه ثانيا ردة البرنده
وتوحي الايجار والسهولة في معظم مصنفه وانع في حسن تسيقه وتجويد اسوده فرأيت
ان انقله من الامرسية الى العربية ليعم نفعه اوسعها وتي في هذا الترق كجتي في العرب
والله اسأل ان ينفع به ومن بالموفيق التعريب احريين الآخرين من الكتاب وهم في اهداه
القاهرة في ٢٥ شعبان سنة ١٣٢٦ او ٣ شوال سنة ١٣٠٩

البشر والشعوب

علم خصوصيات الشعوب — يعمر الارض ناس قلما يتشابهون ،
يختلفون بالطول وهيئة الاعضاء والرأس وسياء الوجه ولون العيون والشعور
ويتباينون باللغات والذكاء والاحساس . وبهذا النمايز ينقسم سكان المعمور
الى عدة أقوام تدعى أجناساً . فالجنس مجموع ناس يتماثلون ويباينون جنساً
آخر وما يمتاز به جنس عن غيره من العلامات العامة ويسمى طبائع وأخلاقاً
هو الذي يتألف منه مجموع خواصه . فيعرف الجنس الزنجي مثلاً بجلد
أسود، وشعور مجعدة، واسنان بيضاء، وأنف أفطس، وشفاه خدس، وفك
ضخم . ويدعى درس احوال الاجناس وما يتشعب عنها « ايتنوغرافيا »
أي علم خصوصيات الشعوب . وهو علم لم يرتق بعد لحداثة وضعه وما برح
مشوشاً منتشراً لكثرة مجموع خواص البشر وصعوبة التمييز بينها احياناً .

الاجناس — أخص الاجناس الجنس الابيض وهو يسكن أوروبا وشمال إفريقيا
وغربي آسيا . والجنس الاصفر ينزل في آسيا الشرقية ومنه الصينيون والمغول
والبرك والمجر . ومن دخل أوروبا منهم من الفاتحين فبشرته صفراء وعيونه
خرز مقطبة ووجنانه نائثة ولحينه خفيفة . والجنس الاسود يقطن أواسط
إفريقية وهم الممتازون بأديم اسود وأنف أفطس ووفرة كالصوف . والجنس
الاحمر يستوطن أميركا ومنهم هنود تلك القارة حمر الأديم سبط الشعور

الشعوب المتحضرة — يُعدُّ أهل الجنس الابيض من المتحضرين
الا قليلاً أما سائر الاجناس فقد ظلوا على حاله الهمجية والبربرية كما كان الناس
قبل زمن التاريخ . فامت الشعوب المتمدنة على تخوم قارتي آسيا وإفريقية فقام

المصريون في وادي النيل والكلدان في سهل الفرات . وكلهم أهل فلح وحرث أنموا الإقامة وجنحوا للسلم . أديعهم . شبع ، وشعرهم قصير أثيث ، وشفاههم مبرطمة ، ولا يعلم على التحقيق من أين منبعثهم . ولم تتفق آراء العلماء على تسميتهم فيدعوهم تارة كوشيين وأخرى ساميين . وقد انسلت من جبال آسيا بين القرن العشرين والخامس والعشرين ق . م عصابات من الرعاة أهل غارة وزعماء فنة فانشروا في أطراف أوروبا كافة وفي غرب آسيا . ويقسمهم العلماء الى قسمين آريين وساميين .

الآريون والساميون - ليس بين هذين الجنسيتين من علامة خارجية جليلة فكلاهما من الجنس الأبيض : اهليجية سحناتهم ، متناسبة أعضاؤهم ، صافية جلودهم ، أنينة شعورهم ، أنجل عيونهم ، رقيقة شفاههم ، منتصبه أرنبتهم ، وهم في الاصل رعاة من سكان الجبال يألفون الارتحال والقتال . ساميهم من أرمينية ، وآريهم من وراء جبال حملايا ، وهم يمتازون بالعقل واللسان خاصة امتيازهم بالديانة قديماً . وقد وقع الاتفاق على تسمية الشعوب التي تتكلم لغة آرية بالآريين وهم الهنود والدرس في آسيا . والروم والطيان والاسبان والجرمان والسكنداونون والسلافون (الروس والبولونيون والصرب) والسلت (١) في أوروبا . والساميون هم الشعوب التي تتكلم لغة سامية وهم العرب واليهود والسوربون ومما ينبغي ان يعلم ان بعض الشعوب تتكلم اية آرية او سامية وليست من الآريين والساميين في شيء كما ان الزنجي قد يتكلم الانكليزية وليس فيه عرق من الانكليز . وربما عدنا كثيراً من الاوريين في مصاف الآريين وليست اصولهم في الواقع الامن

جنس غلب عليه الآريون فاقبس لغاتهم على نحو ما اقتبس الفرس لغة العرب أيام غلبوهم على أمرهم فهذا الاسم الآري والسامي يطلنان اليوم على فريقين من الشعوب وإيسا جنسين حقبين . ولا بأس أن يقال بناء على هذا المعنى أن الشعوب المرنقية كانت كلها سامية وآرية فنشأ من الساميين الفينيقيون رجال البحار واليهود رجال الدين والعرب رجال الحرب . فسار فريق من الآريين إلى الهند وانصرف آخر إلى أوربا فنشأت منهم تلك الأمم التي كانت ولا تزال في مقدمة العالم . واقتدأمتاز الهنود في القديم بآرائهم العالية الفلسفية أو الدينية واليونان بإيجاد الصنائع والعلم والفرس والرومان بتأسيسهم في الشرق والغرب مملكتين عظيمتين من أضخم الممالك التي نشأت في الأيام الحالية

ويبدأ تاريخ الحضارة بالمصريين والكلدانيين حتى إذا كان القرن الخامس والعشرون للميلاد يصير عبارة عن تاريخ الشعوب الآرية والسامية
التاريخ

الأساطير — نقلت أساطير الإواين عن روايات متسلسلة ظالماتحدث الناس بها قبل أن يدونوها لذلك تراها مشوبة بحكايات وخرافات . فتحدث اليونان أن أقدم أبطالهم أبادوا الغيلان وفالموا الجبابرة وكافحوا الآلهة وزعم الرومان أن روماس ربه ذئبة ورفع إلى السماء وقص جماع الشعوب عن طفوليتهم أساطير من هذا القبيل لا ثقة بها عند التمهيعص مهم أقدم عهدها التاريخ — يبدأ التاريخ حقيقة لدن وجود أخبار صحيحة دونها أهل ثقة وعلمو سماع . وليس هذا الدور واحداً في الكلام على الأمم كلها فتاريخ مصر يبدأ قبل ثلاثة آلاف سنة ق . م وتاريخ اليونان يكاد لا يتعدى

الثمانمائة سنة ق . م وليس لالمانيا تاريخ يعرف الا في القرن الاول
للميلاد ويعرف تاريخ روسيا منذ القرن الماشر وليس لبعض القبائل المتوحشة
الى اليوم تاريخ في نشأتها

تقسيم التاريخ الكبيرة — يبدأ تاريخ الحضارة باقدم شعب متمدن
وينتهي بايامنا فمعنى القرون الماضية الدور العريق في القدم جداً ومعنى القرون
الحديثة الدور الذي نحن فيه

التاريخ القديم — يبدأ التاريخ القديم بالامم القديمة المعروفة من
المصريين والكلدانيين أي من نحو ثلاثة آلاف سنة ق . م ويم شعوب
الشرق من هنود وفرس وفينيقيين ويهود ويونان ورومان وينتهي حوالى
القرن الخامس ب . م بسقوط المملكة الرومانية

التاريخ الحديث — يبدأ التاريخ الحديث باواخر القرن الخامس عشر
زمان اختراع الطباعة واكتشاف اميركا وبلاد الهندونضة العلوم والصنائع
ويلم بذكر شعوب الغرب خاصة من اسبان وطليان وفرنسيس والمان
وروس وأميركان .

القرون الوسطى — هي عبارة عن عشرة قرون مضت بين القرون
القديمة والحديثة الا هي قديمة لما اعتور الحضارة القديمة من الاضمحلال ولا
هي حديثة لان التمدن الحديث لم يتكون بعد . وهذا ما يدعى بالجيل المتوسط .
مصادر تاريخ الحضارة القديمة — ليس في الوجود اليوم اشوريون ولا
يونان ولا رومان فقد بادت الشعوب القديمة كافة وما خلوه من العاديات
هي فهرست نستفتيه للبحث عن اديانهم وأخلاقهم وصنائعهم . والعاديات
هي الكتب والرسوم والآثار واللغات . هذه عدتنا في دراسة الحضارة

القديمة وهي تدعى مصادر لانا نستقي منها معلوماتنا . والتاريخ القديم يتفرع من هذه الاصول .

الكتب — وضع القدماء الكتب أيام عرفوا الكتابة فكان لبعضهم مثل الفرس واليهود والهنود كتب مقدسة وخلف الرومان واليونان تواريخ وقصائد وخطباً ومقالات فلسفية . وقلما نجد في الكتب المواد اللازمة لمباحثنا اذ ليس لدينا كتاب اشوري ولا فينيقي أما ما بقي من أسفار الشعوب الأخرى فتافه جداً . واقد كان القدماء يكتبون ولكن أقل منا ولذلك كانت نأليفهم اندر ولم يكن لهم من كل مصنف إلا نسخ قليلة لما ان الحال كانت تقضي باستنساخها كلها باليد وقد دثر غالب هذه النسخ أوضاع أو تعذرت قراءة ما بقي منه ويسمى علم حلها «پاليوغرافيا» أي علم الخطوط والكتابات القديمة .

المعاهد — أقامت الشعوب القديمة لانفسها معاهد مثلنا من مثل معابد لارباهما وقصور الموكها وقبور لموتاهما وقلاع وجسور وقنوات وأقواس نصر . ولقد تهدم كثير من هذه المعاهد واستؤصل وتجزأ بيد العدو أو بيد سكان البلاد ومنها ما لم تقو الغير على تقويض دعائمه وما فتئت ماثلة للعيان متداعية مثل القصور العتيقة لانتطاع الايدي عن تعهدها . وقد بقيت بقية يعلم منها ما كانت عليه سالفاً . وما زال بعض هذه المعاهد فوق التراب كألاهram في مصر ومعابد ثيبة وجزيرة فيلا وقصور البرسبوليس في فارس والبارتينون في اليونان والكوليزة في رومية والبيت المربع وجسر الحرس في فرنسا . وان السائح ليمدنا لينظر الى هذه الآثار نظره لاثر حديث . وقد ردم أغلب هذه المعاهد على التدرج بتراب أو رمل أو فتات أرضية وانقاض فينبغي

تخليصها من هذا الساف الكثيف أو حفر أرضها وكثيراً ما تكون عميقة للغاية . ولم يعثر على القصور الاشورية الا بخرق آكام وتلال . وقد حفرت حفرة عمقها اثنا عشر متراً للوصول الى قبور ملوك ميسينا

وبعد فان عفاء هذه الخرائب لم يكن بصنع الدهر وحده فللبشر اليد الطولى في ذلك . ولم يكن القدماء ليتعبون مثلنا في التقدير والقياس لاقامة البناء . وما عنوا بنزع الردم من أماكنه بل كانوا يركون الانقاض ويبنّون عليها ولا ينزعونها حتى اذا أشرف البناء الجديد على السقوط تنضم انقاضه الى اطلال اخواتها القديمة وهكذا تتألف طبقات عديدة من الانقاض . وقد جاز أحد السياح المدعو شيلمان بحفرة في مكان مدينة تروادة خمس طبقات من الاطلال اذ كان ثمت خمس مدن خربة كلها واعنتها على عمق خمسة عشر متراً . وما برحوا يعثرون في رومية في الاحابن على ثلاث بنايات منضدة بعضها فوق بعض وقد تراكت عليها الاطلال فعلا التراب في سفع النلال بضعة أمتار

بقيت مدينة بومتها لم تمسها طوارف الحدثان وذلك بحادث طبيعي جرى عام ٧٩ للمسيح وهو ان بركان فيزوف في ايطاليا قذف سيلاً من الحمم مائة أمطرت رماداً فانكشفت لالحال مدينتان رومانيان كانتا مدفونتين وهما هيركولانوم وپومبيه . كانت الاولى تحت الحمم السائلة والثانية تحت الرماد . وقد أحرقت الحمم المتاع وغشاها الرماد وحفظها من الهواء فبقيت سالمة . وكلما أزيح الرماد تظاهر مدينة پومبيه للاعين على نحو ما كانت عليه منذ ثمانية عشر قرناً . وانك لتري في بلاطها بعد مجرات العجلات وآثار سير المركبات وصوراً خطت بالزعم في الحيطان ونقشاً واثناً وماعوناً

وخبزاً وجوزاً وزيتوناً في الدور والمساكن وهياكل عظام من دهنتهم السكارثة
مبعثرة مبددة . وبهذا عرف القاري أن الآثار والمعاهد تفيدنا كثيراً
في الوقوف على حالة الشعوب القديمة . ويدعى علم الأثر القديمة «أركيولوجيا»
الرسوم — نعني بالرسوم كل ما يشمل الخطوط عدا الكتب فمعظم
الرسوم زبرت على الحجر وحفر بعضها في صنائع من القلتر ووجد منها في
مدينة بومبيه مازبر على الجدران بالأصباغ أو بالذهب . وإن بعض هذه
الرسوم لتمثل تذكارات وفائع أو رجال كما هو جار الآن عند الأفرنج فيما
يقيمونه من تماثيلهم وبنائاتهم . هكذا نرى الامبراطور اغسطس دوّن
حياته على معبد انسير ومعظم هذه الرسوم عبارة عن كتابات زبرت على
القبور ويمثل بعضها الاعلانات لمهدنا فتحتوي على قانون أو نظام تراد
إداعته بين القوم . ويدعى علم الرسوم «إيكرافيا»

اللغات — تفيد اللغات التي نطقت بها الشعوب القديمة في بيان تاريخهم
فاذا فهم الباحث كلمات من لغتين مختلفتين ينجلي له أحياناً أن أصل هذين
اللسانين واحد ويسجل بأن الشعوب التي تتكلم بها خرجت من نبتة واحدة .
ويدعى علم اللغات «لينكستيك»

النواقص — لا يذهبن ذاهب الى ان الكتب والمعاهد والاطلال
واللغات تكفي للاحاطة بتاريخ القرون السالفة فان فيها تفاصيل جمة يمكن
الاستغناء عنها وما ترغب نفوس الباحثين في استبطان حقيقته قد يعز عليها
ويفر منها . وما برح العلماء يحفرون ويحلون ويظفرون كل يوم باطلال
ومعاهد لم تعرف من قبل وقد بقيت مع هذا نواقص وسيبقى كذلك
أبد الدهر

مصر

بلادها - مصر عبارة عن وادي النيل وهي في مضطرب ضيق خصب ممتد على ضفتي النهر بين سلسلتين من الصخور طولها ٢٤٠ فرسخاً ويكاد عرضها لا يتجاوز خمسة فراسخ وعند منقطع الصخور تبدأ الدلتا . وهناك سهل واسع تتخلله شعب النيل وترعه . فمصر كما قال هيردوتس أبو التاريخ هبة من النيل .

النيل - يزخر النيل كل سنة في الانقلاب الصيفي بعصارات ثلوج بلاد الحبشة فيفيض على أراضي مصر العطشى يرتفع ثمانية أمتار وأحياناً عشرة فتصبح البلاد كالبحيرة وتبرز القرى المشيدة على الآكام كأنها جزيرات ثم تنخفض المياه في أيلول (سبتمبر) ويعود النهر في كانون الأول (ديسمبر) إلى مجراه الأصلي وقد ترك في كل مكان طبقة من الطين خصبة وهي الاء بلز وتسمى الطمي . هذه الرواسب تقوم مقام السماد ويكاد يزرع في التربة الدية بدون حرث . فالنيل إذا يأتي مصر بالماء والتربة وإذا تحول عنها تعود مصر كالبلاد المحيطة بها قاعاً صفصفاً، ورمالاً مجدبة، ما امطرتها السماء وابلا ولا رذاذاً . ولم يجهل المصريون فيما مضى ما يجود به نيلهم من الخيرات الحسان وهاك نشيداً كانوا ينشدونه تظيماً له : « سلام عليك أيها النيل أنت الذي تتجلى على هذه الأرض وتأتي بسلام فتحي موت مصر . أنت إذا انجلت تملأ الأرض طرباً ، والقلوب بشراً ، فينال كل مخلوق قوته ، وكل سن ما تقضمه ، رحمتك انك تأتي بالارزاق الطيبة وتنتج كل خير ومير وتنبث للبهائم مرعاها

غنى هذه البلاد - مصر على التحقيق واحة في قفر إفريقية تثبت تربتها البر والفول والعدس وأنواع البقل . والنخيل فيها عابيات وآجام . وفي تلك المروج التي يرويها النيل بمائه ترعى قطعان الغنم والثيران والعنز والاوز وتكاد مساحتها تساوي بلاد البلجيك (٢٩٤٠٠ كيلو متر مربع) ومصر اليوم تقوم بأود ١١ مليوناً (١) من السكان وهي نسبة لا تعهد في أوربا على ان مصر كانت آهلة بالسكان قديماً أكثر منها اليوم روايات هيرودتس - عرف اليونان مصر أحسن من معرفتهم سائر الممالك الشرقية فزارها هيرودتس أبو التاريخ في القرن الخامس ق . م ووصف في تاريخه فيضان النيل واخلاق السكان وازياءهم ودينهم وذكر حوادث من تاريخهم وحكايات لقنها من أدلائه . ونكلم ديودور وسترابون على مصر أيضاً . بيد ان كل من ذكروها رأوها في انحطاط فلم يتيسر لهم ان يعرفوا شيئاً عن قدماء المصريين .

شامبليون - دعت حملة الفرنسييس على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) الى فتح أبواب الديار المصرية للعلماء فهرعوا اليها يزورون الاهرام وخرائب ثيبة عن أمم ويعودون منها وقد حزل وطابهم بالصور والآثار . ولم يكن لاحد ان يحل الخط المصري المسمى بالهيوغلبي . وتوهم الناس ان كل خط من هذه الكتابة يقوم مقام كلمة حتى اذا كان عام ١٨٢١ خالفهم شامبليون احد علماء الفرنسييس وعهد الى طريقة أخرى وجاء أحد الضباط من رشيد بأثر ذي خطوط ثلاثة كانت الخطوط الهيروغليفية المسطورة بها مترجمة الى الرومية . وهذا الاثر يمثل الملك بطليموس محاطاً بدائرة . فتوصل

(١) في الاصل زهاء خمسة ملايين نسمة ونصف مليون

شامبوليون بهذا الاسم الى الاطلاع على حروف PTOLMIS ولدى مقابلتها باسماء ملوك آخر وكانت ايضا محاطة بدائرة اكتشف حروف الهجاء . ولما تيسرت له قراءة الخطوط الهيروغليفية ظهر له انها كتبت بلغة تشبه القبطية وهي اللغة التي شاعت بمصر على عهد الرومان وعرفت حق معرفتها .

علماء الآثار المصرية - جاء بعد شامبوليون زمرة من العلماء توفروا على دراسة أحوال مصر واكتشاف جايها وخفيها وتدعى هذه الفئة من العلماء اجبتولوك أي المشتغلون بالآثار المصرية ولهم رصفاء في ممالك أوروبا كافة . وقد أجرى ماريت (١٨٢١ - ١٨٨١) من المشتغلين بالآثار المصرية على نفقة خديوي مصر . ما يقتضي من الحفريات وأحدث متحف بولاق . وانشأت فرنسا في القاهرة مدرسة لتعليم الآثار المصرية ناطت ادارتها بالمسيو ماسبرو .

الاكتشافات الحديثة - لا يعثر في بلد من بلدان الارض على خبايا ثمينة كخبايا مصر ودفائها لان المصريين كانوا يبنون قبورهم أشبه بدور يضعون فيها ما يقتضي للميت من ضرور الامتعة والاثاث والرياش والسلاح والطعام وقد غصت البلاد بالقبور الطافحة بهذه الذخائر والاعلاق . وساعد اقليم مصر الجاف الهواء على حفظ هذه الامتعة سالمة بعد مضي اربعة او خمسة آلاف سنة . فلم يترك شعب من الشعوب القديمة أثرا كآثار قدماء المصريين وما عرفنا شعبا معرفتنا له .

المملكة المصرية

قدم الشعب المصري - قال كاهن مصري لهيرودتس : انتم معاشر اليونان اطفال . كلام يفهم منه ان المصريين كانوا يرون انفسهم أقدم أمم العالم فقد قامت ست وعشرون سلالة ملكية الى عهد الفتح الفارسي سنة ٥٢٠ ق . م ترتقي أولها الى أربعة آلاف سنة . وكانت مصر دولة في خلال هذه الاربعين قرناً فجعلت منفيس في بلاد الصعيد عاصمتها اولاً الى عهد السلالة العاشرة (وهو دور الدولة القديمة) ثم صارت مدينة ثيبة في مصر العليا (وهو دور الدولة الحديثة)

منفيس والاهرام - بنى مدينة منفيس أول من ملك مصر وسورها بسور منيع فبقيت سالمة من بوائق الايام زهاء خمسة آلاف سنة ثم أخذ السكان أحجار انقاضها في القرن الثالث عشر وبنوا بها مساكن القاهرة وما تركوه منها أنى عليه النيل وسدل دونه حجاباً أما الأهرام فلا تبعد كثيراً عن منفيس ويرد عهدها أيضاً الى الدور القديم وهي قبور ثلاثة ملوك من السلالة الرابعة وعلو اعظمها ١٤٧ مترًا عمل في بنائه مئة الف عامل مدة ثلاثين سنة . وقد اقيمت سدود منحدره قليلاً لرفع الاحجار الى شاهق ثم خربت المدن المصري - يدل ما يتخرج من قبور تلك العصر من هياكل وصور وأدوات على أن هناك شعباً متمدناً . فقد عرف المصريون قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة للميلاد حراثة الارض ونسج الثياب وتطريق المعادن والنقش والرسم والخط وكانت لهم ديانة منظمة وملك وادارة . على حين كانت الامم النبية وهم الهنود والفرس واليهود واليونان والرومان في

حالة من الحمجية مأثورة مذكورة .

ثيبة - خلفت ثيبة مدينة منفيس فصارت عاصمة البلاد على عهد السلالة الحادية عشرة ولم تزل خرائبها المدهشة في لوح الوجود وهي ممتدة على ضفتي النيل ومحيطها نحو اثني عشر كيلو متراً . وعلى الشاطئ الشمالي صف من القصور وهي اقصر والكرنك تبعد بعضها عن بعض نصف ساعة بنيت كلتاهما وسط الخرائب ونجمع بينهما شارع ذو صفين من تماثيل أبي الهول وكان هناك قديماً أكثر من ألف أبي الهول . وأعظم هذه المعابد الخربة معبد عمون في الكرنك أحيط به سور محيطه ٢٣٠٠ متر . وان طول اشهر قصر (ايبوستيل) وأعظمه في العالم مئة و متران وعمقه ٥٣ متراً وهو حجم عمود فاندوم . وكانت ثيبة عاصمة ومدينة مقدسة ومقر الملوك ومسكن الكهنة نحو ألف وخمسمائة سنة

فرعون - يعتبر ملك مصر المعروف بفرعون ابن رب الشمس ومثاله على الارض وبزعمون انه كان هوربا . وقد شوهدت صورة الملك رعحمسيس الثاني جالساً بين ملكين . فالملك يتعبد انساناً ويعبد ملكاً . وفرعون ساطة مطلقة على البشر لربوبيته فبحكم حكم المولى على كبار سادات عصره وعلى المقاتلة ورعاياه كافة والكهنة في عبادتهم إياه يلفون من حوله ويحرسونه فيكون رئيسهم الكاهن الاعظم للرب عمون المسأثر بالحول والطول دونه وقد يحكم باسم الملك ويخلفه في الاحاين

الرعايا - يملك مصر من أعلاها الى أسفلها الملك والكهنة والجند والموالي وما عداهم فوصفاء يستخدمونهم في حرب الارض وعمال الملك يلاحظونهم ويقبضون ثمار عملهم بضرب المعنى أحياناً واليك ما كتبه

أحد هؤلاء الموظفين الى صدق له : ألا تذكر حالة الفلاح الذي يحرق الارض فان جابي الاموال يقف على الرصيف المعد لجباية عشر الغلات وثلة من العمال بمصيدهم يتبعونه وزنوج ماسكون بأيديهم سعفات النخل يصرخون بصوت واحد . البدار البدار الى تسليم الحبوب . واذالم يكن للفلاح ما يؤديه من الغلات ليقونه على الارض ويشدون وثاقه ويجرونه في التربة رأسه الى تحت وقدماه الى فوق

كيفية حكم مصر كان الشعب المصري أبداً ولم يزل بعد فرحا لا يهتم خاضعاً خائفاً أشبه بالطفل المستسلم الى ظالمه . وكانت العصافي هذه البلاد أداة التربية والحكومة حتى كان أعوان الملك يقولون : (خلق ظهر الفتى ليضرب فهو لا يمتثل الأمر الا اذا ضرب) ذكر أحد سياح النمريسيس انه كان واقفا ذات يوم أمام خرائب ثدية فهتف قائلاً : ليت شعري كيف بنوا كل هذا . فاستضحك دليلاً وقال ماسكاً بيده مشيراً الى نخلة : « بهذه بنوا هذا اجمع » اعلم يا مولاي انه اذا كسرت مئة ألف سعفة من سعف النخل على ظهر من اكسافهم عربانة أبداً تبني قصور كثيرة ومعابد اعزال المصريين — قلما خرج المصريون من بلادهم لما انهم حاذروا ركوب البحر ولذلك لم تكن لهم ملاحه وما اتجروا والشعوب الاخرى ولم تعرف لهم بحرية الا على عهد الدولة السادسة والعشرين وما كانوا أمة حربية قط . وافند قاد ملوكهم الجنود في حروبهم واتخذوا القنال ديدنهم فبعنوا البعوث الى زنوج الحبش نارة والى القبائل السورية أخرى فاذا غلبوا صوروا صورة النصر على جدران قصورهم ومتى قتلوا راجعين من غزاتهم يأتون

بالأسارى فيستخدمونهم في بناء المعاهد على انهم ما حرزوا قط نصراً مؤزراً
ولا فتحوا فتحاً مبيناً فدهم الاغيار مصر اكثر مما حمل المصريون على الاغيار

ديانة المصريين

يقول هيرودتس ان المصريين من أشد البشر تديناً ولا يعرف شعب
بلغ في التقوى درجتهم فيها فان صورهم بحملتها تمثل ناساً يصلون أمام رب
وكتبهم على الجملة أسفار عبادة وتنسك .

الارباب المصرية — رب الشمس رأس الارباب (الالهة) عندهم
وهو الخالق المحسن العليم الكائن منذ البدء له امرأة وابن عريقان مثله في
الربوبية وكان المصريون يتعبدون بهذا التثليث الذي تختلف اسماؤه وان
اتحدث مسمياته فكان اهل كل إقليم يسمي كلاً من هذه الاسماء الثلاثة باسم
يختلف عن الآخر . ففي منفيس سمي الاب فتاح والام سيخت والابن
ايموتس وفي أبيدوس سموها أوزيريس ، ايريس ، وهوروس ، وفي ثيبة
عمون ، وموت ، وشونس . ثم اختار اهل كل إقليم أرباب الاقاليم الأخرى
وقد يشتقون من كل رب تثليث أرباب أخرى وهكذا تعدد الارباب
وتشوش الدين

اوزريس — لهذه الارباب تاريخ وهو تاريخ الشمس فكان هذا الكوكب
يتراءى للمصريين كما يتراءى لغالب الشعوب الاصلية انه أقدم المخلوقات
وبعبارة أخرى انه من الارباب فاوزيريس أي الشمس قتلها سيت رب الليل
وايزيس القمر امرأته تبكيه وتدفنه وهوروس ابنه الشمس الساطعة يأخذ
ناره قاتلاً قاتله

عمون را — هو رب ثيبة عندهم صور مجتازاً السماء كل يوم في قارب

وأرواح الموتى تقذف به بمجازيف طويلة فالرب يقف في المقدم مستعداً لضرب العدو برمح. وهالك الذئيد الذي كان يتغنى به تعظيماً له. «السلام عليك انت تهب محسناً انت تهب صادقاً يا مولى الافقين انت تطوف السماء من عل وأعداؤك هالكون. السماء في أنس والارض في فرح والارباب والناس في عيد وكلها اجتمعت لتمد «را» يشاهدونه في قاربه وقد كسر العدى. يارا هب فرعون حياة طيبة وامنحه ما يقوته من خبز ويرويه من ماء وطيب شعره وعطره اردانه .»

أرباب رأسها رأس حيوان — مثل المصريون أربابهم في صورة آدمية تارة وعلى مثال البهيمة أخرى. ولكل رب حيوانه فيتجسد فتاح في الجعل. وهوروس في الباشق. وازوريس في النور. وتختلط الصورتان طوراً في انسان رأسه رأس حيوان او في حيوان رأسه رأس انسان. وللرب عندهم أن يكون ذا أربع صور وأشكال فيكون هوروس مثلاً باشقاً او انساناً برأس باشق أو باشق برأس انسان

حيوانات مقدسة — لا يعلم لماذا كان يعنى المصريون بهذه الاشارة من اتخاذ الحيوانات التي تشبه الارباب مقدسة مباركة مثل الثور والجعل وايبس (طائر طويل الرجل) والباشق والقط والتمساح فيتوفرون على إطعامهم وحمايتهم . فقد قتل أحد الرومانيين في القرن الاول قبل الميلاد قطاً في الاسكندرية فثار الشعب وقبض عليه فذبحوه رغم ارادة الملك وشفاعة فيه فعلوا ذلك علي حين يرهب المصريون بأس الرومانيين كثيراً وكان المصريون رب يعبدونه في كل معبد وقد قص سترابون كيفية زيارته تمساحاً مقدساً في ثيبة فقال : كان هذا الحيوان رابضاً على شط غدير فاقترب منه الكهنة

وتقدم اثنان منهم ففتحاه فيه وجاء ثالث وحشاه حلويات وسعكاً مشوباً
وشراباً من عسل مصفى

الثور ايسيس — اجل هذه الحيوانات المربوبة او المؤلفة الثور ايسيس فانه
كان يمثل اوزيريس وفتح معاً ويعيش في منفيس في مصلى له يخدمه الكهنة
فيه حتى اذا مات هذا الثور يكون حاله حال اوزيريس (رب الشمس)
فيحنط وتجعل مومياءه في ناوس اما قبر أوسارهابي فهو من المعاهد الهائلة
وقد فتح مارت الفرزناوي مقبرة السرايوم عام ١٨٥١

عبادة الموتى — عبد المصريون أيضاً أرواح الموتى ويظهر انهم كانوا
يعتقدون أولاً ان لكل انسان قريناً (كا) فاذا مات يخلفه قرينه في حياته
وهو اعتقاد اعتقده كثير من الشعوب المتوحشة وكان القبر المصري يدعى
قديمًا « بيت القرين » وهو عبارة عن مكان منخفض منظم كالغرفة يزين من
اجل القرين بضروب الآثار من كراسي ومناضد وسرر وصناديق وأصونة
واغشية وأقمشة والبسة وادوات زينة واسلحة ويضعون تارة مركبة حربية
وما شاء للذته من تماثيل وصور وكتب واطعامه من بر وكل ما حلا بالعين
وحلي بالفم ويضعون فيه طوراً قرين المبت وهو تمثال من خشب او حجر صنع
على صورته ومثاله ثم يسور مدخل الناوس فبقي فيه القرين ومعنى الاحياء
بامره فيجابون له طعاماً او يتوسلون الى أحد الارباب ان يرزقه طعاماً على
نحو ما تراد في هذا الرسم المزبور: على الحجر (قربان لا زوريس ليعطي زاداً من خبز
وشراب وثيران وأوز ولبن وخنزير وجمعة ولباس وعطور وكل ما طاب وصفا
الى المتوفى فلان)

حشر الارواح — انشأ المصريون منذ السلالة الحادية عشرة يعتقدون

ان الروح تنفصل عن الجسد وتلحق باوزيريس تحت الارض حيث تغيب الشمس كل يوم فيما يظهر . هناك يتصدر اوزيريس في محكمته وقد أحاط به اربعة وعشرون محكماً فيؤتى بالروح امامهم فتحاسب عما قدمته بين يدي نجواها في الحياة فنوزن اعمالها بميزان الحق وتطلب شهادة القاب . فيهتف الميت قائلاً . « ياقلب اني ورثتك عن أمي منذ درجت على الارض فلا تقم علي شاهداً تتجني عليّ أمام الرب المنعال » فالنفس الشريرة تعذب قروناً ثم تهلك والنفس الطيبة تطير احقاباً وبعد محن كثيرة تنضم الى زمرة الارباب ونفنى فيهم

الموميات — تستطيع الروح في خلال هذه الزيارة الدخول في الجسد لتستريح ولذا اقتضى ان يظل الجسد سليماً . ومن اجل ذلك تعلم المصريون طريقة تحنيط الجثث فيملأون الجثة عنبراً ويغطسونها في مستحم من النطرون ويعصبونها بعصيات فتصير مومباً . هكذا توضع الموميا في تابوت من خشب اوجبس وتودع في القبر مصحوبة بما يقتضي لها من ضروريات الحياة

كتاب الاموات . كان بوضع بجانب الموميا كتاب صغير اسمه كتاب الموتى يذكر فيه ما ينبغي للنفس أن تقوله في العالم الثاني دفاعاً عن نفسها امام محكمة اوزيريس وهو : « ما ارتكبت خيانة وما عذبت أيماً وما ارتكبت محرماً ولا ألفت البطالة ولا وشيت بالعبد الى مولاه ولا حبست الخبز عن المعابد ولا سرقت عصيات الموتى ولا طعامهم ولا طففت مكاييل الحبوب ولا صدت الحيوانات المقدسة ولا قبضت الاسماك المقدسة . اطعمت الجوعان واسقيت العطشان وكسوت العريان وقدمت الضحايا

للارباب وصنعت الوضائم للموتى اهـ « وهنا تستبان حكمة المصريين وهي الاحفاظ بالرسوم والتكاليف واحترام ماله علاقة بالارباب وان يكون المرء مخاصاً محتشماً محسناً

الصنائع

الصناعة - المصريون أول من مارس الصنائع الي تمس حاجة الشعب المنحضر اليها وكانت الصور في القبور من عهد السلائل الاولى أي من نحو ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد تمثل ناساً يحرثون ويزرعون ويحصدون ويدرسون ويذرون الحبوب وقطعاناً من ثيران وخرافاً واوزاً وخنازير واعياناً حسنة ثيابهم واحنقالات واعياداً يحتفل فيها بضرب العيدان أي كما كانت حياة هذه الامة بعد ثلاثة آلاف سنة حذو القذة بالقذة . وقد عرف المصريون لذلك العهد صنع الذهب والفضة والقلز والاسلحة والحلي والزجاج والخزف والماينا ونسج الثياب من صوف وكتان وانسجة شفافة او .وشاة بالذهب

عقود الابنية - كان المصريون اقدر البنائين القدماء في العالم اقاموا المعاهد العظيمة حتى صارت كأنها خلدة بحيث لم بقو الزمن لعهدنا على تقويضها وتبيدها ولم يذوا . فلنا بوتا اسكن الاحياء بل كانت . بانيهم خاصة بالارباب والموتى فيبنون لهذا الغرض المعابد والمقابر . ولم يبق من مساكنهم الارسوم محيلة أما تصور الملوك فلم تكن على قول اليونان غير خانات بالنسبة للقبور . ذلك لان المسكن يبنى ليأوي اليه الانسان في حياته والقبر يبقى خالداً على الدهر القبور - أصل الهرم الكبير قبر ملوكي والقبور القديمة هي من هذا النوع . وترى في مصر السفلى الى اليوم اهراماً . مصطفى كالشوارع أو

مبددة هنا وهناك تختلف في الكبر والصغر . ثم صارت تقام القبور تحت الارض يعمر بعضها تحت التراب وينحت الآخر من حجر الصوان « الكرانيت » في الجبال ولكل جبل قبور جديدة . وكانت مدينة الموتى أي مدافنهم على مقربة من مساكن الاحياء ولكنها ازهى وأوسع المعابد — يتطاب الارباب كذلك مساكن طيبة خالدة وتتألف معابدهم من هبكل جميل وهو مأوى الرب نكتنفه القصور والحدائق وغرف الكهنة وحاشيتهم ودروج جواهرهم وأدواتهم وملابسهم وقد صنع مجموع هذه الابنية المسورة في عصور كبيرة . فاشترك ملوك من جماع السلالات المصرية في تشييد معبد عمون في ثيبة من السلالة الحادية عشرة الى السلالة الاخيرة ومن العادة ان يفتح في أول المعبد باب عظيم محني الجوانب وتقام على طرفيه مسلمان مبنيتان بشعاف الصخر مذهبة الاطراف أو تمثالان من الحجر على مثال جبار جالس . وقد يوصل الى المعبد من طريق طويل نصبت في جوانبه تماثيل ابي الهول مصنوعاً من الحجر على صفيين . هذه الاهرام والمنحنيات والتماثيل وأبو الهول والمسلات نذبي بما بلغه المصريون من العناية بعقود الابنية وكلها ضخمة قصيرة عميقة بحيث تبدو هذه المعاهد ضخمة لا يلبها الدهر ولا تفنها الغير

صناعة النحت — حاكي النحاتون من المصريين الطبيعة بنقوشهم . وان الناظر ليدعش من أقدم التماثيل لما فيها من الحياة والبساطة ولا شك انها كانت صور الموتى . ومن هذا الجنس صورة ذاك العامل الجاني المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا . وعلى عهد السلالة الحادية عشرة تقيد النحات بقاعدة مقرررة دينية فلم يعد يمكنه تمثيل الجسم الانساني على حسب ما يظهر

له وأخذت النماثيل منذ ذاك العهد تتشا كل وغدت السوق متأزية والارجل ملتفة والاذرع مشتبكة على الصدور والهيئة غير متحركة لكنها مهيبة وأبدأ ذات جلال ومتحدة في النوال فانقطعت هذه الصناعة عن محاكاة الطبيعة وغدت رمزاً متفقاً عليه

الرسم - استعمل المصريون اصباغاً لاتنصل بقيت باهية زاهية بعد مضي خمسة آلاف سنة عليها . على انهم لم يعرفوا غير تلوين الرسم وظلوا ولا خبرة لهم بتوزيع الالوان ولا رسم الظلال والاستباح البعيدة . وكان للرسم كما للنقش قواعد دينية مطردة فاذا عرض على صانع ان يرسم خمسين شخصاً يصورهم على هندام واحد ونظام واحد

الآداب - للمصريين آداب خاصة بهم فقد عثر في النواويس على كتب طب وسحر وزهد كما عثر على قصائد ورسائل ورحلات وروايات مصير التمدن المصري - احتفظ المصريون باربابهم ودينهم وصنائعهم الى ما بعد سقوط مملكتهم فخضعوا للفرس ثم لليونان ثم للرومان ولم يطرخوا شيئاً من عاداتهم القديمة ولا نسوا خطهم ومومياهم وحيواناتهم ثم دثر التمدن المصري ببطء بين القرن الثالث والثاني ب م

الاشوريون والبابليون

بلاد الكلدان

وصفها — ينبجس من قم جبال أرمينية المغطاة بالشلوج نهران سريع جريهما بعيد غورهما وهما الرافدان دجلة والفرات الاول من الشرق والثاني من الغرب . يتقاربان أولاً ثم يتباعدان عند بلوغهما السهل فيستقيم دجلة في جريته وينعطف الفرات في صحاري الرمال ثم يجتمع النهران قبل أن يصلا الى البحر . فالبلاد التي يجتازها هذان النهران هي بلاد الكلدان . وهي سبب من صلصال تمطره السماء قليلا وتشتد فيه الحرارة والقيظ بيد أن الانهار تسقي بجداولها هذه الارض الصاصالية فنصيرها من أخصب بقاع الارض وابت قيعانها . وان حبة القمح والشعير لتأتي مثنين وفي أعوام الرخاء ثلثمائة والنخيل في تلك البلاد غابات غيباء يستخرج منه الخمر والعسل والطحين

الامة الكلدانية — باكرت الحضارة بلاد الكلدان في العهد الذي باكرت فيه مصر فسكنها شعوب متمدنة . وتدها جرائها عدد من الاجناس من أصفاع كثيرة فاجتمعوا وامتزجوا في هذه السهول الفسيحة الارجاء . جاءها من الشمال الشرقي ناس من النورانيين أهل اللون الاصفر وهم يشبهون الصينيين وأتاهم من الشرق طائفة من الكوشيين ولونهم أسمر قائم وهم أنسباء المصريين ونزل اليها من الشمال فئة من الساميين وألوانهم صافية وهم أقرباء العرب فتألف الشعب الكلداني من هذا المزيج

مدنها — زعم كهنة الكلدان ان ملوكهم تبسطوا في مناحي الساطة منذ مائه وخمسين الف عام وهو زعم خرافي يعذرون عليه لان الحامل لهم عليه توغل مملكة الكلدانيين في القدم . هذه الارض تخلصها هضاب وآكام

كلها كومة أنقاض من بقايا بلد غفته طوارق الدهر. وقد فتح كثير منها واخرجت منه عدة دفائن مثل «أور» و «لارسام» و «بال ايلو» وظفر الباحثون بعدة آثار. وما برح أمر هذه الشعوب مستوراً عن الانظار مجهولة حقيقتهم على أرباب الافكار على انه من المأمول أن يظفروا بكتابات جديدة في الاماكن الكثيرة التي لم تتناولها الايدي بالحفر واستخراج الدفائن. وبعد فقد دعت هذه الامم نفسها بالسوميريين والاكاديين وانقرض ملكهم حوالى سنة ٢٣٠٠ قبل المسيح وربما كانت اذ ذاك في إبان قدمها فيرد عهدا اذا الى ثلاثين قرناً قبل الميلاد على الاقل

الاشوريون

أشور — هذه البلاد واقعة وراء بلاد الكلدان على شاطيء دجلة وهي مخصبة التربة قائمة على تلعات كثيرة فيها وأحاديث. تحترقها هضاب وتتخللها صخور. تثلج فيها السماء في الشتاء لقربها من الجبال وتهب عليها الاعاصير في الصيف

أصولهم — زخر بحر العمران في بلاد الكلدان فكان فيها امصار عاش فيها الاشوريون خاملين في جبالهم وقد أغار ملوكهم بجيوشهم الجرارة في القرن الثالث عشر على السباسب والفدافد فاسسوا مملكة ضخمة عاصمتها نينوى

أساطير قديمة — لم نكد نعرف عن الاشوريين منذ أربعين سنة الا قصة ذكرها ديودورس الرومي من أهل جزيرة صقلية وقيل أن نينوس بنى مدينة نينوى وافتتح آسيا الصغرى جملة واستخضعت امرأته سميراميس بلاد مصر وكانت من الارباب فاستحالت بعد حماة فخلفها ملوك خاملون

مدة ١٣٠٠ سنة . حوصر آخرهم في عاصمته واسمه ساردانا بال فحرق نفسه ونسأه الى ما شا كل ذلك من الاقاصيص التي قل فيها الصدق واعوزت كلمة الحق

نينوى - هذا ما عرف عن مملكة اشور القديمة الى ان اكتشف المسيو بوثا قنصل فرنسا في الموصل سنة ١٨٤٢ اطلال قصر عظيم بالقرب من قرية خراساباد الحقيرة وقد غشيتها رمال صيرتها رابية . وهذه هي المرة الاولى التي شوهدت فيها الصناعة الاشورية بمظهرها ووجدت الثيران المجنحة بالاحجار سالمة ماثلة على باب القصر . وقد جيء بها الى باريز فجعلت في متحف اللوفر . واقد استلفت بوثا بحفرياتة أنظار أوروبا فانفذت بعثات كثيرة وخصوصاً الانكليز . توفر بالاس ويارد على الحفر في آكام أخرى فاكتشفت قصور غير هذه . سلمت هذه الخرائب لجفاف الهواء في تلك الارحاء وبما غشيتها من طبقات التراب . ثم انه عثر على جدران مغطاة بنقوش بارزة وصور وتماثيل وكتابات كثيرة فتسنى درس حال تلك العمارات في اما كنها وأخذت عنها صور المعاهد والنقوش . وأول ما اكتشف قصر خراساباد وهو الذي بناه الملك سراجون مكان نينوى عاصمة ملوك اشور وهي قائمة على عدة هضاب يحيط بها سور ذو ابراج مربع الاضلاع ذرعه ٢٦٠ غلوة (نحو ٤٣ كيلو متر) وقد بني خارج الجدران بالقرم ودخله تراب مهيل . أما دور المدينة فقد دثرت ولم يبق منها أثر ضئيل ولا رسم محيل . بيد انه ظهرت عدة قصور شادها غير واحد من ملوك اشور . وقد ظلت نينوى عاصمة الملوك الى ان اوغل الماديون والكلدانيون في احشاء مملكة اشور ومنزقوها شذر مذر .

كتابات القرمد — يتألف كل حرف في الكتابات الاشورية من مجموع علامات على شكل سهم او زاوية ولذلك دعي هذا الخط بالخط المسماري وكانوا يستعملونه خنجراً مثلث النصل في آخره حد مثلث الاضلاع لرسم هذه العلامات يبلونه في صحيفة من الخزف الرطب ثم يدخلونه التنور فيصير صلباً لا ينمحي أثره . وقد كشفت في قصر اسوربانيال مكتبة تامة من الصفائح قام فيها القرمد مقام الورق

الخط المسماري — غالى جملة من رجال العلم في حل هذا الخط أعواماً كثيرة فتمذرت عليهم قراءته اذ كان لاول عهده يستعمل في كتابة خمس لغات متباينة وهي الاشورية والسوسية والمادية والكلدانية والارمنية . دع عنك الفارسية القديمة . وكانت تلك اللغات مجهولة فدامت اللغة التي نتكلم عليها الآن مشوشة كل التشويش لاسباب عديدة أهمها تركيبها من خطوط رمزية ينوب كل منها مناب كلمة مثل « شمس » « رب » « سمك » ومن خطوط ذات مقاطع . ولان لهذه اللغة مائتي خط ذي مقاطع يتشاكل بعضها مع بعض ويسهل التباسها وإشكالها ولان الخط الواحد كثيراً ما ينوب عن كلمة وعن مقطع ولان الخط الواحد يقوم مقام مقاطع مختلفة بمعنى أن خطأ واحداً يقرأ « ايلو » تارة « وآن » طوراً وهو أصعب هذه الصور وأشكلها .

كان هذا الخط عسراً حتى على من يكتبونه . ونصف مالدينا من الآثار المسمارية هو كتب إرشادات من نحو ولغة وصور مما ساعد على حل النصف الآخر فتأتى الرجوع اليها في حل المشكلات على ما كان عليه شأن المتعلمين في مملكة آشور منذ ٢٥٠٠ سنة وقد أفاح العلماء في حل الكتابات الاشورية

كما أفلحوا في حل الكتابات المصرية . فكانت لهم كتابة مستطيلة في لغات ثلاث آشورية ومادية وفارسية ونفقت الفارسية في حل غيرها

الشعب الاشوري — فطر الاشوريون على حب الصيد والحرب وان نقوشهم لتمثلهم مدججين بالاقواس والرماح راكبين صهوات الخيول بحيث ساغ أن يوصفوا بانهم كمة مجال وأبطال يحسنون الكر والفر . وان استوى في أعينهم رواحهم الى مناوشة ومغداهم في حرب زبون . ولقد عرفوا بالخيانة وسفك الدماء فوطئوا آسيا ستة قرون وخرجوا من جباههم يغيرون على جيرانهم . ولطالما آبوا من غزواتهم وقد أسروا شعوباً باجمعها والظاهر أنهم يناشبون غيرهم القتال لحض حب السفك والتدمير والنهب فانهم أشد خلق الله بأساً وأقساهم قلوباً

الملك — رأى الاشوريون لملكهم الخلافة عن الله في الارض جرياً على العادة الآشورية فاطاعوه طاعة عمياء وبذلوا في حبه مهجهم . فكان الملك عندهم سيداً مطلقاً في حكمه رعاياه مهما اختلفت طبقاتهم يدعوهم الى حمل السلاح تحت لوائه فيقاتل بهم شعوب آسيا حتى اذا قفل منصوراً يصور ما أثره على جدران قصره ذا كراً انتصاراته وما ناله من الغنائم وحرقة من المدن وذبحه من الاسرى وساخه من احيائهم

الحملات — اليك بعض فقرات من نشرات الحروب قال اسورنازيرهابال عام ٨٨٢ : انني عمرت جداراً امام ابواب المدينة العظمى وساخت جلود زعماء الثورة وغطيت هذا الجدار بجلودهم وقد دفن بعضهم احياء في اساس البناء وصلب فريق آخر وجعلوا على أوتاد في الحائط وساخت جلود

كثيرين في حضرتي وكسوت الحائط بها وجمعت رؤوسهم على هيئة التيجان وضممت جنثهم الى أشكال الا كايلا

وكتب توكلابالازار عام ٧٤٥ ما نصه : حبست الملك في عاصمته ورفعت كروما من الجثث أمام الابواب . هدمت مدنها كلها ودمرتها وأحرقها وأقفرت البلاد وصيرتها آكاماً وقاعاً نصفاً ينعق فيها يوم الخراب . وقال سنجاريب في القرن السابع : « انطلقت كالعاصفة المدمرة فسبحت السروج والاسلحة في دماء الاعداء كلها في نهر والتراب مبلل وجمعت جثث جندهم كما تجمع الغنائم وبترت أطرافهم وقضت مضت عظام من أخذتهم أحياء على نحو ما نقصن التبنة وقطعت أيديهم عتقاً لهم بما جنت أيديهم » هذا وقد صورت في إحدى النفوش التي تمثل مدينة سوس وهي ترد الى عهد اسوربانيبال وشوهدت فيها رؤوس المغلوبين يعذبهم الاشوريون وقد صلمت آذان بعضهم وسمت أعين آخرين ونتفت لحاهم . وهناك رجل يسلخ جلد وهو حي مما دل على ان أولئك الملوك كانوا يرتاحون الي ما يتم على أيديهم من الحرائق والمذابح والعذاب

خراب المملكة الاشورية — بدأت هذه الطريقة في الحكم في القرن الثالث عشر زمن الاستلاء على بابل وذلك نحو عام ١٠٧٠ وظل الاشوريون منذ القرن التاسع يسرحون الحملات ويشنون الغارات حتى أخضعوا وان شئت فقل خربوا بلاد بابل وسورية وفلسطين ومصر وكان المغلوبون يثرون في غضون تلك المدة بلا انقطاع والمذابح قائمة على ساق وقدم . ثم ضعفت قوى الاشوريين واتحد البابليون والماديون فقلبوا عرش مملكتهم نينوى عاصمة بلادهم سنة ٦٢٥ وهي المدينة التي سماها أنبياء بني اسرائيل « عرين

الاسد » ومدبنة الدم والغنيمة فتيسر الاستيلاء عليها وخربت فلم تقم لها قائمة بعد . قال النبي ناحوم (خربت نينوى فمن يشفق عليها ياترى ؟)

البابليون

المملكة الكلدانية — قامت مملكة اشورية جديدة مكان بلاد الكلدان القديمة الدائرة دعيت مملكة البابليين او المملكة الكلدانية الثانية . وقد تكلم احد انبياء اسرائيل على لسان الرب فقال : « انا احبي الكلدان تلك الامة الظالمة وسرعان ما تطوف الارض الاستيلاء على مساكن غيرها وان خيولها لا خف سيراً من النمر وفرسانها لينتشرون في الاطراف ويطيرون كالثمر ينقض على قنيصته » وبالجملة فقد ألف الكلدانيون الفروسية والحرب والفتح وهم يمانلون الاشوريين كل المملكة فاستولوا على بلاد الفرس والجزيرة وبلاد اليهود وسورية وكانت مدة حكمهم قصيرة فقد أنشئت المملكة البابلية سنة ٦٢٥ وابادها الفرس سنة ٥٣٨ في م .

بابل — كان بختنصر (٦٠٤ — ٥٦١) من اقدر ملوكها وهو الذي خرب بيت المقدس وساق اليهود اسرى واسس في بابل عاصمة بلاده كثيراً من المعابد والقصور . اقيمت هذه المعاهد بالآجر الفلد الحجر في سهل الفرات . ولما كتب عليها الدثور والعفاء لم يبق منها الا كوم من التراب والانقاض وقد عثر في المكان الذي كانت فيه بابل على بعض كتابات فعرفت هيئة المدينة . بيد ان هيرودتس اليوناني وصف مدينة بابل وصفاً مسهباً وكان زارها في القرن الخامس ق . م فاذا هي محاطة بسور مربع يشقه الفرات وكانت المدينة تشغل حيزاً من الارض مساحته ٥١٣ كيلومتراً مربعاً

(أي سبعة اضعاف مدينة باريز) ولم تكن كل هذه البقعة الفسيحة الارحاء عامرة بالدور والمساكن بل كان يتخللها حقول مزروعة تقوم باود السكان آونة الحصار . فكانت بابل من ثم اشبه بمعسكر حصين منها بمدينة . وفي جدرانها ابراج ولها مئة باب من النحاس الاصفر وكان سمكها صالحاً لمرور مركبة عليها وفي حيال السور خندق عريض عميق مليء ماء وستر حافته بالقرمد . وكانت دورها ذات ثلاث طبقات او اربع والشوارع وسطها زوايا قائمة . وما اعجب بناء جسر الفرات وارصفته والقصر الحصين والجنان المعلقة احدى عجائب الدنيا السبع . وهذه الجنان سطوح منروسة بالاشجار قائمة على عمد وقباب مصفوفة طبقات الاولى بعد الثانية .

برج بابل - بنى بختنصر في طرف المدينة برج بابل وقال في احدى كتاباته «لقد جددت اعجوبة بوريثي (من ضواحي بابل) اعجب الناس منها وهو معبد السيارات السبع في الدينا فاعدت تأسيسه على النحو الذي كان عليه في الازمان السالفة » . وهذا المعبد على شكل مربع مؤلف من سبعة ابراج بعضها على بعض وخص كل برج باحدى السيارات السبع وصور باللون الذي اختاره الدين لتلك السيارة . وهذه الالوان اذا بدى بها من أسفل فهي : زحل (سواد) والزهرة (بياض) والمشتري (ارجوان) وعطارد (ازرق) والمريخ (قرمزي) والقمر (فضي) والشمس (ذهبي) . وكان في أعلى الابراج مصلى ومنضدة من ذهب وفراش وثير تسكن اليه كاهنة .

اخلاقهم وديانهم

اخلاقهم — لا نعرف هذه الشعوب الا بمآهدها ومآهدها تكاد لا تتعدى اعمال ملوكها فلا ترى الاشوريين أبداً الا وهم مصورون في حرب او في صيد او في احتفالات وما صور نساؤهم قط اذ كنّ جلس بيوتهن لا يخرجن للناس . وعلى العكس في الكلدان فانهم كانوا أهل حراثة وتجارة والكننا لا نعرف شيئاً عن حياتهم . يقول هيرودس ان هذه الامة كانت تجمع البنات في مدنها مرة واحدة في العام لتزويجهن فيبيعون الجميلات منهن ويؤخذ ثمنهن ليعطى جهازاً الى مشوهات الخلقة . قال وعندي ان هذا القانون من احكم ماوضع من القوانين والشرائع .

ديانهم — دين هاتين الامتين واحد فالاشوريون تمذهبوا بمذهب الكلدانيين وقد التبس علينا هذا الدين لانه نشأ كدين الشعب الكلداني من مزيج ديانات متباينة مشوشه كلها . فكان التورانيون يعتقدون على نحو ماتوهمه قبائل سبيريا الصفر ان العالم غاص بالشياطين (مثل الطاعون والحمى والاشباح والنفاريت) دأبها تربص البشر بالشر والاخذ بمخنقهم ولذلك تراهم لا يلجأون الى السحرة ليطردوا عنهم هاته الشياطين برقياتهم . وكان الكوشيون يعبدون ريين ذوي اقنومين الذكر وكان القوة بزعمهم والانثى وهي المادة وكان الكهنة الكلدان وهم مجموع طوائف قوية من المنعة بحيث ساغ لهم ان يعنوا بتوحيد الدينين .

الارباب — الرب المنعال هو ايلوفي بابل واسور في اشور ولما يقيمون له معبداً ومنه يشتق ثلاثة ارباب وهم آنو رب الظلمة وصورته صورة رجل وذنوب نسر معصب رأسه برأس سمكة . وبعل ملك الارواح مصور

كالملك على عرشه . ونواح وهو العالم المنظور هيئته هيئة جبار ذي اربعة اجنحة
منتشرة . ولكل من هذه الارباب ربة انثى اشارة الى كثرة الاولاد
والذراري . ثم ترد من اسفل صور القمر والشمس والسيارات الخمس
والكواكب وفي هواء بلاد الكلدان الشفاف يضيئ سناها اضواء لم نعهدها
فتتلاً كالارباب . وقد اقام الكلدانيون معابدهم باسم هذه الارباب وما
هي في الحقيقة الامراصد يتمكن منها المتعبد من مراقبة سير الافلاك .
علم التنجيم — ذهب الكهنة الى ان هذه الكواكب ارباب عظيمة
تعمل عملها في حياة الانسان . فكل امرئ يولد في الدنيا في طالع كوكب
من الكواكب فينأى النبوء بسعده اذا علم الكوكب الذي ولد في
طالعه . ومن هنا نشأ علم التنجيم والفأل فما يحدث في السماء علامة على
ما سيحدث على الارض . فالنجمة المذنبه مثلاً تنبئ بحدوث ثورة .
ويعتقد كهنة الكلدانيين انهم اذا رصدوا القبة الزرقاء وسباراها يتنبأون
بالحوادث وهذا أصل التنجيم .

علم السحر — للكلدان ضروب من الرقى والطلسمات يدمدمون بها
لطراد الارواح أو استحضارها . وهذه العادة من بقايا ديانة التورانيين وهي
أصل السحر . نشأ علم السحر والتنجيم في بلاد الكلدانيين وانتشر في أفق
المملكة الرومانية ثم تعداها الى بلاد أوربا . عرف ذلك من تتبع القوانين
السحرية في القرن السادس عشر وكان فيها اذ ذاك كلمات آشورية محرفة .
العلوم — نشأت علوم النجوم في بلاد الكلدان فمنها عرفناه منطقة
البروج وتألف الاسبوع من سبعة أيام اكراماً للسيارات السبع وتقسيم السنة
الى اثني عشر شهراً واليوم الى اربعة وعشرين ساعة والساعة الى ستين

دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية . وعندهم أخذنا طريقة الاوزان والمكاييل محسوبة على مقياس الطول مما ألف بالاستعمال عند الشعوب القديمة كافة

الصنائع

علم عقود الابنية — لا نعرف صنائع الكلدانيين حق معرفتها اذ قد سجل العفاء على معاهدتهم . وقد حذا أهل الصنائع من الاشوريين ممن رأينا صنائعهم حذو الكلدانيين فصيح الحكم على المملكتين جملة واحدة . كان الاشوريون يبنون كالكلدانيين بأجر مجنف بالشمس ويغشون ظواهر الابنية بالاحجار .

القصور — اقام الكلدانيون قصورهم على آكام صناعية جعلوها واطئة مسطحة تشبه سطوحاً كبيرة واقتضى جعل العلامي والغرف ضيقة واطئة واكتفي بتطويلها كثيراً لان الآجر لم يكن لينفع في بناء القباب المنبسطة العالية . فالقصر الاشوري يشبه سلسلة أروقة ودهاليز . والسقوف سطوح ممتدة ذات شرفات وفي الباب ثيران ضخمة مجنحة على هيئة الانسان . والجدران مغطاة من الداخل تارة بروافد من الخشب النفيس وطوراً من الآجر المزين بالمينا وأخرى بصفائح من الرخام الابيض المنقوش وآيات تزدان الغرف بالصور ويحلى الاثاث بالترصيع البديع

النقش — يعجب المرء من نقوش الصور الاشورية خاصة ومن المحقق ان التماثيل نادرة ولا اتقان فيها لان النحاتين يؤثرون تحت صفائح كبيرة من الرخام ونقوش ناشئة تشبه الصور ويرسمون مشاهد لانظام فيها احيانا وحروباً وصيوداً وحصارات مدن واحتفالات يخرج الملك بها في موكب حفل وهناك تتجلى التفاصيل الدقيقة . فترى بنات الخدام الموكلين بطعام

الملك وزمر العملة يبنون له بلاطه والحدائق والحقول والغدران والاسماك في الماء والطيور ترفرف على وكناتها أو تتطاير من شجرة الى أخرى . وترى صور الكبراء من جوانب وجوههم لان أهل الصناعة ما عرفوا تصويرها من الامام . ولكنك تقرأ في سحناتهم الحياة والشرف . وتظهر الحيوانات في الاحابين وخصوصاً في الرسوم البارزة في الصيد وفي العادة أن تنقل نقلاً حقيقياً مذهشاً . وكان الاشوريون يتأملون الطبيعة ويرسمونها أصبح رسم وبهذا تعرف قيمة صنائعهم حتى ان اليونان اقتدوا بمذهبهم في الصنائع بان قلدوا النقوش الاشورية ففاقوا مقلديهم وليس في الامم حتى ولا اليونان أنفسهم من أحسنوا تصوير الحيوانات كالاشوريين

الفينيقيون

صور وقرطاجنة

وصفها — فنيقية من بقاع الارض الضيقة طولها خمسون فرسخاً وعرضها من ثمانية فراسخ الى عشرة وهي بين بحر سورية واعلى سلسلة في جبل لبنان . بل هي على التحقيق عبارة عن سلاسل أودية ضيقة ومجار حرجة متخللة بين هضاب وعرة ممتدة الى البحر ومسائل من الثلوج . تعبت بها العواصف الى آخر الربيع اما في الصيف فينضب ماؤها الا ما خزن منه في الآبار والصحاريج . ولقد كسيت جبال هذه الناحية بالاشجار فكان في القمم ارز لبنان المشهور وفي المنحدرات الصنوبر والسرو وفي السفوح اشجار النخيل بالغة شاطئ البحر وفي الاودية ينمو الزيتون والكرم والتين والرمان .

مدنها - تتألف عن بعد على طول الشاطئ ، الصخري رؤوس من البحر
 أو جزر منه تكون منها مرافئ طبيعية ففي هذه الموانئ أقام الفينيقيون مدنها .
 فقامت صور وارواد في جزيرة يزدحم فيها السكان في المنازل وكانت ذات
 طبقات ست وسبع وثمان . ويجلبون الماء لشفاهم في القوارب : أما مدينة
 جبيل ويروت وصيدا فكانت في اليبس . ولم تكن أرض هذه البلاد لتقوم
 باود هذا العدد الدثر من الناس ولذلك مال الفينيقيون الى الملاحة والتجارة .
 الخرائب الفينيقية - لم يحفظ عن الفينيقين كتاب فقد ضاعت حتى
 كتبهم المقدسة . ولقد جرى الحفر في مواضع مدنها ولكن الخرائب على ما
 قال العالم المندوب الى ذلك لم تسلم إلا في البلاد المهملّة المتروكة . على ان
 السوريين عنوا كثيراً بالخرائب فأنهكوا حرمة القبور واخذوا حلي الموتى
 وهدموا العمارات ليسنعينوا باحجارها على البناء وحطموا النقوش وذلك لكراهة
 المسلم الصور المنحوتة بحبث لم يبق اليوم سوى شقيف من الرخام المحطم
 واحواض ومعاصر نحتت في الصخر وبضعة نواويس من الحجر . اطلال قلما
 تجدي نقماً وتأتي العلم بفوائد وليس ما عرف عن الفينيقين إلا ما علمناه
 كتاب اليونان وانبياء اسرائيل

حكومة الفينيقين - لم تكن فينيقية مملكة قائمة برأسها بل كان لكل
 مدينة ناحية صغيرة تستقل بها ولها مجالس وملك تحكم نفسها بنفسها وتبعث
 بمندوبيها الى أعظم مدينة فينيقية لهض المصالح المشتركة وكانت صور محط
 رحال المندوبين منذ القرن الثالث عشر . واذا لم يكن الفينيقيون أمة حربية
 خضعوا لسطوة جماع الفانحين من مصريين واشوريين وبابليين وفرس وادوا
 لهم الجزية عن يد وهم صاغرون .

صور - كانت هذه المدينة منذ القرن الثالث عشر من أهم المدن الفينيقية ضاقت على أهلها فاقامت اذ ذاك مدينة جديدة قبالتها . ولقد أسس تجار صور مستعمرات في البحر الابيض كله يصيدون الفضة من مناجم اسبانيا و سلع العالم القديم أجمع . دعاهم أشعيا النبي الامراء ووصف حزقيال النبي تلك القوافل التي كانت تأتيهم من كل صوب وأوب وطلب سليمان النبي الى هيرام احد ملوك صور عملة يشغلهم في بناء القصر والمعبد في بيت المقدس .

قرطاجنة - كانت هذه المدينة مستعمرة صور ففاقت هذه بالعظمة وذلك ان الصوريين نبذتهم احدى الثورات فاسسوا مدينة قرطاجنة على شاطيء افريقية بالقرب من تونس بعثهم على ذلك امرأة اسمها ايليسار ونحن ندعوها ديدون (الفارة) ويحكى ان سكان البلاد ابوا ان يبيعوها إلا مسافة تكفي لتغطية جلد ثور ففصلت جلد الثور سيوراً رقيقة بحيث اقتضت مكاناً واسعاً يستوعبها فبنت القلعة اذ ذاك . ولقد اتسعت قرطاجنة لموقعها في منتصف البحر الرومي ولان فيها مرفأين فافامت مي أيضاً مستعمرات وفتحت فتوحاً حتى آل امرها الى ان حكمت شاطيء افريقية باجمعه واسبانيا وسردينيا وكان لها في كل مكان مكاتب لتجارتها ورعايا يؤدون لها الجزية

الجيش القرطاجني اقتضى لقرطاجنة ان تدرب لها جيشاً لتصون مكاتبها التجارية من حيف الوطنيين وتربأ برعاياها عن الانتقاض . ومن ثم كانت حياة القرطاجني ثمينة لا يخاطر بها إلا عند الضرورة . آثرت قرطاجنة اكتراء الجند فجندت لها جنداً من البربر سكان بلادها ومن متشردى كل صقع وناحية فصارت صبغة جيشها مبرقشة ملونة يتكلم اللغات كلها ويدين بالاديان كافة . ولكل جندي بزته واسلحته الخاصة به يخالف بزة رصيفه

واساحته . فترى فيهم النوميين يلبسون جلد الاسد يتخذونه وطاء كما يتخذونه غطاء يركبون خيلاً سريعة صغيرة بدون نظام ويطلقون القوس وخيولهم تعدو عدواً كما كنت ترى فيهم الليبيين وجلودهم سوداء مسلحين بحراب . وطائفة من الايبيريين في اسبانيا لباسهم بياض مزين بحمرة وسلاحهم سيف طويل محدد وغالين عراة الى الزنار يحملون تروساً كبيرة وسيفاً محدداً يسكونه بكثا يديهم . وجماعة من البالياريين مدربين من طفوليتهم على رمي الحجارة او كرات الرصاص بالمقاليع أما القواد فكانوا قرطاجنيين تخافهم الحكومة فترقبهم عن أمم وربما صلبتهم اذا غلبوا ولم يحرزوا نصراً مؤزرًا

القرطاجنيون - كان في قرطاجنة ملكان والامر والنهي لمجلس الشيوخ وهو مؤلف من أغنى تجار المدينة ولذلك كانت كل قضية بنهى بها الى الحكومة مسأله تجارية . كره الناس القرطاجنيين لقسوتهم وطمعهم وغدرهم ولما كان لهم أسطول منظم وعندهم مال يستأجرون به جنداً وحكومة باطشة تهيأ لهم توطيد دعائم ملكهم في غرب البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون (من القرن السادس الى الثالث) بين ظهراى شعوب بربرية منشقة على نفسها مخلفة كلتها الديانة الفينيقية - للفينيقيين والقرطاجنيين دين يشبه الديانة الكلدانية فالرب الذكر ويسمى عندهم بعل هو الشمس والربة الانثى وتدعى بعلت هي القمر والشمس والقمر في نظر الفينيقيين قوى هائلة نحى وتميت . ولكل من المدائن الفينيقية ربان . فاصيدا بعل صيدون (الشمس) وعشروت (القمر) ولقرطاجنة بعل عمون ونانيت وجبيل بعل تور وباليث . ويختلف اسم الارباب في الاعتبارات ايجاداً وعدمًا وهكذا يعبد بعل مثلاً في قرطاجنة باسم واولش ويعتبر عدمًا . وقد تنوب عن هذه الارباب أصنام ولها معابد ومذابح وكهنة

يعظمون من شأنهم ويقيمون لهم المآدب والاعیاد الخافلة باعتبار كونهم
 موجدین ويقدمون لهم ضحایا بشریة باعتبار كونهم مخربین وتعبد عشتروت
 ربة الصید العظيمة في الغابات المقدسة ویصورونها على شكل هلال القمر
 والحمامة ويرسم بعل مولوش في قرطاجنة تمثالا عظیما من القنز باسطا ذراعیه
 ومدلیهما واذا ارادوا تسكين غضبه یرفعون على یدیه اطفالا تسقط للحال في
 هاوية من نار . وقد قدم اعبان مدينة قرطاجنة مائتي طفل من اولادهم ضحایا
 للربة مولوش في خلال حصار اغانوكل لقرطاجنة

هذا وان تلك الديانة على ما نشأت علیه من الشهوات وسفك الدماء
 لترهب الشعوب الاخرى ولكنهم يحاكونها ویأتمون بها فكان یذبح اليهود
 لبعل على الجبال ويعبد اليونان استارتيه وصیدون باسم افرو ديت وبعل ملخارت
 من صور تحت اسم هيراكليس

التجارة الفينيقية

استغال الفينيقيين -- عاش الفينيقيون بالتجارة لازدحام أقدامهم في بقعة
 ضيقة من الارض ولم یکن لسائر شعوب الشرق من مصريين وكلدانيين
 واشوريين ولا قبائل الغرب البربرية (الاسبان والغاليين والطلیان) عهد
 بركوب البحار وشق العباب والفينيقيون وحدهم جرأوا في تلك الايام على
 تجشم البحر فصيح ان يدعوا من اجل هذا عملاء تجارة العالم القديم وقادة
 البيع والشراء یبناعون من كل شعب سلعه ویتقايضون معه على غلات البلاد
 الاخرى تجارة كانت مستحكمة الصلات مع الشرق براً والغرب بحراً
 القوافل -- اعناد الفينيقيون ان یرسلوا في البر قوافل تتجه وجهات ثلاث
 احداها الى بلاد العرب لتأتي منها بالذهب والعقيق الیمني والبخور والصبر

وعطور بلاد العرب واللؤلؤ والابازير والعاج والابنوس وريش النعام وقرود الهند. والقافلة الثانية ترحل الى بلاد اشور لتعود منها بانسجة القطن والكتان والحر والاحجار الكريمة والماء المعطر وحرير الصين . وتقصد القافلة الثالثة انحاء البحر الاسود لتستجلب منها الخيل والرقيق والاولاني النحاسية من مصنوعات سكان جبال قافقاسيا « القوقاز »

بحريتهم -- بنى الفينيقيون بخشب ارز لبنان المتين قوارب باسرة ومجاذيف حملوا عليها متاجرهم البحرية وما مست حاجتهم ان يكونوا ابداء على مقربة من الشواطئ في ركوبهم البحر اذ كانوا يتجهون حيثما ارادوا بجعل نجمة القطب قيد نواظرهم وكانوا يستدلون بها على الشمال . ولقد فطر الفينيقيون على الاستخاف بركوب اليم فالفوا بانفسهم في مراكب صغيرة تغدو بهم وتروح في اطراف البحر الرومي بل جرأوا على اجتياز مضيق جبل طارق او كما دعاه القدماء « اعمدة هيركول » فيجتازون البحر المحيط الى شواطئ انكلترا وربما بلغوا بلاد النروج . سافرت عصابة منهم في خدمة احد ملوك مصر في القرن السابع وجازت البحر الرومي لتطوف حوالى افريقية ثم رجعت على ما قيل بعد ثلث سنين من البحر الاحمر وغادرت قرطاجنة حملة ضربت نحو شاطئ افريقية الى خليج غينة . وقد كسب القائد حانون قصة في هذه الرحلة

البضائع -- كان الفينيقيون يبنعون محاصيل صناعات الشعوب المتمدنة ويبحثون في البلاد المتوحشة عما يقل الظفر به في المشرق من المحاميل . يصطادون الصدف من شاطئ بلاد اليونان ومنه يستخرجون صباغاً احمر وهو الارجوان . وكانت الانسجة الارجوانية تستعمل عند الاقدمين كافة

ملابس للملوك والامراء ويجلبون الفضة التي يستخرجها أهل اسبانيا وسردينيا من مناجمهم وكان القصد من ضرورياتهم يستعملونه في صنع النحاس الاصفر وهو مركب من نحاس وقصدير لا أثر له في بلاد الشرق ولذا كان الفينيقيون يرحلون في طلبه وينشدونه حتى في شواطئ انكلترا في جزائر القصدير المعروفة بجزائر كاسيتريد . وحيثما حلوا يتخذون الرقيق يبتاعونه نارة كما كان يبتاع النحاس العبيد في ساحل افريقية . اذ الشعوب القديمة كلها كانت تجر بالرقيق . وينزلون طوراً في احدى السواحل فجأة فيختطفون النساء والاطفال وينقلون بهم الى بلادهم او يبيعونهم في القاصية . واذا واتهم الحال ينقلون قرصاناً ولا يحامون إطالة يد التعدي على الاغيار :

سرّ اختص به الفينيقيون — لم يعلق الفينيقيون إلا من قيام بحارة الامم الاخرى الى منازلهم السلطة على البحار ومجاراتهم في الملاحة والاتجار فن ثم كانوا يكتدون الطريق التي يسلكونها لدن عودتهم من لافطار النائية ولذا لم يعرف احد في القديم جهة جزر الكاسيتريد المشهورة التي جلبوا منها القصدير . وقد رأت احدى المراكب بلاد اسبانيا التي كانت لها صلات تجارية مع فينيقية منذ قرون عرضاً بدون تعمل . وكانت قرطاجنة تغرق من تصادفهم من التجار الاجانب في سردينيا او في ناحية جبل طارق . حتى ان ربان احدى المراكب أغرق سفينته ذات يوم عندما رأى سفينة غريبة تطارده مخافة ان تطلع على خطة سيره

مستعمراتها — انشأ الفينيقيون مكاتب تجارية في البلاد التي اتجروا فيها وهي مراكز للبرد حصينة واقعة على شاطئ بحر على مرفأ طبيعي يخرجون اليها بضائعهم وهي في العادة انسجة ونثار وحلي واصنام فيأتي أهل تلك البلاد

بغلاتهم فيقايضونهم عليها كما يقايض اليوم تجار الاوربيين ذنوج افريقية .
 نقام أمثال هذه الاسواق في قبرص ومصر وجميع بلاد البحر الرومي التي
 كانت على همجيتها مثل اقريطش (كريت) وبلاد اليونان وصقلية وافريقية
 ومالطة وسردينيا وشواطئ اسبانيا (مالقة وقادس) وربما أقاموها في بلاد
 الغول (موناكو) وكان اهل البلاد يبنون اكواخهم حول بنايات الفينيقيين
 فيصبح السوق مدينة ويقتبس السكان ارباب الفينيقيين وقد دامت عبادة ربة
 على صورة الحمامة حتى بعد ان صارت المدينة يونانية كما في سبتير والرب
 ملخارت كما في كورنت ورب ذو جهة ثور يفترس الضحايا البشرية كما في
 اقريطش

نفوذ الفينيقيين - لم يكن يخطر للفينيقيين شيء على بال لما أسسوا
 مكاتبهم التجارية إلا الاحتفاظ بمصالحهم الخاصة ولكن حدث ان نفعت
 مسعمراتهم المدن فان برابرة الغرب اخذوا عن أمم الشرق وكانت أكثر
 منها تمدناً كيفية صنع الانسجة والحلي والماعون وتعلموا محاسنهم مضي حين
 من الدهر واليونان لم يعرفوا غير الاواني والحلي والاصنام التي يأتيهم بها
 الفينيقيون وعلى منوال هذه البضائع نسجوا بعد فان الفينيقيين حملوا من
 مصر واشور الصناعة والبضائع معاً

الابجدية - حمل الفينيقيون ايضاً الى البلاد التي نزلوها ابجديتهم وحروف
 الهجاء ولم يخترعوا الخط اذ كان المصريون يعرفون الكتابة قبلهم بقرون وقد
 استعملوا حروفاً تدل كل منها على صوت كما هو الحال في حروف الافرنج .
 على ان خطهم كان مشوشاً بعلامات قديمة يدل بعضها على مقطع وآخر على
 كلمة برمتها . لا جرم انه اقتضى للفينيقيين اذ ذاك طريقة أبسط لكتابة

رسائلهم التجارية فاطرحوا العلامات كلها من مقاطع وصور ولم يبقوا سوى
 اثنين وعشرين حرفاً يدل كل منها على صوت او على لفظ باللسان فاقتبست
 الشعوب الاخرى هذه الابدجية المؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً. فقد كتب
 اليهود من اليمين الى الشمال كما كتب الفينيقيون وكتب غيرهم كاليونان من
 الشمال الى اليمين وكلهم بدلوا شكل الحروف إلا قليلاً . والخط الفينيقي على
 التحقيق أصل الابدجيات كلها من يهودي وليسي ويوناني وايتاليكي
 وابتروسي وايبيرسكي وربما كان الخط النروجي ايضاً فالفينيقيون هم الذين
 علموا العالم الكتابة



الاسرائيليون

العبرانيون

التوراة - جمع اليهود أسفارهم المقدسة باسمها في سفر واحد دعوه
 التوراة وهو اسم يوناني معناه الكتاب هذا هو سفر اليهود الجليل وقد صار
 لاهل النصرانية ايضاً كتاباً مقدساً . وفي التوراة ايضاً تاريخ الامة اليهودية
 ولقد استفدنا كل ما اتصل بنا عن الشعب المقدس من الكتب المقدسة

العبرانيون - لما نزل الساميون من جبال ارمينية الى سهول الفرات
 أخذت احدى قبائلهم على عهد مملكة الكلدان الاولى تضرب نحو الغرب .
 فجازت الفرات فالقفرة سورية وبلغت بلاد الأردن وراء فينيقية وتعرف هذه
 القبائل بالعبرانيين يعني اهل ما وراء النهر وهم كعظم الساميين شعب من
 الرعاة الرحالة لم يحرقوا الارض ولا سكنوا الدور والمنازل بل كانوا يتنقلون

من مكان الى آخر في قطمان بقرهم وغنمهم وجمالهم منتجعين المراعي آوين الى الخيام على نحو ما يعيش العرب في البادية اليوم . وفي سفر التكوين وصف هذه العيشة البدوية

البطاركة - كان السبط منهم أسرة كبيرة مؤلفة من الرئيس ونسائه واولاده ومواليه وكان للرئيس على الجميع سلطة مطلقة فكان بهذا السبط أباً وkahناً وقاضياً ومملكاً . من اجل هذا دعونا هؤلاء الرؤساء البطاركة واعظهم ابراهيم ويعقوب فالاول اب العبرانيين والآخروالد الاسرائيليين اظهرتهما التوراة في مظهر رجلين ارسلهما الله ليرأسا شعباً مقدساً وقد اعطى ابراهيم ربه ميثاقاً ووعدته الطاعة هو ومن يأتي بعده من قومه فبشر الله ابراهيم بذرية تفوق نجوم السماء عدداً واطمأنت نفس يعقوب بان تكون منه امة عظيمة وشعب جم

الاسرائيليون - سمي يعقوب باسم اسرائيل اي مدافع عن الله لرؤيا رآها ودعي سبطه بني اسرائيل او الاسرائيليون . وذكرت التوراة ان القحط حدا يعقوب ان يغادر بلاد الاردن ليسكن واهل بيته صغارهم وكبارهم على التخوم الشرقية من مصر وهي البلاد التي دعاه يوسف احد ابنائه الى هبوطها وقد صار وزيراً لعزیزها احد الفراعنة . وظلّ بنو اسرائيل في تلك الارحاء قروناً كثيرة فجاءوا وعددهم سبعون نسمة ونموا على قول التوراة حتى صار عددهم ستمائة الف رجل . خل عنك النساء والاولاد

نزول الوحي على موسى - افتتح عزيز مصر يسوم الاسرائيليين ضروب المظالم ويضطرهم الى صنع الملاط والقرمد لا بتناء مدن حصينة فقام من بينهم اذ ذاك موسى احد ابنائهم وقد اوحى اليه ربه وعهد اليه ان ينقذهم من الجور

والعسف وكان يرعى غنمه ذات يوم على الجبل فظهر له ملك وسط عليقة تتلظى ثم سمع هذه الكلمات : « انا رب ابراهيم واسحق ويعقوب رأيت مادهم شعبي في مصر من الحزن وسمعت شكواه ممن يظلمونه وعرفت مايناله من العذاب ولذا نزلت لخلاصه مما ينتابه من المصريين لانزله بلاداً من ارض كنعان تفيض لبناً وعسلاً فتعال اذاً ارسلك الى فرعون تخلص شعبي ابنا اسرائيل ونخرج بهم من مصر » فقاد موسى الاسرائيليين وهاجروا من مصر وهذا مايدعى بالخروج اوسفر الخروج واجتازوا بسفح جبل طور سيناء وهناك تلقوا شريعة الرب وأخذوا يتيهون جيلاً كاملاً في القفار جنوبي سورية اسرائيل في القفر — وكثيراً ما كان الاسرائيليون يودون الرجوع الى البلاد التي تركوها فيقولون : « انا لنذكر ما كنا نطعمه في مصر من السمك والقثاء والبطيخ والكراث والبصل تخليق بنا أن نؤمر علينا زعيماً يقودنا الى بلادنا وكان موسى يدعوهم الى الطاعة ثم بلغوا الارض التي وعد الله بها ذراريهم الارض الموعودة — دعيت أرض كنعان أو فلسطين فدعاها اليهود بلاد اسرائيل ثم دعيت بعد بلاد اليهودية ودعاها أهل النصرانية الارض المقدسة وهي بلاد جافة قاحلة في الصيف ولكن فيها جبال وآكام وصفتها التوراة بما يلي : لقد ساقك ربك القيوم الى بلد طيب ذات أنهار ونبات في الارض تنبجس من الوادي وعلى الجبل بلد البر والشعير والكرم والتين والرمان والزيتون والزيت والعسل بلاد تأكل فيها خبزك آمناً من القحط لا ترزأ في مال ولا ينقصك شيء من رفاهية الحال. وبلغ عدد الاسرائيليين بعد الاحصاء عندئذ ٦٠١٧٠٠ رجل يحمل السلاح منقسمين الى اثني عشر سبطاً عشر منها من نسل يعقوب واثنان من نسل يوسف هذا عدا عن اللاويين

أو الكهنة وعددهم ٢٣ ألف رجل . وكانت تسكن البلاد التي نزلوها عدة شعوب صغيرة تدعى الكنعانيين فبادهم الاسرائيليون واستولوا على بلادهم « ديانة الاسرائيليين »

الله الفرد — عبد سائر الشعوب القديمة اربابا كثيرة أما الاسرائيليون فاعتقدوا بوجود إلهٍ منزّه عن الحيولى برأ العالم ودبره . ففي سفر التكوين ان الله خلق في البدء السموات والارض وقد خلق النبات والحيوان وخلق الانسان على صورته ومثاله فالبشر كلهم صنعة الله

شعب الله — بيد ان الله اختار من بين الناس جميعاً ابناء بني اسرائيل ليجعلهم شعبه وامته فدعا ابراهيم وقال له سأجعل بيني وبينك ذريتك عهداً لا كون ربك ورب ذريتك من بعدك . وقد تمثل الله ليعقوب قائلاً له : انا الله القادر اله آبائك فلا تخاف نزول مصر فساجعلك فيها امة عظيمة . ولما سأل موسى ربه عن اسمه اجابه : تقول لابناء اسرائيل اني انا الله السرمد اله آبائك ابراهيم واسحق ويعقوب ارسلني ربي اليكم هذا هو اسمي على الدهر

العهد — فبين الاسرائيليين والمولى تعالى اذاً اتحاد او عهد فالقيوم جلّ جلاله يحب الاسرائيليين ويدفع عنهم البوائق فهم والحالة هذه امة مقدسة « واعلى الشعوب كافة في نظره » وقد وعد ان يجعلهم سعداء اقوياء وتعهد الاسرائيليون ان يقابلوه على ذلك بان يعبدوه ويخدموه ويطيعوه فيما يريد عليه كما يطاع المشرع والقاضي والمعلم

الوصايا العشر — أوحى القيوم الصمد عزّ شأنه مشرع بني اسرائيل بوصاياه الى موسى على جبل طور سيناء بين البرق والرعد وهي مسطورة في

لوحين وهما اللوحان اللذان كتب الله عليهما وصايا العشر بما نصه : لا يكن لك آلهة اخرى امامي لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لاني انا الرب الهك اله غيور افتقد ذنوب الآباء في الابداء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي واصنع احساناً الى ألوف من محبي وحافظي وصاياي لا تنطق باسم الرب الهك باطلا لان الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا اذكر يوم السبت لتقدسه ستة ايام تعمل وتصنع جميع عملك واما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمنتك ونزيلك الذي داخل ابوابك لان في ستة ايام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه اكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض التي يعطيك الرب الهك لا تقتل لا تزني لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور لا تشته بيت قريبك لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا امته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك

الشرية — على الاسرائيليين ما خلا هذه الوصايا العشر ان يعملوا بكثير من الاوامر الالهية مما ذكر في اسفار التوراة الخمسة الاولى وهي التي تتألف منها شريعة اسرائيل . فالشرية تنظم عندهم احتفالات العبادة وتعين اعياد (السبت كل سبعة ايام والفصح ذكرى خروجهم من مصر وجمعة الحصاد وعيد المظال في موسم قطف العنب) والشرية هي التي ترتب الزواج والاسرة والتملك والحكومة وتعين العقوبات على الجرائم وتحدد الاطعمة والادوية فالشرية عندهم والامر على ما ذكر مجلة الاحكام الدينية والسياسية والمدنية

والجزائية ولمولى الاسرائيليين تعالى أن ينظم أعمال حياتهم جميعها
 (الديانة الفت الشعب اليهودي) لم يقبل الاسرائيليون بحكم الله قبول
 من خضع وخضع فقد قال موسى للاويين وهو على فراش الموت دافعاً اليهم
 كتاب الشريعة « خذوا هذا الكتاب ليكون شهادة عليكم يا اسرائيل لاني
 عارف بما أنتم عليه من شكاسة الخلق وقساوة القلب ولم تبرحوا طول حياتي
 تبدون نواجذ العصيان على المولى القيوم فليت شعري ماذا يكون من شأنكم
 بعد مماتي . وقد حدث أن مرت قرون ومن العبرانيين من يعبد الاصنام
 وربما كانت هذه الفئة هي السواد الاعظم من الامة على انهم أصبحوا أشبه
 بسائر الساميين في سورية وظل الاسرائيليون وحدهم على قدم الاخلاص
 للمولى جل شأنه فتألف منهم الشعب اليهودي وخرج الشعب المبارك بدين
 الله المتعال من قبيلة مجهولة على التدرج . نعم انها لامة قليلة الحصى والعدد
 ولكنها من الامم التي لها الشأن الاعظم في تاريخ العالم

« ملكة القدس »

القضاة -- نزل العبرانيون أرض فلسطين ولكنهم ظلوا منشقين قروناً
 كثيرة لم يكن لذلك العهد كما تقول التوراة ملك لاسرائيل بته بل كل يعمل
 على شاكلته ويحكم بما يوحى اليه رايه . وكثيراً ما كان الاسرائيليون ينسون
 ربهم ويعبدون آرباب القبائل المجاورة فاستشاط ربهم عندئذ غضباً من سيئات
 أعمالهم وأسلمهم الى أيدي أعدائهم يفعلون بهم الافاعيل حتى اذا ندموا على
 ما فرطوا في جنب الله وأصبحوا خاضعين خائعين يرسل ربهم اليهم قضاة
 يسمعون في خلاصهم من أعدائهم المباغتين وربما مات القاضي وعاد دبيب
 الفساد يدب في نفوس الاسرائيليين فيسجدون لمعبودات أخرى . وكان

هؤلاء القضاة مثل جدعون ويفتاح وشمشون من الغزاة يحررون القبائل باسم القيوم الابدي ثم لا يلبث الشعب أن يعود الى عبادة الاوثان والتلطخ بحماة العبودية

الملوك - سئم الاسرائيليون آخر الامر وطلبوا الى شمويل (سموأل) الكاهن العظيم أن يجعل لهم ملكاً فلما عليهم شاول على رفهم ارادته وكان على هذا الملك أن يكون منفذاً خاضعاً لارادة الرب لكنه حاول الخروج عن الطاعة وشق عصا الجماعة فراح الكاهن العظيم يقول له : لقد نبذت كلام الله ظهرياً فسيبعدك ربك عن الحكومة وينزع السلطة من يدك . ثم ان داود وكان زعيماً جندياً خلفه وحمل على أعداء اسرائيل كافة واسترجع لهم جبل صهيون ونقل اليه عاصمته وهي القدس .

بيت المقدس - كانت القدس بالنسبة الى بابل وثيبة عاصمة بلاد فقيرة . وما كان العبرانيون يتعاطون البناء ويميلون الى العمران بل كانت ديانتهم تحظر عليهم اقامة المعابد وكان يقضى على مساكن الخاصة أن تشبه تلك المكعبات من الحجر التي لا تزال تشاهد الى اليوم في شواطئ لبنان وقد غشيتها الكروم والتين ولكن كانت القدس بلد اليهود المقدسة وكان فيها للملك قصر يسكنه ألا وهو قصر سليمان الذي دهش العبرانيون بعرشه المصنوع من العاج وهناك أقيم بيت الرب وهو أول معبد عبراني

المعبد - كان المعبد الذي أقيم على عهد سليمان كبيت القربان المقدس عند النصاري مقسوماً الى ثلاثة أقسام ففي داخله يقوم قديس القديسين حيث كان تابوت العهد ولم يكن يسمح لغير السكاهن العظيم أن يدخله مرة في السنة وفي وسطه المكان المقدس وكان فيه مذبح البخور ومسرحة ذات أغصان

سبعة ومائة الخبز يدخل اليه الكهنة لحرق الغالية ووضع القرابين وفي المقدمة ساحة البيعة مفتحة أبوابها للناس تنذر فيها الضحايا على المذبح الكبير. وعليه فقد صار معبد القدس بعد واسطة عقد الامة يقصدونه من اقاصي فلسطين لحضور الاحتفالات وكان الكاهن الكبير الذي يرجع اليه أمر العبادة من أعظم الرجال وربما كان في الاحايين اكبر سلطة من الملك

الانبياء

نكبات اسرائيل — ان سليمان آخر ملك عرف بالحول والطول وانفصل بعده عشرة اسباط ألفوا مملكة اسرائيل تلك المملكة التي عبد سكانها عجول الذهب وأرباب الفينيقيين ولم يخلص منها الدين لله وحده أو لملك بيت المقدس سوى سبطين ومنهما قامت مملكة يهوذا (٩٧٧) ولقد انتهكت قوى تينك المملكتين بما اضطررا الى دخوله من المعارك حتى اذا جاءتهما جيوش الفاتحين من الشرق خربت مملكة اسرائيل بأيدي بختنصر ملك الكلدان (٥٨٦)

احساس الاسرائيليين — رأى المؤمنون من الاسرائيليين هذه المصائب عقوبة لهم وان الله عذب شعبه لخروجه عن طاعته على نحو ماجرى قديماً على عهد القضاة وأسلمه للفاتحين يمزقونه كل ممزق . وركب أبناء اسرائيل هواهم واجترحوا الآثام في جانب مولاهم فبنوا علالي وقصوراً في المدن كافة وحذوا حذو الامم المحيطة بهم خالفوا بذلك أمر ربهم وما حرمه عليهم فصنعوا صوراً مسبوكة وسجدوا للكواكب وعبدوا الصنم بعمل ولذا نبذ الله تعالى أصل اسرائيل وعاقبهم فجعلهم طعمة لمن يكتسح بلادهم ويسلب طارفهم وتلاذم الانبياء — على ذاك العهد ظهر الانبياء وهم الياس وأرميا وأشعيا وحزقييل وفي العادة أن يخرجوا من القفر بعد أن يقضوا زماناً في الصيام والصلاة

والاعتبار والتدبر يأتون باسم الله لا غزاة مثل القضاة بل منذرين ومبشرين يدعون الاسرائيليين الى الانابة وقلب الاصنام والتوبة الى باري النسم وينذرونهم بالخطوب التي يبعثها الله عليهم بعد اذا لم ينبؤوا اليه فكانوا من ثم يدعون ويتنبأون التعليم الجديد - رأى هؤلاء الرجال المستمسكون بالامر الالهي أن العبادة الرسمية في القدس غثة باردة . وليت شعري لم يذبحون البقر ويحرقون البخور اجلالاً لله على نحو ما يفعل الوثنيون . يقول عيسو : « أضيخوا إليّ باسماءكم وعوا ما يقوله تعالى : ما ذا أعمل بجموع قرايبتكم فقد شبعتم من ضحايا الغنم ومن دهن الحيوانات السمينه وما عاد ياذلي دم الثيران ولا الخرفان ولا التيوس فكفوا إذاً عن أن تقدموا لي ضحايا هي من العبث فان نفسي عزفت عن استنشاق بخوركم ومتى ترفعون أيديكم أحول نظري عنكم لان أيديكم ملأى بالدم المهرق فقوموا وطهروا أنفسكم وارجعوا عن سيئات أعمالكم عودوا أنفسكم عمل الصالحات وخذوها بتوخي طريق الرشاد وحماية المظلومين واقسطوا اليتيم ودافعوا عن الاليم وعند ما تصير خطاياكم كالقرمزي حمراء تبيض كالثلج » وبهذا رأيت ان الانبياء أرادوا الاستعاضة عن القيام بالندور والضحايا بالعدل وصالح الاعمال

المسيح - استحق بنو اسرائيل ما دهمهم من المصائب ولكن لكل قصاص حد ينتهي اليه وغاية يقف عندها فقد قال عيسو باسم الحي القيوم أيها الشعب لا تخشى الاشوري أبداً فانه سينالك من عصاه مثل ما كان ينالك من المصري في الزمن الغابر ولكن ستفتأ سورة غضبي قريباً ويرفع عن كاهلك ذاك العبء الثقيل . وعليه فقد علم الانبياء الشعب اليهودي أن ينتظروا بعثة من يخلصهم وهياؤوا السبل للمسيح

الشعب اليهودي

الرجوع الى بيت المقدس - جاء اناء يهوذا من سهل الفرات ولم ينسوا وطنهم ولطالما احتفلوا به وتذكروه في اناسيدهم يقولون جلسا على شاطئ انهار بابل وتكينا وقد ذكرنا صهيون . فعيداما كانت معلقة في استجار المصفاة على ضفة النهر وكان يقول لنا من أتوا لنا : تعنوا ببضع اناسيد من جبل صهيون ولكن أنى لنا ان تغنى بتسيد للرب في ارض غريبة وبعد سبعين سنة في العبودية اذن سر وس فاتح بلاد بابل ان يعودوا الى فلسطين مجددا ناء البيت المقدس والمعبود وعادوا الى احياء الاعياد والاحتفالات بالكتب المقدسة وحددوا العيد مع ربهم علامة على ايمانهم عادوا الى طاعته وعدوا من تبعه وهذا العيد عبارة عن ميثاق على الاصول كتبه اعيان الشعب ووقعوا عليه .

اليهود - دامت مملكة القدس الصغرى مدة سبعة قرون يحكمها ملكت تارة وكاهن كبير أخرى وفي كلتا الحالتين كانت تؤدي الحرية الى رعماء سورية فجي حراها الفرس اولا ثم المقدونيون ثم السور يون ثم الرومانيون . ولقد صدق اليهود (دعوا كذلك لدن رجوعهم) مع ربهم ظلوا على عيدهم الاول من العمل بتسريعه مومى والاحتفال بالاعياد وتقديم النذور في القدس وكان الكاهن الاكبر يحفظ التسريعة بظاهرة مجمع الاعيان والكتبة يقرؤها والعلماء يفسرونها للشعب وجمهور المؤمنين يرون من واجباتهم الحري سلبا واعمال بدقيقتها وجليها واشتهر الفريسيون خاصة بعيرتهم وتدابيرهم في القيام بحروب الاعمال الصالحة

المدارس (الكنائس) - ومع هذا فقد كان اليهود يرحلون في التجارة وينتسرون خارج بلادهم في مصر وسوريا وآسيا الصغرى وايطاليا وكانت طائفة من اهل مذهبهم في المدن الكبرى جميعا كالاسكندرية ودمشق واطاكية وافيس وكورنت ورومية وكانوا ابدأ يجتمعون في صعيد واحد ليحفظوا كياناتهم ويجمعوا تملهم المتانت بين الوتبيين ولم يقيموا المعابد لان الشريعة كانت تحظر عليهم ذلك وليس لهم ان يبنوا سوى معبد يهودي واحد الا وهو معبد القدس حيث كان يحتفل بالاعياد وتقام المواسم والشعائر بيد ايمانهم كانوا يجتمعون ليشرحوا كلام الله ويتلوه ودعيت هذه الاماكن باسم يوناني (الكنيس) ومعناه المجالس حراب المعبد - ظهر المسيح في حلال تلك المدة فصاحبه اليهود واضطهدوا حواريه سواء كان في بلادهم او في المدن الكبرى التي حل فيها اجم الغفير منهم . ولقد شقت القدس عصا الطاعة عام ٧٠ على الرومانيين فاحذت عنوة وذبح سكانها كافة او بيعوا الاماء والعبيد فالتى الرومانيون النار في المعبد وقد حفل وطابهم بالاعلاق المقدسة . ومن يومئذ لم يعهد لليهود مجمع لدينهم

ما كتب على اليهود بعد أن فرقتهم - عاشت الأمة اليهودية بعد خراب عاصمتها ولما انتهت
سماها تحت كل كوكب في العالم انتشرت تستغني عن المعبد وابتقت كتبها المقدسة مكتوبة
بالعبرية . والعربية لغة بني اسرائيل الاصلية لم يتكلم بها اليهود منذ رجوعهم من بابل بل اقتبسوا
لغات الشعوب المجاورة كالسريانية والكلدانية وخصوصا اليونانية . على ان الممترين في الدين
من الربانيين ظلوا يعرفون العبرية وهم يتسرحون التوراة ويسرونها وهكذا حفظت الديانة
اليهودية ونفصل اللغة العبرية ايضا بقي الشعب اليهودي وكثر امتياع هذا الدين في الاعيار
مكان في المملكة الرومانية اس كثير من يدينون باليهودية وليسوا من العنصر اليهودي
في تمي .

قويت شوكة الكنيسة المسيحية في القرن الرابع فطفت تصطيد اليهود اصطهادا دام
الى يوم الناس هذا في البلاد المسيحية جميعا . ومن العادة ان يتسامح مع اليهود في احوالهم
ديانتهم لغنائهم واستشارهم بفروع الاعمال المالية ونكسهم يحجبهم عن ممارسة الوظائف الادارية
واقدر اكرهوا في معظم المدن ان يلبسوا ثيابا خاصة ويلبوا في حي خاص مظلم وحيم ويل
وان بيعوا احيانا باحدهم يصنع في سبب الفصح والاس يرموهم باسمهم يسمون اليسايين ويقتلون
الاطفال ويدسون القربان المقدس ورموا تدورون بهم في الاحاس فيقتلونهم ويعتدون ما في
دورهم ويستقيهم قصاة الدلاد السم او يعدونهم او يحرقون لافل حجة تامة ولطاما بهم
الحكومات روافد من بلادها وصادرت امواتهم واقدر اجتب دار اليهود من فرنسا واسبانيا
وانكسرا وايطاليا ولم تنق منهم قية الا في الادراتعال ومانيا وبلوينا وفي البلاد الاسلامية
ومن هذه الممالك رجعوا الى سائر قارة اورونا منذ انتهت ايام اصطهاداتهم وكسب الناس
عن ارفاقهم واعنائتهم



الفرس

دين وردشت

ايران - بين بهري دجلة والسند وبحر الحر والمحيط الفارسي صقع عظيم يعرف ببلاد ايران تبلغ مساحته خمسة اضعاف مساحة فرنسا او تزيد ولكن معظمه مخدب قاحل وهو يتألف من صحارى رمال محرقة ومن الحاد باردة قارسة تشقها اودية عميقة شجرا وتحيط بها جبال شاهقة. واد حيل بين الانهار وحريرا وهي لا تسير الا ريتا تصيع في الرمال او في بحيرات مالحة. ويستند هوا هذه البلاد ويقلب فيكون حرا في الصيف وقررا في الشتاء وقد يجتار من يهبط هذه البلاد من منطقة تبلغ درجة حرارتها نحو ٣٢ تحت الصفر الى منطقة حرارتها ٢٥ ستغرادا بمعنى ان تلك البلاد جمعت الى ردسيبريا حرارة السبعال. وهناك تعصف الرياح الرمارع فيعزل في الاحسام فعل الحسام. بيد ان الاودية وضفاف الانهر محصنة منبهة. وهذه البلاد هي ولا حرم مصدر الدراق وتخر الكرز ومستنبت التمار والمراعي

الايرانيون - سكنت بلاد ايران قديما من الآريين (١) القاطنين للمح اي بكتريا وهي الوطن الاصلي للجنس الآري (٢) كانوا كسائر ابناء هذه البلاد حبا من الرعاة المسلمين المحاربين. ولقد كان الايرانيون يقاتلون على ظهور الخيل ويطلقون السهام وينسبون السبة من الحاد يحنونها وقاية على ادماعهم من هوا بلادهم الشديد.

وردشت - عند الايرانيون اولا ما عبده قديم الآريين من قوى الطبيعة وخصوصا الشمس "ميتر" وقام من اظهرهم حكيم اسمه وردشت (٣) له ادوله كتب كثيرة منها ما له علاقة بالشريعه ثم ظهر وردشت واصلى هذا الدين (٤) ويدعوه الافرىخ زرواستر فاضلى ديانة الايرانيين بين القرن العاشر والسادس قبل الميلاد ولم يبلغنا من احماره غير اسمه. الرانداستنا (الزردو بازندواستنا) - لم يبق شيء مكتوب يؤثر عن وردشت ولكن تعاليمه المؤلفة بعده يرمن طويل قد حفظت في الرانداستنا اي التبعة والاصلاح وهو كتاب الفرس المقدس. وقد كتب هذا السمر بلغة قديمة لم يفهمها اتباع هذا المذهب انفسهم ودعواها

(١) ما كان في هذا الفصل بين هالين هو في الغالب من املاء العالم الدكتور مرزا مهدي حان زعيم الدولة ورئيس الحكماء صاحب جريدة حكمت الفارسية انجرا بصير واليه رجعا في تصحيح بعض الاعلام

اي الافرنج باربد « وكانت تنقسم على ماورد في اساطيرهم الى احدى وعشرين نسخة كتبت على اثني عشر الف جلد تور صم بعضها الى بعض باسلاك من الذهب وارادها المسلمون لما فتحوا بلاد فارس واحتفظت بعض اسرات ايرانية بتعاليم زردشت واخلصوا دينهم له فلجأوا الى بلاد الهند فحفظ فيها احلافهم المدعوون بارسيس تلك الديانة القديمة . وقد وجد عندهم سفر تام من الرايدافستا وقطع من الكتابين الآخرين

اورمزد «هرمز وهرمس» واهرمين «رمر الى العقل والهمس وعمد العامة اله الخير والشر» هذه ديانة زردشت على نحو ما ورد في تلك الكتب الا ان هرمز الذي يدعوه الافرنج اورمزد وهو الديان الذي لا يخفى عليه شيء خلق العالم والقوم يصلون له بهذه الالفاظ ادعوا الخالق هرمز واحتمل شعائره فانه الدور والعياء عظيم رحيم كامل تنهم ذكي جميل سام طاهر يعرف العلم الصحيح مصدر اللذة وهو الذي برأنا وصورنا واضعما « واذ كان على جانب من الصلاح لم يخلق الا ما هو كذلك وما يرى في العالم من شر فقد برأه رب الشر انكرامانيو اي روح العذاب وندعوه اهرمين (وديو اي شيطان)

الملائكة والشياطين - يقف اهرمين الشقي المخرب قبالة هرمز الباريء الخليم ولكل منهما طائفة من الارواح جنود هرمز الملائكة المطهرون « ياراستا » وحنود اهرمين شياطين حباء (ديو) ويسكن الملائكة في الشرق في ضوء المشرق والشياطين في الغرب في ظلمات التسق وكلا الحيتين لا يزالان في حرب دائمة والعالم ساحة قتالهما لان كليهما حاصر في كل مكان فيسعى هرمز وملائكته الى الاحتفاظ بالخلق واسعادهم وصلاحهم ويطوف اهرمين وشياطينه حولهم لاهلاكهم وسوء طالعيهم وصلاحهم

حلائق هرمز واهرمين - كل حصة في الارض هي من صنع هرمز ونستخدم للخير والشمس والعياء اللدان يطردان الليل والنواك والشراب الخمر الذي يتراءى كآله ضوء سيال والماء المروي للاسنان والحقول المروسة التي تغديه والاشجار التي يستظل بها والحيوانات الاهلية والكلب والطيور منها خصوصا ما يعيش فيها في الضوء ولا سيما الديك لانه يبشر بالنهار هذه كلها برأها هرمز وعلى العكس يبعث كل ما يضر من اهرمين فيكون شراً مثل الليل والحفاف والبرد والقفر والنباتات السامة والتسوك والحيوانات الكاسرة والافاعي والحلمات الطفيلية (كالبعوض والبراغيث والبق) والحشرات التي تعيش في الحجور المظلمة كالصبيان والعقارب والصقار والحردان والنمل - وهكذا تبعت الحياة والطهارة والحقيقة والعمل وكل ما حسن في عالم الاخلاق من هرمز والموت والقذارة والكذب والكسل وكل ما حبت وساء يبعث من اهرمين

العبادة - مصدر العبادة والاحلاق من هذا الاعتقاد فعلى المرء ان يعبد رب الخير (١) ويناضل عنه . يقول هيرودتس : ان من عادة الفرس ان لا يقيموا هياكل ومعابد ومذابح الارباب و يعد من أقى ذلك كافراً بالنعمة لان هذه الامة لا تؤمن بقد اعتقاد اليونان من ان الارباب صورة على نحو صورة البشر . وان هرمليندو بهيئة النار او الشمس ولدا يحفل الفرس بعبادتهم في الحلاء على الجبال امام موقد مشعل فيستدون الاناسيد تحيداً لهرمر ويذبحون له الحيوانات (كذا) دليلاً على عبادته

الاخلاق - اصل الاساس عن هرمر محسناً لعمله مقبلاً لعمل اهرمين فيجاهد في الظلمات وهو يمد النار بالخطب الخاف والعطور ويجاهد في القفر تحرت الارض وابتداء البيوت ويجاهد حيوانات اهرمين قبل الحيات والصاب والحلمات الطفيلية والحيوانات الكاسرة ويجاهد الدس وذلك انه يتطهر ويدفع عنه كل ما مات وخصوصاً الاطافر والشعور وحيثما وجدت الشعور والاطافر المقصوفة هناك يجتمع الشياطين والحيوانات القدرية . ويجاهد الكذب حارياً على قدم الصدق . قال هيرودتس ان الفرس يستحقون الكذب وهو عندهم عار وسبة كما انهم يكرهون الاستدانة لان المديون يكذب بالضرورة . ويجاهد الموت وذلك بالرواج والاستكسار من الولد . كما في الراندوستا ما اقبح البيوت التي حرمت من السل والدراري الحائر - متى مات الاساس تعود حبه الى رب التبر ولذلك يقتضي انقاد الدار منها لا باحراقها فانها تحبس الدار ولا بدفنها فانها تحبس الارض ولا اعراقها فانها تحبس الماء ومن فعل ذلك فيكون قد تلطخ بحمأة القذارة ابد الدهر . وطريقة الفرس في دفن موتاهم تختلف عن غيرهم من الامم فيجعلون الحثة في مكان عال مكشوفة حبهها نحو السماء مثقلة احجار تم يركبون الى الفرار حثية من الشياطين لانها تجتمع رغمهم في اماكن الدفن حيث مأوى المرض والحى والقذارة والرعب والشعور القديمة وسعدها تجي الكلاب والطيور وهي من الحيوانات الطاهرة فتطهر الحثة باقتراسها

مصير الارواح - تفصل روح الميت عن جسده وفي اليوم الثالث من موتها يؤتى بالروح على الصراط (شايواد) المؤدي الى الجنة ماراً فوق هاوية جهنم فيسأل هرمر الروح عمدت عن حياتها السالفة فان كانت محسنة تعصدها الارواح الطاهرة وارواح الكلاب وتأخذ بيدها لاجتياز الصراط ويدخلها الى مقام السعداء (برودس اي فردوس)

(١) ان بعض روادقه الفرس امهدا (هـ في ارض الحريرة) يعبدون رب التبر على عكس ذلك وينهبون الى ان امدهب الخير لما كان في داته سالخا ورحيماً لا حاجة ان ينحصر له و يقترب اليه بانواع القربات وتدعى هذه الطائفة اليزيدية (عبدة الشيطان) قاله المؤلف

فيهرب الشياطين لاجلها تتجافى عن روح الارواح النقية اما روح الشرير فيصل على العكس من ذلك الى الصراط ضعيفة مرتجفة لا يأخذ احد بيدها ويلقي بها الشياطين في الهاوية ويتناولها روح الشر ويقيدها في قعر الظلمات .

طبيعة الديانة الهرمزية او الهرمسية المردية - نشأت هذه الديانة في بلد يستند فيه الاختلاف والتناقض فمهما الاودية الباسمة بررعها والاراضي البائرة المحزنة والواحات الرطبة والقفار المحرقة والحقول والسهول الرملية بحيث يراءى قوى الطبيعة فيها كأنها في حرب عوان انداء . وهذا الجهاد الذي يمثل للفارسي فيما يحيط به قد اتحدته تسريعة للعالم . وهكذا تألفت ديانة حالصة من التسوائب تدفع بالانسان الى العمل والفضيلة على حين قد انتشر هذا الاعتقاد بالتيطان والخن في الغرب وشغل شعوب اوربا كافة بالاوهام

المملكة الفارسية

الماديون (١) - سكنت بلاد ايران عدة قبائل ولم يستهز من بينها سوى الماديون والفرس حيم الماديون في غرب بلاد فارس وهم اقرب الى الآشوريين ولذلك كان يلى ايديهم حراب يابى واولادها « ٦٢٥ » ولكن لم يلبسوا ان يستعرقوا في الثوب واشتاوا يتحدون بياها مسدولة وبألمون البطالة ويعقدون اعتقادات خرافية شأن الآشوريين والاقطريين وما رالوا على ذلك حتى امزجوا معهم اي امزاج

الفرس - اما الفرس فكانوا في الانحاء الشرقية (والجنوبية) واحفظوا اخلاقهم وديانهم وتدينهم . يقول هيردوتس ان الفرس لا يعلمون اولادهم الى سن العشرين عبر ركوب الجبل ورمي النشار وقول الصدق .

قورث اوسيروس او كيجسرو - قام رئيسهم قورث حوالى سنة ٥٦٠ وجمع ملوك الماديين (الذي هو حده لاه) وجمع تحت لوائه شعوب ايران كافة وفتح بهم ليديا وبابل وجميع بلاد آسيا الصغرى . ويروى لهذا الملك قصة فضايها هيرودتس في تاريخه بضميلاً شافياً قال انه دعا نفسه في بعض مازره على الاحجار بقوله انا قورث ملك الكنائب والعظمة والاقمدار انا ملك بابل وسومير واكاد ملك الاقاليم الاربعه وابن كمبر (كيككوس) وسلطان سوزان رسوم يستون - اهلك كبير بكر اولاد قورث احاه سمرديس وفتح مصر (على قول اليونان) علمنا ذلك مما اتصل بنا من الرسم الذي مثل فيه ذلك ولا تزال ترى الى اليوم في تحوم الفرس

(١) (بلاد مادي اسمها العرب بلاد الجبل والعراق المجي واررنايجان واسرabad اي

ولايات فارس وكرمان ومكران اي الموجدستان وخراسان)

وسط سهل افبح صخرة هائلة تحت نحتاً عمودياً علوها ٢٥٠ متراً وهي صخرة يستون وهناك حروف ناتئة على الحجر تمثل ملكاً متوجاً ويده اليسرى على قوس وهو يدوس اسيراً وتسعة اسرى آخرون واقفون امامه وقد قيدهم بنفسه . وكتبت ترجمة حياة الملك في رسم بتلات لغات فقد اعلن الملك دار يوس « دارا » ذلك فقال : هذا ما قت به قبل ان اعدو ملكاً فقد كان كبير بن قورش من بني جنسنا يحكم هنا قبلي وكان له اح لانيه وامه واسمه سميرديس فقتل دات يوم كبير احاه سميرديس ولا علم للقوم بما حنته يداه . ثم وجه كبير وجهته نحو مصر وبينما هو نازل فيها تار به الشعب وكان قد اصبح الكذب مألوفاً اد دالك في تلك البلاد وفي بلاد مادي وسائر العائلات فقام موبدان « ١ » كان حاصراً اد دالك اسمه عوماتا وحدد الامة بقوله : انا سميرديس بن قورش وعندئذ انقض الشعب اجمع وانصرفوا نحوه متخفين عن كبير . تم قصي كبير نحوه محراج حرج نفسه به وبعد ان اتى عوماتا ما اتى من هذه الحيلة واستلب من كبير بلاد الفرس ومادي وسائر الاقطار حرى في الحطة التي شاءها وصار ملكاً على هذه البلاد وحاكماً متحكماً في اهلها . فخافه الشعب لظلمه وكان لا يستنكف من قتل الامة عن بكرة ابها لئلا تنكشف حيلته ويعرف القوم انه لصيق بسميرديس بن قورش ودعي في اسمه وقد اظهر للملك دار يوس هذه الحديعة ولم يكن احدي في بلاد الفرس ومادي يحجراً على استرجاع تاج الملك من هذا الموبدان عوماتا . قال دارا بعد ان قدم ما سلم وعمدت بقدمت ودعوت الرب هرمر فاداني بالتوسل به وكان في صحبتي ناس دوو احلاص وصدق واعانوني على قتل عوماتا وخاصة رحاله فاصحت منكا نسيئة هرمر واستعدت الملك الذي كان نوقومنا سلبوه وارحمته الى حورتي واحدت اعيد المدايح التي طوى بساطها الموبدان عوماتا وذلك لاني كنت محلصا للامة واعدت الاناسيد والاحتفالات المقدسة الى سابق عهدها . واضطر دارا بعد ان صرب دالك الدحيل عوماتا ضربة قاضية ان يقاتل عدة زعماء تائرين فقال لقد قاتلت تسع عشرة مرة وعالبت تسعة ملوك

المملكة الفارسية - علم نامضي ان دارا احضع المملكة المختلصة واعاد مملكة الفرس وقد وسع نطاقها بفتح تراس « تراتيا وهي اليوم بلاد الملغار والرومي » وولاية من الهند . وكان ينصم تحت لوائه شعوب الشرق اجمع من ماديين وفرس واسوريين وكدايين ويهود وفينيقيين وسوريين وليديين ومصريين وهنديين فكان سيف سطوته يحمي الاصقاع الواقعة بين نهر الدانوب « الطوبة » عرباً وهرالاندوس (السند) شرقاً وبين بحر الحرر شمالاً الى شلالات النيل جنوباً . مملكة لم يعهد لها مثيل في الضخامة (١٢٠ مملكة) بيد ان قبيلة جاءت بعد

(١) (موبد موبدان اي رئيس الكهنة)

واستولت على تركة الممالك الآسيوية باجمعها

اقبال الفرس - قتلوا يعني ملوك الشرق بامر رعاياهم الا ليستنزفوا اموالهم ويمتنعوا في سبيل سلطانهم ابناءهم وينالوا مديحهم وتناءهم وما قط اخذوا انفسهم النظر في شؤون من يحكمونهم. وكان شأن دارا (١) في هذا المعنى شأن سائر ملوك الشرق ترك كل قبيل في بلاده يحكم نفسه على ما يشاء ويتشاء هواه محافظاً بلغته ودينه وتراثه واحياناً رؤسائه وسادته من قبل . على انه كان يعنى بتنظيم دخل المملكة الذي ينقاضه من رعاياه فقسم بلاده الى عشرين (١) حكومة سماها امارة . وكان في كل حكومة شعوب مختلفة كل الاختلاف سواء كان بلغتها او بعاداتها ومعتقداتها وكان على كل حكومة ان تؤدي مساهمة حراجاً معيناً بعضه نقد " ذهب وفضة " وبعضه علات وبنائج " قمح وحبيل وعاج " فيتقاضى حاكم كل مقاطعة او قبيلتها ممن وسد اليه امرها الخراج ويبيع منه الى مولاه الملك

دخل المملكة بلغ مجموع دخل الملك ثمانين مليوناً نسكة زماناً ما عدا حراج العلات . واذا اعتبرنا قيمة النقود في ذلك العصر فانها تعادل ستاتة مايون جنيه (؟) في ايامنا . وكان الملك ينفق هذا على حكومته وحيثه وحاضته و مدح قصره ويبقى عنده كل سنة مائة عتامة من العيين يدخرها في صاديقه وكان ملك الفرس مثل سائر الملوك المشاركة يرى امتلاك الكنوز العظيمة من دواعي الامة وانتجد

السلطان الاعظم - لم يكن في العالم اعلى ولا اقدر من ملك الفرس فقد كان اليونان يدعونه السلطان الاعظم . (ملك الملوك شاهنشاه) وكان له كسائر ملوك الشرق سلطة مطلقة على رعاياه كافة فرسا كانوا ام غيرهم من سائر الشعوب الخاضعة لعرشه . وانت ترى فيما ذكره هيروdotس كيف كان كبير يعامل اعظم سادات قصره سأل يوماً بريكستاس (بري كشتاسباي روح العظمة) وكان ابنه يسقيه ماذا تقول الامة في امري ؟ فاجابه . مولاي انهم يثنون على محامدك اطيب التناء ولكنهم يذهبون الى ان لك ميلاً قليلاً للعدو

١ (هو انتدع طريقة البريد وتجنيد العشرة والمئات والالوف الخ وحمل لكل مملكة حاكماً مدنياً وحاكماً عسكرياً وحمل كلا عينا على صاحبه يرسلان اليه بتقاريرهما كل اسبوع)

٢ قال المؤلف ذكر هيروdotس عشرين حكومة وقد عثر في الرسوم المزبورة على احدى وتلاتين حكومة قال مرزا مهدي حان الظاهر ان هذا الالتباس في تقدير الاعداد جاء من ان ممالك هذا الفاتح العظيم كانت منقسمة لثلاثة اقسام منها مملكتا مادي والفرس الخاصة وما بقى منها قسمان قسم استعماري وقسم استملاكي

قال كبيز وقد استشاط غضباً من هذا . اعلم اذا كان الفرس يقولون حقاً وصدقاً . فاذا انار ميت
بسهمي قلب انك الذي تراه واقعاً امامك في هذا اليهو فذلك ان الفرس لا يعرفون ما يقولون .
وما هو الا ان اعد قوسه وضرب ابن بريكتاسب حجر الفتي صريعاً فحماه الملك ينظر اين
اصابه سهمه فراه قد اصماه ومزق حشاه . فاستفر السرور الملك وقال لوالد العلام وهو
ضاحك : لقد رأيت بهذا ان الفرس قد اضاعوا رشدهم فقل لي هل عهدت احداً يطلق
السهم اطلاقاً له فيصيب العاية على ما رأيت من الرشاقة . فقال بريكتاسب لا اعتقد ايها
المولى انه في وسع الرب نفسه ان يرمي النبال متلك في الدقة والاعتدال

اعمال الفرس -- ادى شعوب آسيا في كل دور من ادوارهم جريفة للفاتحين وحصعوا للظالمين
والغاشمين فنفعهم الفرس كثيراً بان كفوا بعضهم عن مقاتلة بعض وازالوا من بينهم اسباب
التحناء وذلك لانهم اخضعوا كل الشعوب لرئيس واحد . وكان عهدهم عهد سلام لم تعبد
فيه مدن تحرق ولا ديار تحرب ولا سكان تذبح او تؤخذ زرافات وافواجاً لتستعبد

مدينة سوس و برسو بوليس (١) -- عني ملوك الماديين والفرس باقامة القصور على نحو
ما كان يقيم ملوك اشور . واحسن ما اتصل بنا خبره من تلك القصور قصور دارا في سوس
وبرسو بوليس وقد حفر المسيو ديولاوا الافراسي خرابات سوس فعثر فيها على نقوش وقرامد
مرينة بالمينا تبين ارتقاء الصنائع اد ذاك وبقيت من قصر البرسو بوليس خرائب عظيمة
وقد نحت في صخر الجبل سطح عظيم قام عليه القصر وهو يوصل اليه سلم واسع بالمحدار قليل
يحيط كان يتألف لعشرة فرسان ان يصعدوه معاً

النقش الفارسي -- حدا نقاشوا الفرس حذوا الاشوريين في اقامة قصورهم فتجدها في
برسو بوليس كما تجدها في بلاد اشور سقوفاً متسعة السطوح يحرسها اسود من الحجر والنقوش
النائية تمثل صيوداً واحنقالات . وقد احسن الفرس في اتمام نموذجاتهم في ثلاثة اشياء
وذلك بان استعملوا الرحام عوضاً عن القرميد وجعلوا في الردهات سقفاً بالخشب المصور واتسأوا
اعمدة خفيفة على شكل جدوع الاشجار في اقصى ما يعلم من الخذاقة واللفظ وهي اعلى من
محيطها باثنتي عشرة مرة . ولذلك جاءت نقوشهم اجمل انراً ووقع في النفوس من نقوش
بلاد اشور . وقبلما يبح الفرس في الصنائع ويظهر اهم كانوا احشم شعوب ذاك العصر
واظهرهم واتجمعهم وكانت وطأة حكمهم في آسيا مدة قريبين اقل حوراً مما عرف من خروب
الحكومات وكانوا اميل الى الرفق بمن يحكمون

(١) (سوس في ولاية شستر هي التي ظهرت فيها شريعة همورابي و برسو بوليس هي

اصطخر في ولاية فارس بالقرب من مدينة شيراز)

اليونان

العناصر اليونانية

صورة هذه البلاد - ارض يونان من الاقاليم الضيقة المضطرب (هي ٥٧.٠٠٠ كيلو متر مربع) لا تكاد - احتما تزيد عن مساحة سويسرا ولكنها بما فيها من اختلاف الالهوية وما يتخللها من الجبال وينقسمها من الخلجان اقليم غريب في شكله خلق ليؤثر تأثيراً كبيراً في احلاق ساكنيه . ونقطع ارض اليونان من وسطها سلسلة من الجبال (البند) فيناوح الجبل فيها جبلاً متله ويقوم الصخر الى جانب الصخر حتى اذا بلغ ترعة كورت ينخفض وترتفع مقاطعة المورة في الجانب الآخر من التربة فيعلو عن سطح البحر ستمائة متر كأنه حصن احاطت به سلاسل عالية وعرة متلجة تنزل في البحر على خط قائم وتمتد الحزر على طول الشاطئ وما هي الا جبال ممتورة يمر راسها فوق الماء . ونقل في هذه الارض ذات الوهاد والتجاد التربة الزراعية وتكاد لا ترى حيثما القيت ناظرك غير صخور جرداء مرداء اما الانهار فتشبه سيولاً ليس فيها غير طريدة ضيقة من التربة المنبتة بين مجراها واصفه جاف وبين صخور الجبال الخرداء . وكان في هذه البلاد الجميلة بعض عابات واتجار سرو وعار ونجيل وكروم عرست في مواضع من التلال ولكن قلما انت اعلات جيدة او براعي حصية . فبلاد هدا تأسر طبيعتها بشأناؤها ثمة ثوقة قدودهم قوية اجسادهم قابعة نفوسهم .

البحر - تعد بلاد يونان من البلاد الساحلية وهي اصغر من البرنغال وسواطئها تكاد تقرب من شواطئ اسبانيا لكثرتها يساب فيها البحر من عدة خلجان ووقائع (١) وتجار . ومن العادة ان يحيط باليم صخور لتقدم او جرر لتقارب يتألف منها مرماً طبيعياً . وهذا البحر اتبه بحيرة لامتد فيها ولا جزر ولذلك سلمت سواطئه من الضرر وليس لونه كالبحر المحيط ابيض كامداً كثيراً وهو في العادة هادي ، صاف ولونه كالبفسج كما يقول هوميروس ولا اكثر استعداداً من هذا البحر للسفر فيه سفرأ قصيراً . ولقد تهب ريج الشمال صحيحة كل يوم فتسير بها قوارب مدينة آتينة نحو آسيا ونقذفها ريج الجنوب في المساء الى المرفأ والحزر من بلاد اليونان الى آسيا الصغرى قائمة مثل صخور الكمين واذا صحت السماء تقطع السفينة المسافة وهي بمقربة من اليابسة تراها كل حين . ولذلك كان لسكان هذه البلاد من سككون بحرهم ناعت على ركوبه واجتيازه فاصبح اليونان من تم بحارة وتجاراً وسياحاً

(١) في القاموس الواقعة نقرة في جبل اوسهل يستنقع فيها الماء جمعه وقائع ووقائع

والصوص بحر ومتشردين على نحو ما كان الفينيقيون فانتشروا في العالم القديم اجمع وجلبوا الى بلادهم سلع مصر وبلاد الكلدان وآسيا واحتراعاتها .

هواؤها - لطف هواء بلاد اليونان حتى ان الجليد في آنية لا يحدث الا في كل عشرين سنة والحر معتدل في الصيف بما يهب عليها من نسيم البحر والى اليوم لا يزال الشعب فيها ينام في الطرقات مند شهر مايو « ايار » الى اواخر سبتمبر « ايلول » والهواء فاتر جاف وكان يرى على بضعة فراعسح في القامة المائلة على آنية ريش تمثال بالاس وليست دوائر الجبال القاصية مسنورة بالضباب كما هو الحال عدنا معاشرة الفريسيين بل انها نخل بأسرها في السماء الصافية . هذه البلاد بجملها تدفع المرء ان يتخذ الحياة عيداً فيرى كل شيء باسم حواليه فمن رهة في الحدائق بالليل واستماع اصوات الصراخير ومن الجلوس في ضوء القمر والضرب باستباب وقصد الجبال للشرب من مائها واستنحباب الراح وتبريه على النفات والاعاني وقضاء الايام في الرقص هذه هي ملاد اليونان وما هي الا ملاد جيل من الناس فقير مقنصد في لا يعرف الهرم ابداً .

ساسة العيشة اليونانية - لا يتعب المرء من حرارة هذه البلاد ولا يتقى ببردها بل يعيش في الهواء الطلق مسروراً قليل النفقة ولا تقضييه البلاد عذاء عزيزاً ولا ثياباً ثقيلة ولا داراً مرفهة . فقد كان اليوناني يتبلغ بحفنة من الزيتون وسمك السردين ويلبس نعلاً وقيصاً ورداء كبيراً . وكثيراً ما كان يخرج حافياً مكتشف الرأس وداره بناية منيعة ليست من المتانة بحيث يدفع للصوص عن دحوها تنقب حائطها ولا له من الاتات غير فراش وبعض لحف وبضع اوان جميلة ومصباح وكانت الجدران حالية من الرينة مبيضة بالحير « الكس » ولا ياوي الى الدار الا آونة النوم فقط .

بلاد اليونان الاصلية

اصل اليونان - كان اصل الشعب الساكن في هذه البلاد الجميلة الصيقة النطاق من الجنس الآري انساب الهنود والفرس حاوياً متلهم من جبال آسيا . ولقد نسي اليونان تطواف اجدادهم الطويل فكانوا يقولون انهم ولدوا من التراب كالصراخير . بيد ان لغتهم واسماء اربابهم لم تترك مجالاً للشك في اصلهم . وكان اليونان الأول كسائر الآريين يقناتون باللبن ولحوم القطعان ويسيرون مدحجين بالسحتهم وهم ابداً على قدم القتال ينضمون قذائل وفصائل تحت إمرة بطاركتهم .

اساطيرهم - جهل اليونان اصولهم كسائر الشعوب القديمة فلم يكن لهم اعنسلو اسلافهم ولا بالزمن الذي توطنوا فيه ارض يونان ولا شيء من اخبارهم واعلمهم فيها . وان حفظ

ذكر الحوادث الطارئة كما وقعت ليتوقف على اعداد الاسباب لها ومن اسبابها الكذابة . غير ان اليونان لم يعرفوها الاً حوالى القرن الثامن (ق . م) ولم يكن لهم واسطة لحساب السنين تم اتخذوا بعد طريقة حساب السنين اعتباراً من المهرجان العظيم الذي كانوا يحتفلون به في اولبيا كل اربع سنين وتدعى هذه المدة السنة الاولمبية وقد وضعت الاولمبية الاولى عام ٧٧٦ فتسلسل تاريخ اليونان منذ ذاك الحين ولم يتصل بما وراء ذلك . ومع هذا فقد نقلت اساطير كثيرة عن هذه المدة الاولى في البلاد اليونانية وخصوصاً قصص قدماء الملوك والابطال الذين كانوا يعبدونهم كأنهم نصف ارباب وهذه الاقاصيص متسوبة بحكايات يتعذر الامام بما فيها من حق وصدق فقد ذكروا في آتينة ان الملك الاول المدعوسكروبس كان نصفه ملكاً ونصفه حية وذكروا في تيبة ان كادموس مؤسس المدينة جاء من فيديقية للبحث عن احدى اوروبا التي حطمها تور وكان قبل ثيناً وزرع اصراسه فنبئت منها مقاتلة ومنهم من ناسلت الاسرات الشريفة في تيبة وزعموا في مدينة ارغوس ان اصل الاسرة المالكة من بيلوبس وكان اعطاها المعبود زيوس كتنفاً من العاج الاستعاضة عن كنفه التي اكلتها احدى الارباب . وهكذا كان لكل بلد اساطير يتلونونها ويتناقولونها وظل ابناء يونان يذكرونها الى ما بعد ويتبتون لابطالهم القدماء نصيباً من روح الربوبية مثل ابطالهم برسي وبيليروفون وهيراكليس ونيري ومينوس وكاستورس وبولوكس وميليا كرس واديس ومعظم اليونانيين بل ان الطبقة المنورة منهم اتحدوا هذه التقاليد حقائق لاراع فيها الا قليلاً . تلقوها على محوما تؤحد الحوادث التاريخية احبار الحرب بين ابي اديس ملك بيبه وحملة الارغونوت التي سافرت في طلب حزة الكبش التي قام بحراستها ثوران لها ارحل من قلز نقذف النار من افواهها .

حرب طروادة — اشهر هذه الاقاصيص كلها حروب طروادة وهي اوسعها بياناً وتفصيلاً فيروى انه كان نحو القرن الثاني عشر مدينة عنية ذات سطوة اسمها طروادة وكانت الحاكمة المحكمة على شاطئ القارة الآسيوية فجاء احد امراء هذه المدينة واسمه باريس الى ارض يونان وسبي هيلانة حليمة ميلاس ملك اسبارطة فانفق اعامنون ملك ارغوس مع سائر ملوك اليونان وانفذوا لحصار طروادة حيثما يونانياً على اسطول مؤلف من الف ومائتي سفينة فدام الحصار عشرين سنين اذ كان الرب زيوس راضياً عن الطرواديين عاقداً النصر اليهم . ولقد اشترك متتبعه اليونان كافة في هذا الحصار فقتل هكتور رئيس المدافعين عن حياض طروادة بيد اشيل وكان اجمل اليونانيين خلقة واشجعهم نفساً وجز جثته حول المدينة . قتلت اشيل بسلاح إلهي وهبته اياه امه ربة البحر ثم هلك نسبه اصابه في عقبه . حتى اذا

يُشس اليونان من الاستيلاء على المدينة بالقوة عمدوا الى الحيلة فاوهموا انهم ازمعوا الرحيل وتركوا وراءهم حصاناً صخماً الجثة من حشيش احتبأ فيه رعاء الجيش فاحد الطرواديين هذا الحصان وادخلوه مدينتهم فلما جن الليل خرج القواد منه وفتحوا ابواب المدينة لليونان فحرق طروادة وذبح الرجال واستعبد النساء .

ولما قفل زعماء اليونان من عنراتهم هبت عليهم العاصفة فغرق بعضهم في البحر وقذفت الالواء بفريق مهم الى شواطئ بعيدة وكان من حظ عولس اكثر هؤلاء الرعاء جريرة ودهاء واطولهم يداً في كيد المكاييد ان قضى عشر سنين نتقاذف به البلاد حتى ادت به الحال ان فقد سفنه جمعاء ونجا من الغرق برأسه .

وبعد فقد كان الاعتقاد بحرب طروادة شائعاً في القرون القديمة شيوع الاحبار الثابتة . ورغم القوم ان عاية الحصار كانت سنة ١١٨٤ وحددوا مركز تلك المدينة . وقد خطر لمسيو شيلمان من علماء الآثار سنة ١٨٧٤ ان يحفر محل هذه المدينة فاقضى له ان يزيل انقاض عدة مدائن منضدة بعضها فوق بعض فعثر على عمق خمسة عشر متراً في اعماق طبقة من تلك الانقاض على آثار مدينة حصينة استحالت رماداً وظفر في خرائب اهم تلك الانية بصندوق مليء بالحلي من ذهب سماه كبربريام . وكان تمت نقش وكانت تلك المدينة التي ظهر سورها كله صغيرة حقيرة وعثروا فيها على عدد كثير من الاصنام الصغيرة الرديئة الصنع والوضع وهي تمثل رنة لها رأس بومة (وعلى هذه الصورة كان اليونان يمثلون الربة بالاس) ومع كل هذا فليس تمت دليل يقوم على ان هذه المدينة الصغيرة دعيت باسم طروادة قديماً .

ميسينيا — ورد في الاساطير اليونانية ان الملك اعامنون الذي كان قائد الحملة اليونانية على مدينة طروادة كانت عاصمته مدينة طروادة وان زوجته قتلته عند عودته من هذه الغزاة ودون بالقرب من قصره . ولقد عرف اليونان مكان مدينة ميسينيا لانها كانت مأهولة الى القرن الخامس قبل المسيح ولا يزال الى اليوم حول الجبل سور من الصخور الصخمة مصفوفة بعضها فوق بعض بدون ملاط يلحم بين اجزائها وتحتمل خمسة امتار وكان اليونان يدعون هذا السور الحيطان السيكلونية اعتقاداً منهم بان الحبابرة سيكلون قد اقاموا بنيانها ورفعوا قواعدها . ويدخل الى هذا السور من باب علوه زهاء ثلاثة امتار مؤلف من ثلاثة صخور هائلة وفوقها عمود بين اسدين منقوشين وهذا هو باب الاسود

ولما اكتشف شيلمان سنة ١٨٧٦ مدينة طروادة سزم ان يحفر عن قبر اعامنون في ميسينيا وكان الحفر قد جرى فيها غير بعيد عن سطح الارض فحفر شيلمان في التراب

حتى وصل الى الصحراء فلما كان على عشرة امتار من العمق عثر على ستة قبور فيها سبع عشرة جثة مع كمية كبيرة من الحلي الذهبية واساور وعقود ودبابيس وتيجان وسبعمئة سفيقة» ورقة ذهب» وزهاء مائتي سيف وحجر مع انصال مموهة بالذهب والفضة . وكان على وجوه بعض الجثث برفع من السفيقة وكانت هذه القبور على ما ظهر مدافن امراء ميسينا .

ومنذ ذلك العهد اكتشف الباحثون في كثير من انحاء اليونان اشياء كثيرة ومنها اواني خزفية وحلي تشبه خرف ميسينا وحليها وقد عثر في بعض الاحيان بين هذه الدفائن على حلي مصرية من عهد الدولة التاسعة عشرة فاستنجوا من ذلك انه كان في يونان منذ الزمن العريق في القدم (بين القرن الثامن عشر والحامس عشر م .) ملوك اصحاب شوكة يستطيعون معها انشاء مدن حصينة ذات غنى متوسط وتيسر لهم به ان يكبزو الكنوز ويستصعوا الآثار النفيسة وهذا ما دعي بالتمدن الميسيني .

اشعار هوميروس — ان القصيدتين المنسوبتين للشاعر هوميروس وهما الالياذة التي ذكرت فيها حروب اليونان ورجولية اشيل امام طروادة والاوديسية التي جاءت فيها حوادث عولس بعد سقوط طروادة . هاتان القصيدتان هما اللتان ادعتا في اطراف العالم اجمع سقوط مدينة طروادة . وقد حفظتا قرونًا دون ان يكتبها فكار المعنور الدين ألغوا الترحل يستظهرون اياتا طويلة منها ويستبدونها في الاعياد . وفي القرن السادس امر احد امراء آثينة واسمه نر يسترات ان تجمع القصيدتان وتكتبها فاصححتا بعد وما زالتا ابداً اجمل الآداب اليونانية المشحمة المطربة . يقول اليونان ان مؤلفهما هوميروس كان احد ابناء يونان من مدينة ابونية وعاش نحو القرن التاسع او العاشر ويمتلونه على صفة شيخ صريع فقير يهبط ارضاً ويصعد ارضاً وتنازعت سبع مدن شرف سبته اليها تدني كل منها اليها مسقط رأسه وقد وقع التسليم بذلك تقليداً ندون مناقشة فيه . وفي اواخر القرن الثامن عشر قام احد علماء الالمان واسمه فولف وان بعض مناقص في هاتين القصيدتين اداه ان يحرم بائهما ليستا من نظم شاعر واحد ولكل منهما كتاب مواف من مقاطيع اشعراء محتامين وقد حمل اهل العلم على هذه القضية حملات منكرة وهم يبين مثبت لها تماماً ومنكر لها تماماً وظلوا مدة نصف قرن يتنازعون في وجود هوميروس او دمه وما زال فريق اهل العلم الى اليوم على ان هذه المسألة متعذر حلها . ومن المؤكد ان هاته القصائد قديمة العهد جداً ربما كانت من القرن التاسع . الفت الالياذة في آسيلا الصغرى وربما تألفت من مجموع قصيدتين خصت احدهما بحروب طروادة وثانيتهما بحوادث اشيل اما الاوديسة فانها على ما يظهر من نظم شاعر واحد . ولكن ليس ثمة من دليل يقوم على انها من نظم مؤلف الالياذة بعينه .

اليونان على عهد هوميروس — يتعذر علينا ان نعمل في تاريخ اليونان الى قرون بعيدة .
 واشعار هوميروس اقدم مستند نسا عنهم . ولما نظم هذا الشاعر منظومته نحو القرن التاسع
 قبل المسيح لم يكن لبلاد اليونان اذ ذاك اسم يطلق على سكان اليونانية قاطبة فسماهم هوميروس
 باسم قبائلهم الاصلية ويطهر اسمهم كما وصفهم قد يحجوا منذ عادروا آسيا يعرفوا حرت
 الارض وبناء المدن الحصينة وتألفوا شعوبا صغيرة . واطاعوا ملوكاً لهم وكان لهم مجالس
 شيوخ ودار ندوة وقد فاحر اليونان بحكومتهم واحثقروا الشعوب النازلة بقربيهم لانهم
 كانوا دونهم فدعواهم البرابرة . ولقد صرح عولس بختونة السيكوليس بقوله : (ليس لهم
 قواعد في العدل ولا اندية يتشاورون فيها وافرادهم يحكمون اساءهم واولادهم بالذات ولا
 يعنى بعضهم ببعض) ومع هذا فقد كان اليونان الى ذاك العهد نصف برابرة فلم يعرفوا
 الكتابة ولا النقود ولا تطريق الحديد وقلما كانوا يجرأون على ركوب البحر وتجتسم اخطاره
 ويزعمون ان العول سكن جزيرة صقلية .

غارات على ارضهم ورحلات اليها

تاريخ اليونانية — لم يسكن جميع شعوب يونان منذ الزمن الاطول البلاد التي كانوا
 فيها في القرن السابع اي في العصر الذي احده اهل العلم يعرفون عنهم شيئاً يوتق به . وقد حفظ
 كثير من هذه الشعوب ذكرى رولهم في تلك البلاد وامتازوا عن الشعوب العريقة في القدم النازلة
 في تلك البلاد . جاءت اسم كثيرة فاحتلت ارض يونان بقوائم سيوفها وتسنت تحمل عيرهم امام
 المعبرين عليهم . ويقول اليونان ان بدء هذه الغارات الشعوا والرحلات كانت من القدم
 بحيث لم تصلنا اخبارها مسطورة ونقلت وتناعد كرها تقليداً او يقولون انها كانت في القرن الثاني
 عشر (اي بعد احدث رواية بتمانين سنة) ولا عبرة بهذا التاريخ اذ لم يكن لليونان وسائط يحسبون
 بها في ذاك العهد المتطاوول على ان هذا التاريخ احد قصية مسلمة بدون جدال ولا نزاع فيه .
 دعي اقدم سكان يونان بالبلاسم (ولعل معناه القدماء) ولم يعرف عنهم شيء ولا
 فيما اذا كانوا من جنس يوناني او من جنس آخر . ومن هؤلاء السكان لا يعرف غير اليونان
 ولا يعلم ايضاً كيف ابدل اسم يلاسم بالهيلانيين اذ لم يرد في اشعار هوميروس ايضاً
 ذكر لهذا الاسم . ومن المقرر ان بضعة بلاد حفظت آثاراً من آثار فاتحيها وعزاتها . فقد
 جاء قوم برابرة من البلاد المشهورة ببلاد الالبانيين « الارناؤط اليوم » وهاجموا سهل بينيه
 الفسيح فدعي بعد باسم تساليا وتألفت من هؤلاء المهاجرين عصاية من الفرسان الاشراف
 وامسى سكان البلاد الاصليون عملة يررعون ويحرتون ليس الا . وقد رحل الى وادي
 سيفيز الذي سمي باسم (بيوسيا) كل من لم تخضع نفسه لهذا الحكم

وبعد ربح من الدهر خرج الدور يون من جبال البند واجتازوا برزخ كورت واغاروا على بلاد المورة واستوطنوا من اقاليمها ما امرعت تربته وعثيت رباعه ونقاهه ملل لاكونيا ومسينيا وارغوليديا وسيكيونيا وكورت وميكار . ويروى ان قدماء ملوكهم دعوم الهيرا كليديين (اي نسل المعبود هيرا كليس) ليغلبوا رعاياهم التائرين ويعيدوهم الى عروشهم وكان ملوك اسبارطة يرون انهم من نسل قدماء السكان لا من الدوريين وقد استحال الشعب الذي احتل البلاد التي اغار عليها الدور يون الى زراع واهل ولاحة واستولت عصابة من الايتوليين الذي صحبوا الدوريين في تلك الحملة على مقاطعة ايلديا في الغرب . وانهال الايتاليون ممن استنفوسهم الخضوع على شاطئ شبه جزيرة المورة الشمالي وطردها منها الايتاليين واسسوا الايتالي عشرة مدينة الايتالية فلجأ الايتاليون المطرودون الى مقاطعة اتيكيا وامتزجوا بسكانها الاقدمين ومن ذاك العهد عرف الايتاليون اي سكان اتيكيا شعباً ايونياً . ثم انفصلت عصابات من عدة شعوب وراحوا يؤسسون مستعمرات في السيف الاحمر من البحر . والايتاليون اقدم هذه العصابات النازلة في آسيا ثم سكنوا بعد ذلك الشاطئ بعينه . واحتل الدور يون جزيرة افريطس (كريت) وبعد زمن استعمر اليونان صقلية وايطاليا الجنوبية .

الدور يون — يراد بالدور يون نسل سكان الجبال النازلين من الشمال ممن طردوا او اخضعوا سكان السهول وشاطئ بلاد اليونان الجنوبية المعروف بلاد المورة ويذكر هؤلاء المغيرون ان ملوكا من اسبارطة من نسل البطل هيرا كليس قد طردهم رعاياهم فجاءوا يحثون عنهم في جبالهم فتبع الدور يون اخلاف هذا البطل حباً به وصبوهم على عروشهم ثم اغاروا على السكان واستصفوا ارضهم وديارهم . وكان هذا العنصر جبلاً من الناس استمر بجماله وقوته وصحة اجسامه وتعود البرد وتظف العيش وحياة الفقر والفاقة فتري رحالم وساءهم يلبسون ثياباً قصيرة لا تصل الى ركبهم . والدور يون امة حربية دعاها الاضطراب الى ان تكون ابدآ على قدم الدفاع تحمل عدتها وعتادها وهم اقسى اهل يونان لبعدهم اقليمهم عن البحر ولذلك احتفظوا باخلاق الاجيال المتوحشة وهم اعرق في اليونانية من غيرهم من سكان تلك الامصار لانهم كانوا على وحدتهم لا يستطيعون الامتزاج بالعرباء ولا تقليدكم في منازع اخلاقهم .

الايتاليون — يدعى شعوب اتيكيا والجزائر وشاطئ آسيا بالامة الايتالية . ولا يعلم من اين جاءتهم هذه التسمية وهم على عكس الدور بين جنس من التجارة او التجار . ومن اكثر شعوب اليونانية تهذيباً لانهم استفادوا من الاحتكاك بامم مشاركة اعرق منهم في الحضارة

واقبسوا من النظر اليهم وهم ضعاف في صبغتهم اليونانية لامتراجم بالآسياويين ولانهم
نحوا نحو هؤلاء في عاداتهم الا قليلاً يميلون الى السلم ويولعون بالصناعات ويعيشون عيش
الترف يصفون الكلام ويرققونه ويلبسون بيانا خافية الاذيال على مثال المشاركة

الهيلانيون — هذان العنصران او الجنسان المتباينان المعروفان بالدوربين والايونيين
هما اشهر عناصر اليونان واقدرها . واقليم اسبارطه للدوربين واقليم اتيبة للايويين وليس
السواد الاعظم من اليونان دوربين ولا ايونيين ويعرفون بالايوليون وهو اسم مجهول يطلق
على شعوب مختلفة في تلك الاصقاع من ايولين واكرانيين وفوسيديين ويوسيين من
اهل البلاد اليونانية الوسطى والاشايين من اهل المورة . وكل من تقدم ذكرهم يسمون
باسم الهيلانيين الذين عرفوا به منذ ذاك العهد وهم لا يعرفون وجه تسميتهم هذه كما محمل
نحن ذلك على انهم يقولون ان دوروس وعولس كانا اولاد هيلانة وابون حفيدها

مستعمرات اليونان (١)

الاستعمار اليوناني — لم يقتصر الهيلانيون على سكنى بلاد اليونان فقط بل قام منهم
طواريء من اهل المدن استولوا بلداناً في جميع الانحاء المجاورة وكانت عدة من هذه الممالك
الصغيرة اليونانية في جميع حرائر الارحبييل وعلى جميع شاطيء آسيا الصغرى واقريطش
وقبرص وفي كل ما احاط بالبحر الاسود الى بلاد القافقاس والقرية على طول البلاد العثمانية
في اوربا (المعروفة اذ داك تراسيا) وعلى شاطيء افريقية وفي صقلية وايطاليا الجنوبية الى
شواطيء فرنسا واسبانيا

احلاف هذه المستعمرات — يبدأ تاريخ المستعمرات اليونانية من قرون كثيرة اي من
القرن الثاني عشر الى القرن الخامس وهذه المستعمرات استنقت من كل المدن ونجت عن كل
جنس دوريا كان او ايونيا او ابوليا . ولطالما قامت المستعمرات في اماكن قفرة تارة وفي
بلاد مأهولة اخرى أسست حيناً بالفتح وآونة بالاتحاد مع السكان واستأها بحارة او تجار
او منفيون او متشردون . وتمتاز هذه المستعمرات على اختلاف زمانها ومكانها وجنسها باصلها
بخلق عام وانها نشأت دفعة واحدة بمقتضى قواعد نائمة . وما كان الطواريء او المستعمرون
من اليونان يحلون في بلد واحداً بعد واحد عصابات صغيرة ولم ينزلوا بقعة عرضاً فيقيمون لهم
مساكن تصبح بالتدريج مدينة على نحو ما يفعل الطواريء من الاوريين في اميركا اليوم
بل كان الطواريء منهم يسافرون قضم وقضيضهم دفعة واحدة ورئيسهم واحد فنؤسس

(١) جاء هذا الفصل متأخراً عن هذا بضعة فصول في الطبعة الاحيرة

البلدة الجديدة في يوم واحد . وكان تأسيس احدى المدائن يُعدُّ احتفالاً دينياً فيخط
المؤسس لها سوراً مقدساً ويجعل بيتاً مباركاً يوقد فيه ناراً مقدسة .
نقايد المستعمرات - - - يلصح مما نقل من القصص القديمة في تأسيس بعض هذه
المستعمرات وجه الاختلاف بينها وبين المستعمرات الحديثة . واليك كيفية استعمار مدينة
مرسيليا والبداءة به فقد جاء الى بلاد العال (فرنسا اليوم) او كسينس احد اهالي مدينة
فوسي في آسيا الصغرى على سفينة تجارية فدعاه احد زعماء العالين الى عرس ابنته ومن
عادة هذا الشعب ان تدخل العروس بعد الطعام حاملة كأساً تقدمها لرجل تختاره من الجماعة
فوقفت امام اليوناني ومدت الكأس نحوه . فطهر للقوم ان هذا العمل كان بالهام من السماء
اذ لم يكن متوقعاً . فلما كان من الرعيم العالي الا ان زوج او كسينس من ابنته وسمح له بان
يؤسس ورفاقه مدينة على خليج مرسيليا ثم لما رأى اهل فوسي ان الجيش الفارسي يحاصر
مدينتهم قاموا يعدون لهم سفناً نقل عيالهم وانفالهم واصنامهم وحلي معاندهم وعادروا بلدهم
ماحرين في سفنهم واقسموا عند منصرفهم ان لا يعودوا اليها الا اذا عانت على وجه الماء
الحديدة الحماة التي القوها في البحر . وقد نكت كثير منهم هذا العهد وعادوا الى مسقط
رؤوسهم اما الباقون فظلوا يشقون العذاب بعد العذاب حتى وصلوا الى مرسيليا بعد ان تحتموا
اهوالاً كثيرة . واسس الايوبون مدينة ميلت تاركن ساءهم وراءهم واستولوا
على بلد يقطنها ناس من آسيا فدبحوا الرجال وترؤخوا نساءهم وبناتهم قسراً . ويقال
ان هؤلاء النساء اقسمن ان لا يتناولن الطعام مع ازواجهن وان لا يباديهم بيا ازواجهن .
عادة بقيت قروبا يعمل بها عند ساء ميلت . اما مستعمرة برقة في افريقية فقد أسست
بامر صريح من المعبود ابولون ووحى منه . فلم يكن سكان مدينة تيرا الدين أمروا بذلك
يحاذرون من برول بلد مجهول ولم يعملوا بهذا الامر الا بعد سبع سنين وكات حريتهم
عرضة للجفاف فاعتقدوا ان ابولون ساقهم الى تلك الحرية عقاباً منه لهم . وحاول الطواريء
الذين اعدوهم ان يرجعوا فداهمهم مواطنوهم واكرهوهم على السفر . وبعد ان قصوا عامين
في احدى الحزر وقد حانتهم فيها اسباب النجح انتهى بهم الحال ان يستوطنوا اندالوس مدينة برقة
فكان منها مدينة عامرة راقية .

خطورة المستعمرات - - من شأن هذه الطواريء ان تؤسس حكومة جديدة في كل
مكان تنزله ولا تحصى لأهم القرى التي انفصلت عما تلة . وهكذا بلغت الحال بان كان
البحر المتوسط محاطاً بمدن يونانية كل منها مستقلة تمام الاستقلال . فاصبح كثير من هذه
المدن آية في غناه وقوته لم تضاهه بهما المدن التي خرجت منها وكان لها اصقاع اوسع

رحصب وسكان اوهر واكثر . ويقال انه كان في مدينة سيباريس في ايطاليا ثلثائة الف رجل يحمل السلاح وان كروتون جيتشت جيتاً مؤلفاً من مئة وعشرين الف مقاتل وداقت سيراكوزة في صقلية وميلت في آسيا تقوتها مملكتي اسبارطة وآتينة وكان يدعى جنوب ايطاليا يونان الكرى . وما كانت المملكة الاصلية غير بلاد صغرى بالنسبة لتلك المملكة المأهولة كلها بالطواريء من اليونان . وحدث ان كان الهيلانيون اوهر عدد اسيء البلاد المجاورة منهم في بلاد اليونان نفسها . وترى بين رجال ثلاث المستعمرات طائفة صالحة من المشاهير مثل هوميروس والسيوس وسافوس وطاليس وفيتاغورس وهيراقليطس ودهوقريطس وانفيدكلس وارسطوطاليس وارحميدس وتيوكريتس وغيرهم

المدن - ظل اليونان منقسمين الى طوائف صغيرة في كل البلاد التي برلوها كما كانوا على عهد هوميروس . وغير - ف ان ارض يونان وايطاليا الجنوبية منقطعة بالبحر والجبال ولذلك انقسمت بالطبع الى عدد كبير من المقاطعات الصغيرة كل منها منفردة عن حارتها برأس من البحر او محدار من البحر بحيث يسهل الدفاع عنها وتصعب المواصلات فكانت تتألف من كل مقاطعة حكومة على حدتها تدعى مدينة وقد بلغت اكثر من مئة مدينة . واد الحصيت المستعمرات بلغت زهاء الالف (١) وليست مملكة اليونانية الا صورة مصغرة بالنسبة اليها فان ايتكيا كلها لا تساوي نصف اصغر مقاطعات فرنسا لهذا العهد اما اراضي كورنت او ميكار فقد صارت ريفاً ومرارح ومن العادة ان يكون ما يعبرون عنه بمملكة عبارة عن مدينة وساحل ومرفاً او بصع قرى مبعثرة في الغلاة حول قلعه فترى من المملكة الواحدة قلعة المملكة الثانية وجبالها او مرفاً المملكة المجاورة وكثير من هذه الممالك لا يسكنه اكثر من بضعة ألوف من الناس واعظمها لا يكاد يكون فيه مائتان او ثلثائة الف نسمة . وبعد فلم يؤلف الهيلانيون او اليونانيون أمة برأسها ولا انعكوا من المقاتل والنقاطع على انهم تكلموا لغة واحدة على حد سواء وعبدوا آلهة واحدة وعاشوا عيشة واحدة منذ سطوط اسبانيا الى طرف البحر الاسود . فكانوا بهذه العلامات يتعارفون كما يتعارف ابناء نبعة واحدة ويتمازون عن سائر الامم التي بدعوها البرارة فينظرون اليها نظر الاستخفاف والامتهان .

الديانة اليونانية

تعدد الارباب اعنقد اليونان اعتقاد سائر قدماء الآريين بارباب كثيرة ولم يكن لهم شعور باللاهية ولا بالازلية ولم يؤمنوا برب واحد تكوين السماء سرائء والارض سلمه

(١) في الطبعة الاحيرة حذف المؤلف هذه الفقرة الطويلة كلها الى آخر الفصل

ومرتقاه . واعتقد اليونان ان كل قوّة في الطبيعة من هوائها وشمسها وبحرها هي قوّة الهية ونسبوا كلاً من هذه القوى الى رب خاص اد لم يدركوا ان علة واحدة تنتج كل هذه الاكوان ولذا عبدوا عدداً عديداً من هذه الالهة فكانوا وتبين على هذا النحو .

نسبة الشهوات البشرية ودعوى تجسد الرب — كل رب هو قوة من الطبيعة وله اسم خاص به ولشدة تصوّر اليونانيين وسعة خيالهم تمتل لهم اذهانهم تحت هذا الاسم كأنها حياً في اهي المظاهر من الصور البشرية وكانوا يمثلون المعبود او المعبودة على صورة رجل جميل الطلعة وامرأة وسيمة المحيا وعند ما كان عولس او تيليماك يصادفان رجلاً عظيماً وسيماً يبدآن بسؤاله عما اذا كان رباً من الارباب . وقد صوّر على ترس البطل آتيل صورة جيتس . قال هوميروس في وصفه له : ان اريس واتيبيه كانا يقودان الحيتس وكلاهما متشح بالذهب وكانا من الجمال والاعتدال على صورة تليق بالارباب اد البشر اقزام قصار القامات وكان الارباب اليونانيون بشرّاً يلبسون بياثاً ولهم قصور واحساد كاحسادنا وهم ان لم يموتوا يجرحون . وذكر الشاعر هوميروس كيف ان احد المحاربين جرح الرب اريس فراح يصرخ من الألم . وهذا الضرب من اختيار الارباب على مثال البشر هو ما يدعى « انثروبومورفيسم » اي تجسيد الارباب .

علم الميتولوجيا — للارباب اقرباء واولاد ورهط واسرات لاهم ناس كالأدميين فامهم ربة واحوتهم ارباب واولادهم ارباب عرهم او ناس هم اصف ارباب . وتدعى اساب هذه الارباب تيوغويا . وللارباب تاريخ وحوادث ولهم قصص في مواليدهم واحبار شبيبتهم واعمالهم . فالرب ابولون مثلاً ولد في جزيرة ديلوس وكانت لحأت اليها امه لاتون وقيل عيلاً كان قد حرب تلك البلاد في سمح جبل الباراس . وهكذا كان لكل مقاطعة يونانية احبار تعرفها لاربابها سموها الخرافات ومن مجموعها تألف الميتولوجيا اي تاريخ الارباب .

الارباب المحليون — بقي الارباب اليونانيون وهم على صفتهم البشرية على ما كانت عليه اولاً ككائنات طبيعية فكان القوم يتخيلونها كما يتخيلون البشر وقوى الطبيعة فقد كانت الناياد فتاة جميلة ونبعاً مبعساً في آن واحد . وتخيّل هوميروس الشاعر ان هر جريرة الرات هو رب وقال فيه : لقد تدفق هر الرات على البطل آتيل وهو يريد غيطاً ويرغي حنقاً ويحر طافحاً بالربد والجثث) وظلت الامة تقول ان الرب ريوس يرسل المطر ويرسل الرعد .

وكان اليوناني يعتقد ان الرب عبارة عن مطر وسيل وسماء او تلمس لاسماء والشمس والارض على الجملة . وكان ربه مسامتاً للسماء التي تطله والارض التي نقله والنهر الذي يعله . فمن تم كان لكل مدينة ارباب ومعبودات كثيرة فمن رب الشمس الى ارباب الارض الى رب

المحر وكانت تلك الارباب منفصلة عن شمس البلد المجاورة وارصها وبحرها بمعنى انه كان لاهل كل مقاطعة ربها ومعبوداتها الخاصة بها . فليس رب اسبارطة زيوس رباً لآثينة زيوس بعينه ور : كان يذكر في قسم واحد ربان تحت اسم اتيديه اوربان تحت اسم ابولون . ذكر احد من طاف بلاد اليونان من السياح انه شاهد الوفاً من الارباب كانت تدعى ارباب المدينة ولم يكن هناك سيل ماء ولا عانة عبياء ولا أكمة تماء الا وهي مؤلهة (١) ولها صفة لا يتشاركها فيها غيرها وربما كان هذا المعبود صغيراً لا يعبد الا ناس من اهل الحوار وما مراره عبر معارة في الصحر .

الارباب الكبيرة -- وهم اليونان ان فوق طوائف الارباب الكثيرة الصغيرة المنبثة في كل مقاطعة بضعة ارباب كبيرة كالسماء والشمس والارض والمحر المدعوة بهذا الاسم ولها في كل مكان معبد خاص او مرار يتقرب فيه اليها وكانت تمثل كل من هذه الارباب اهم القوى الطبيعية وما اكثر عدد هذه الارباب التي استترت اهل يونان كافة في القرب اليها فانك لو احصيتها لاتكاد تصل في عددها الى العشرين . ومن سوء عادتنا معاثر الافرح ان ندعو هذه الارباب باسماء ارباب لآثينية واليك حقيقة اسمائهم :

زيوس (المستري) -- هيرا (جونون) -- اتيديه (ميرفا) -- ابولون -- اريتمس -- (ديان) هرميس (عطارد) -- هيرنوس (فولكين) -- هيسثيا (فيسا) -- اريس (المريخ) -- افروديت (الزهره) -- نوزيدون (ببتون) انيثيريت -- روته -- كرونوس (رحل) -- ريهيا (سبيل) -- ديميتير (سيريس) -- رسيهونه (روررين) -- هاديس (بلوتون) ديونيروس (باحوس) . وهذه الرمة من الارباب هي التي كانت تعبد في كل المعاند على الجملة ويتوسل اليها في الصلوات

حصائص الارباب -- لكل من هذه الارباب هيئته وهدامه وادواته المدعوة حصائص هكذا تصورها المؤمنون من ابناء يونان وهكذا مثلها المقاشون منهم . ولكل حلقه المعروف به بين عانديه ولكل منها عمله الخاص به في العالم ويقوم بوظائف معينة وذلك بمعونة ارباب ثانوية تطيعه في العادة ويتصرف فيها بامرهم . فالرب اتيته مثلاً هو على صورة عذراء ذات عيين برافتين مثلت قائمة وهي تحمل رمحاً وعلى رأسها حودة وعلى صدرها سلاح لامع وهي عندهم ربة الهواء النقي والحكمة والاحتراع وعلى جانب من الهيبة والستراسه .

ومثل هيفيرتوس رب النار حاملاً بيده مطرقة على صورة حداد اعرج فبيج الهيئة وزعموا انه يزل الصاعقة . وان الرمة اريتمس كانت عذراء متوحشة تحمل قوساً وكنانة

(١) يقول الشاعر از يودس اليوناني انه كان في بلاده ثلاثون الف رب

وهي تطوف العابات نصيد مع رمرة من الجنيات وهي ربة الغابات والصيد والموت . اما
هرميس الذى قبلوه لابساً نعالاً مجنحة فهو رب المطر المخصبة وله اعمال اخرى وهو رب
الاسواق والاما كن ورب التجارة ورب السرقة ورب الفصاحة يسري بارواح الموتى ويمشي
في السفارات بين الارباب ويقوم على تربية الحيوانات . ولارب اليوناني ابداً عدة وظائف
في العالب هي في نظرها متخالفة غير ان اليونان تحيلوا ان بينها تشابهاً ويرتأون لها صلة وعائداً
الاولم وزيوس - كل من هذه الارباب اشبه بملك في مقره ومع هذا فقد لاحظ
اليونان ان جميع قوى الطبيعة لا تسير بالتصادف وانها تعمل يداً واحدة فكانوا يطلقون
اللفظ الواحد للمعبير عن النظام والعالم ففرضوا ان الارباب اتحدت على تسيير نظام العالم
وانه كان لهم شرائع وحكومة كما للبشر . وكنت ترى في تماثيل اليونان حبلاً داقم مكسوة
باللح لم يصعد اليه بستر واسمه الاولم وعلى هذه القمة المستورة عن اعين الناس بنا يتراكم
عليها من الصباب توهم اليونان ان الارباب يعقدون جلساتهم فيخمنعون مستيرين بنور
سماوي ينفواضون في شؤون العالم وعظيمهم زيوس (المستري) يرأس تلك الجلسات لانه
رب السماء والنور والرب اندي يؤلف السحاب ويرسل الصواعق وصوروه على مثال شيخ
مهيب ذي لحية بيضاء جالس على عرش من ذهب وهو الذي 'حصن بالزعامة دون سائر
الارباب ولذلك تراها مجتمع له فاذا ندرت من احدها بادرة المقاومة في امر يهددها زيوس
واليك ما ذكره هوميرو على لسانه « اعقدوا في السماء سلسلة من ذهب وتعلقوا بها
انتم معاصر الارباب ذكورا كستم او انا ولو بدلتكم الحديد كلكم لا تجرون زيوس الى الارض
وهو الملك الامر وعلى العكس اذا اردت ان احبب السلسلة الى فاناجادب الى الارض والمحرم
اعلقه بقمة الاولم ويبقى العالم كله معلقاً مصلوباً ما دمت اعلى مرتلة من الار » والبشر
آداب المينولوجيا اليونانية -- وهم اليونان ان معظم اربابهم من القسوة والسفك والحداع
والسفاهة على جانب فاحترعوا لهم اخباراً سفية واعمالاً ردية عن طور اللياقة . فكان
هرميس برعاً لصاً واشتهرت افروديت بعجبها وحفرها واريوس مسوته وكانوا كلهم من
العجب بحيث لا يفكرون عن اخطيائهم من تساهل في تقديم الضحايا لهم . ولما اتجبت نيوبي
ملكة تيبة بكثرة اسرتها لم يصعب عليها ان رأت الرب اولون يعصي اولادها بالسهام
ويزفهم كل مرق . وكان من حال تلك الارباب في الحسد بحيث لا تتمالك من رؤية
انسان بلغ عايات السعادة . فاليونان رأوا السعادة من اعظم الاخطار لانها تجلب عصب
الارباب حتماً ولذلك ابتدعوا ربه للعصب والانتقام سموه زيوس ويدكرون ما قصصاً
كالآية مثلاً : ذلك ان بوليكراتس الظالم من اهل جزيرة سيسام خاف يوماً حسد

الارباب اذ غذا ذا طول وحول وكان يملك خاتم ذهب له موقع كبير من نفسه فالتقاء في
اليم لئلا تكون سعادته مشوبة بالشقاء ثم ان صياداً احضر لبوليكراتس دات يوم سمكة عظيمة
وجد خاتمه في جوفها مكان ذلك نظره شؤماً دالاً على وقوع المصيبة الاكيدة . فحصر بعد
في مدينته وأخذ وصلب وعاقبه ارباب يونان على سعادة نالها وحط من النعم اصابه .

عرف بهذا ان الميتولوجيا اليونانية كانت عارية عن الاخلاق اذ كان الارباب قدوة
سيئة للناس قال ذلك فلاسفة اليونان وضيقةوا على الشعراء الذين بشروا هذه الحكايات
وذكر احد تلاميذ فيتاغورس ان معلمه اطلع على الجحيم فرأى فيه روح هوميروس الشاعر
مصلوبة في شجرة وروح از يودس الشاعر مدلاة في دعامة عقوبة لهما على اهانتها الارباب
وقال كسينوفان اب هوميروس واز يودس قد سببا للارباب اعمالاً من شأنها ان تكون
عاراً بين البشر وشاراً عليهم وهناك إله واحد لا يشبه البشر باجسادها ولا يعقلها وكان
يريد على ذلك قوله لو كان للمهر والاسود ايدي واستطاعت ان تصور كالناس لصنعوا
للارباب اجساداً تشبه اجسادهم ولجعلت الخيل للارباب احساداً كالخيل والبقر . والناس
يدهمون الى ان الارباب احساساً وصوتا وجسداً . هذا قول كسينوفان وهو من الحق والعدل
تمكن اذ قد جعل اليونان الأول اربابهم على صورهم مثل ما كانوا عليه في دلك العهد
سفاكين عذارين حسودين معجبين وكذلك كان اربابهم . ثم صاروا على نسبة التحسين في
احلاقهم ينشأ احلاقهم متبرمين من هذه المادي ، كلها عازفين عنها ولكن تاريخ الارباب
واحلاقهم كانت مقررة بحكايات قديمة احدها اهل الاجيال الحديثة ولم يحراً واعلى تعبير
ارباب احداهم الفظة السفينة يعيها

ابطالهم

البطل — البطل في بلاد اليونان رجل معروف يعدو بعد موته روحاً ذات سلطان
ولا تتم له الربوبية بل ينال منها نصفها من ثم لا يسكن الاطال في الاولب في سماء
الارباب ولا يدبرون شؤون العالم اجمع ولهم مع هذا ايضاً سلطة فوق كل سلطة بشرية
يفيتون بها احبابهم ويهلكون اعداءهم . ولدا عبدتهم اليونان عبادتهم الارباب واستعانتوا
بهم وتضرعوا اليهم . وما من مدينه او قبيلة او أسرة الا ولها بطل حاص بها وهو عمارة
عن استباح متحيلة تحميها فتعبد لها ونتقدم اليها بانواع القرابات .

ضروب الاطال — ومن هؤلاء الابطال فئة اشتهرت في الاساطير وعدت من
الاعيان مثل اشيل واوديس واعامنون ولا شك في ان بعضهم لا حقيقة لهم قط مثل
هيراكليس واديب . وليس بعضهم الا أسماء لا مسميات لها مثل هيلين ودوروس وعولس

غير ان عمدتهم ينظرون اليهم نظراً الى اشخاص قدماء وقد عاش معظم هذه الارباب وبعضهم من الاتيان قد ذكرهم التاريخ وكانت لهم اعمالهم مثل لبونيداس وليزاندر وكانا من القوات وديمقراط وارسطو وكانا فيلسوفين وليكورك وصولون وكانا مشرعين . وعبد اهل مدينة كروتون احد مواطنيهم فيلبس لانه كان اجمل اهل زمانه في بلاد اليونان . وكان الرعيم الذي يقود الطواريء ويؤسس مدينة يعد بين السكان البطل المؤسس فيقيمون له معبداً وينتقرون اليه كل عام بانواع النذور والقربات . وهكذا كان ملتياديس الآيني يعبد في مدينة من اعمال تراسيا وبرازيداس الاسبارطي الذي قتل في دماغه عن امفيبوليس كما يعبد في هذه المدينة اد اعتمره السكان مؤسساً لبلدهم .

حضور الابطال — يظل البطل ساكناً في البلد التي دُفن فيها جسده سواء كان في قبره او في الحوار . وقد وصف هيرودتس هذا المعقد فكانت مدينة سيسيون تعد البطل ادراتس فقامت في الساحة العامة مصلى اكراماً له . ولقد ارتأى كليستين جبار سيسيون ان يتخلص من هذا البطل فراح يسأل هاتف دلفيس عما اذا كان يفلح في طرد ادراتس . فاجابه الهاتف بقوله : ان ادراتس كان ملك اليسوبيين وانه لص وقاطع طريق فلما لم يستطع كليستين ان يطرد داك البطل عمد الى الحيلة فبعث الى تيبة يبحث عن عظام بطل آخر اسمه ميلانيبس وجعلها في مقبرة المدينة باحتفال حافل . قال هيرودتس انه عمل كذلك لان ميلانيبس كان من الاعداء ادراتس قتل له صهره واحاه . ثم حمل تلك الاعياد والنذور تقدم الى ميلانيبس بعد ان كانت تقدم الى ادراتس زمناً وراح يقنع وسائر اليونانيين ان البطل المعتاطيركن الى الفرار .

مداخلة الابطال — للابطال قوة الالهية في وسعهم كما في وسع الارباب ان يفعلوا الخير والشر كما يشاءون . ولقد اخطأ الشاعر ستيريستور في كلامه على هيلانة المشهورة (تلك التي جيء بها الى طروادة على محوما ورد في الاساطير) فكف بصره للحال حتى اذا رجع عن كلامه عاد بصيراً . ويرغمون ان هيلانة صارت نصف ربة بعد موتها فارسلت للشاعر الداء باديء بدء ثم اتبعته بالدواء . ويدعون ان الابطال الحامية لبلد تدفع عنها الادواء والمجاعة وتذب عن حياضها من عارة الاعداء . وقد زعم الحنند الآيني انهم رأوا بين صفوفهم في حرب مارانون تزييه بطل آتينة ومؤسسها وقد تدحج بسلاح لامع في حرب سلامينة وظهر البطلان احاكس وتيلامون اللذان كانا فيما مضى ملكي جزيرة سلامينة في اعلى ذروة منها باسطين ذراعيهما نحو الاسطول اليوناني . قال تيموكلس (وما قهرنا الفرس اذ قهرناهم ولكن الارباب والابطال قهرهم) وفي احدي روايات سوفقلس

(اديب الى تولون) اينما كان اديب مشرفاً على الموت راره ملك آينة وملك تيبة واراده . كلاهما على الرضا بترك جثته تدفن في ارضها ليكون بطلاً حامياً لها فاحاب طلبهما في ان يدفن في بلاد الآتيين وقال ملوكهم . اني لا اكون بعد موتي حاليًا من النفع في هذا القطر بل اكون ركنًا ركينًا لا تقاويه الوف الالوف من المحاربين . وكان يرى ان بطلاً واحداً يساوي جيشاً برمته ويرهب نأس هذا السج ولا رهبة الاحياء اجمعين .

العبادة

بدء عبادة الارباب -- كان الارباب والابطال على ما لهما من الحول والطول يشرون في الناس جماع الخيرات والسيئات كما يتساءون فكان من الخطر ان يكونوا على المرء ائلباً ومن العقل ان يكونوا واياهم يدأ واحدة . ولقد ذهب القوم الى اهمهم كانوا اتسبه بالبشر يسخطون اذا تركوا وشأنهم ويرضون اذا عني بهم . وعلى هذا الفكر نشأت العبادة فكانت عبارة عن اتيان صالح الاعمال مع الارباب لنيل رضاهم . وقد صرح افلاطون بالرأي العام كما يلي قال : (ان الاضطلاع بالقول والقيام بصالح الاعمال مع الارباب سواء كان في الصلوات او في الدور هو من القوى التي بها نجاح الخاصة والبلاد وعكسها هو الشقاء الذي به تزل عروش الممالك وندك معالم العمران) يقول كسينوفان في آخر كتابه الدروسية ان الارباب لا يرضون عمن يعرعون اليهم في حاجاتهم فقط بل يرضون عمن يكرمهم في محوحة الحاج . والديانة كانت باديء عهداً وميتافاً فكان اليوناني يسعى في استرضاء الارباب وينال من لديهم مقابلة ذلك منافع ومعام قال احد كهنة ابولون لمعبوده « اني قد احرق من اجلك تيراناً سمينه منذ زمس طويل فاقبل الآن تضرعاتي وارم بسهام عضك اعدائي »

الاعياد العظيمة -- رعم اليونان ان لاربابهم احساساً وعواطف كعواطف البشر ولذلك 'عنوا بالقيام بكل ما يسترضى به الانسان فكانوا يقدمون لهم لبناً وخمراً وحلواء وفاكهة ولحماً ويستنون لهم قصورا ويحفلون اكراماً لهم باعياد اد كانت تلك المعبودات ارباباً سعيدة تحب الفرح والمناظر الجميلة . وما كان العيد كما هو الحال عندنا اليوم عبارة عن افراح بل كان احتفالاً دينياً يصرب في خلاله عن الاعمال وتأحد الامة في ابداء مظاهر المسرة على رؤوس الاشهاد امام المعبود . فمن تم كان اليوناني 'يسرُ هذه الاعياد ويحفل بها احلالاً لاربابه ومعبوداته لا قداماً باهوائه الخاصة وشهواته . جاء في نسيدي قديم اكراماً للمعبود ابولون ان الايونيين يدخلون السرور عليك بما يقومون به من مطاعنهم المعهودة وعناهم ورقصهم .

الالعب الاحتفالية -- نشأت الالعب الاحتفالية من هذه المسليات التي كانت تقام اعطاماً للارباب فكان أكل مدينة ضرب من صروبها تكرم بها معبوداتها وما كانت في العادة قبل لمشاركتها بها غير انشاء وطنها ومع هذا فقد كانوا يقومون بالعباد يشاركها بها جماع اناء يونان ويحصرونها وذلك في اربعة اماكن من البلاد اليونانية . وتدعى الالعب الاربعة العظيمة واحص تلك الالعب العباب اولبيا . يحصل بها كل اربع سنين اكراماً للمعبود زيوس وتدوم خمسة ايام او ستة يوماً في دهماء اليونان من اطراف البلاد تعص بهم الملاعب ومشاهد وبأحدوي في نقد استجارا والتقرب بالصلوات الى المعبود زيوس (الشمس ؟) وسائر الارباب هم يتبارى القوم في الاعمال الآتية عدو على الاقدام حول الملعب . قال يعرف عندهم الماساتل لانه كان عداوة عن خمسة العباب فيقفرون المشارون ويركضون من طرف الملعب الى طرفه الآخر ويدفعون ان تعدي بطارة من معدن ويرمون الحراب ويقاتلون بالايدي والابدان . ثم ملاكمة بحسب الاكف يقاتلون فيها وادرعهم مستورة لسيور من حاد . ومسابقه عجالات كانت تحري في المداين والعجلات حفيقة يجرها اربعة جياذو يتصدر القصة في الالعب بالسهم ، القرمزية وقد توحوا بالليل العارفيادي المنادي بعد القتال باسم الطائر واسم لده على رؤوس الاسماء ويكافئ ناس من الربتون حراء ما وفق له ويسمى مواظوه اسبقال الدم القاتل ورتا حرقوا حرقا في حائط ايمروا به منه فيقل نقله مركبة فخرها اربعة من الجياذ لاسا القرمزي والتعب كله يحفره . كان يعد هذا النصر الذي بعده اليوم من اعمال المضارعين في الخال العامة من احسن الاعمال واولاها على داك العهد يحصل بها اعظم الشعراء ولم يكن هم ينندار اشهر شعراء الاسامي القدماء غير نظم المقاطيع في سباق المركبات . ويروي ان احدهم واسمه ديا كوراس رأى في يوم واحد ولدين له وقد توحا فحملاه على اعين القوم حمل الطافرين فلما شاهد الشعب ان امتال تلك السعادة عظيمة جدا بالاصافه الى الميت ناداه . مت يا ديا كوراس اد ليس في وسعك ان تكون بعد معبوداً . فصاق درع ديا كوراس من الاضطراب ومات بين ايدي ولديه وفي نظره ونظر اناء يونان ان رؤيه ولديه واكفهما قوية شتنة وسوقهما سريعة كان ذلك منتهى السعادة الارضية . وعلى هذا يحق لليونان ان يحبوا بالقوة الطبيعية فقد كان اقوى المسارعين من احسن الحمد في الحروب التي يقاتلون فيها حسداً الحسد .

القال -- كان اليونان يرجون من آلههم اعمالا كبيرة لقاء تلك الواحات والاعباد والاحتمالات فكانت المعبودات تحمي عبادتها واتسع عليهم رود العافية والعبي والنصر وبقيةهم المصائب والنوائب التي يتوقعون بروها ترسل علامة من لديها يفسرها الناس . وهذا ما كان

يدعى بالآل . قال هيرودس كان اذا اقتضى لاحدى المدن ان تتجن بعض الخطوب
ينقدم لها على ذلك علامة في العادة . ولقد بقاء اهل تيو (صاقر ؟) نفاو لا دلم على ما
ينالهم من الهزيمة فلم يرجع من مئة فتي لعنواهم الى دلفيس يترمون ويستدون سوى فتين
وهلك سائرهم بالوباء . وعلى ذاك العهد انقص سقف مدرسة المدينة على اطفال كانوا
يتعلمون القراءة فلم ينخ منهم سوى طفل واحد وكان عددهم مئة وعشرين . هذه هي الامارات
التي قدم الارباب ارسالها على ابناء يونان مدرهم وتدرهم . ولقد كان اليونانيون يرون
الاحلام والطيور التي تعرف في السماء واحتشاء الحيوانات التي يسقرون بها لاربابهم بل
وكل ما يقع نظرهم عليه من الرلال والكسوف الى عطسه يعطسها المرة - يرون كل هذه
الامور الطبيعية امارات الهية فيها سعادتهم وتداولهم في حملة عقلية فيما كان نيسياس
القائد الآبي يركب حيشه المهرم في السنن اوقفه حصوف القمر فطن ان الارباب بعثت
بهذه العجيبة تنذر الآبيين ان لا يتقوا ما بداوا به من الاعمال الخريبة فاضطرر نيسياس
الى الانظار سبعة وعشرين يوما وهو يقدم القرابين تسكما لعصب الارباب . فسد
الاعداء في هذه الفترة مما المدينة وحطموا اسطولها وبددوا ثمن حيشها . ولم ير الآبيون
لما بلغهم هذا النبأ سوى امر واحد يحوا من اخذ نيسياس وذلك انه كان عليه ان يعرف
ان احتفاء القمر بالطر الى حيش منهرم علامة حسنة . وفي عصور العودة المعروفة بعودة
العشرة آلاف حطب القائد كسينومون في حده فلما انتهى الى هذه العبارة « لنا الامل
الوطيد ان يرجع واتخذ اليها تعونة الارباب » عطس احد الاحداد على الاتراف اخذ الحيش
يصلي ويصرخ الى الرب على ان يعت لم هذا الفأل وبهف كسينومون الا فسد ربقديه
صحايا لريوس ادعت اليها ما تتعال به فيما بحر . فموص في سلامتها .

هاتف العيب كان الرب في الاحابن يحيم سؤل من يدعوه ويستشير من
المؤمنين لا اشارة صماء بل على لسان احد الملهمين من علية الناس فيأتي القوم مرار رب
يستدون احوة يتلقونها ويصانح يستصحبون . وهذا هو معنى الهاتف بالعيب . وانك لتري
في اما كن كثيرة من بلاد اليونان وآسيا حمل حاخنة من الهاتفين بالعيب واشهرهم في
دودون من بلاد ايروس ودلفيس في سنج حمل البار اس مكان الرب ريوس في دودون
يحيم دعوة المصطر بن بدوي استجار البلولط المقدسة والرب ابولون كان المسصح في دلفيس
وكان يسري في معارة من معبده من شق النهر مجرى سيم ض اليونان ان الرب بعث به
لانه ما استنشقه اسان الا وحرف وجن ولدا وضعوا اتقية على شق الارس وهي عبارة
عن امرأة (نيسيا) فتجلس على تلك الاتقية بعد ان تستحم في حمام مقدس وتقبل الالهام

فما هو إلا أن يأخذها تنيء من الجحرا العصبى حتى تبدأ تصرخ اصوات وتنفوّه بكلمات مقطعة ويتلقاها منها كمنة يجلسون حولها فينظمونها شعراً ويقصونها على من جاء يستصيح فكان هتاف الغيب من يسيها هذه مشوّتة ملتبساً . ولما سألها كريسوس عما اذا كان يجب عليه ان يشهر على الفرس حرباً اجابته بقولها (ان كريسوس يدمر مملكة عظيمة) ثم ان مملكة عظيمة تقوّضت اركانها واكسها كانت مملكة كريسوس . وكان للاسبارطيين ثقة عظيمة باليديا ولم يكونوا يسبّرون حملة لهم دون استشارتها وقد اقلدى بهم سائر اليونانيين وهكذا اصبحت دلفيس مبعث الهاتف الوطني .

الامفكتيونيا — ألف اثنا عشر رجلاً من اعيان الشعوب اليونانية جمعية سموها الامفكتيونيا حباً بحماية قدر دلفيس فكان يجتمع بواب هذه الشعوب كل سنة في دلفيس للاحتفال بعيد اولون وللنظر فيما اذا كان المعبد يحتمى عليه من مدي يد الاذى لانه كان فيه تروة عظيمة ربما تدعو اللصوص ان يهبوه . وقد صادر اهل سيرا وهي المدينة القريبة من دلفيس هذه الكنوز الثمينة في القرن السادس فاعل عليهم اولئك الاعيان المشار اليهم حرب من استباح الامور المحظورة وحرقت سراج المقدسات فاحدت سيرا وهدمت من اساسها وبيع سكانها بيع الرقيق واصبحت ارضها كآل لم تعن بالامس . ومع هذا فلا يبغى ان يذهب داهب الى ان مجمع الامفكتيون اسمه في وقت من الاوقات مجلساً يونانياً . بل انه لم يعن الا بتعبد اولون لا بالشؤون السياسية وما قط ضرب على ابدي شعوب الامفكتيون حتى لا يبيروا بينهم دواعي التقاق والهاتف العبي والامفكتيونيا في دلفيس كان لها من السطوة حظ اوفر من سطوة اخانيين والامفكتيونيين ولكنه ما صم قط انذات اليونانيين وجعلهم امة قائمة براسها

اسبارطة

شعبها

لاكونيا — لما هاجم اهل الجبال من الدور بين شبه جزيرة المورة برلت اعظم عصاة منهم في مقاطعتي اسبارطة ولاكونيا ومقاطعة لاكونيا واد صيق يتقه مهر عظيم يعرف بالاوروتاس يحيط بهما جبالان عظيمان عطيت قممهما بالثلوج وقد وصفهما احد الشعراء بقوله : « ايتها الارض الغنية التربة المحصنة الرباع المتعذر استيانتها واستتمارها ايها البلدة الجوفاء المحصورة بين جبال قائمة الكثيبة في منظرها المنيرة على هجمات المهاجمين » وقد عاش الدور يون من الاسبارطيين في هذه البلاد الحصينة بين ظهرا في سكانها القدماء فاصبح بعضهم

رعايا لهم وفريق منهم عبيدهم ومواليهم وبهذا انقسم سكان لاكوبيا الى ثلاث طبقات وهم الهيلوتيون والبيريكيون والاسبارطيون .

الهيلوتيون - سكنت هذه الطبقة من السكان اكواحا منتشرة في الفلاة واقاموا على حرت الارض ورراؤها وما ملكوا الاراضي التي كانوا يعملون فيها ولم يكونوا مطلقين في مغادرتها وما كان حالهم في ذلك الا حال عبيد القرون الوسطى مستأجرين تابعين للارض حلقا عن سلف عاملين لما لكها الاسبارطي وكان يتناول منهم افضل قسم من علاتهم . ولطالما احقرهم الاسبارطيون وحادروا ناسهم واساءوا معاملتهم واصطروهم الى لبس ثياب عليقة وضربهم بلا داع ليزكروهم انهم عبيد وارقاء . وربما اسكروهم في الاحايين لينفروا اناءهم من السكر . وقد شبه احد شعراء اسبارطة الهيلوتيين « بحمر موقورة تكبو ونوء تحت اعباء الاحمال واعياء الضرب »

البيريكيون - سكنت هذه الفئة مئات من القرى في الجبال او على الساحل وآلفوا الاسفار البحرية والتجروا وصنعوا المواد الضرورية للحياة فكانوا احراراً يدبرون شؤون مرارعهم بيد اهلهم كانوا يؤدّون حصة لحكام اسبارطة ويخضعون لهم .

حالة الاسبارطيين - - - - - بعض الهيلوتيون والبيريكيون ساداتهم الاسبارطيين . يقول كسيوفوف لم يكن لاحد منهم عدما تكله في شأن الاسبارطيين ان يكتم مبلغ سروره لو تسمى له ان يأكل الاسبارطيين احياء . رللت اسبارطة ذات يوم وكادت تدعى اركانها فما كان ناسرع من الرق حتى اهبال الهيلوتيون من اطراف الفلاة ليقتلوا الاسبارطيين الناحين من الهلاك . تم انقضض البيريكيون وابوا الخضوع . على ان الاسبارطيين كانوا من سوء السلوك بحيث يستحقون سخطهم . واقد امر الاسبارطيون عقيب حرب اشترك فيها كثير من الهيلوتيين في معسكراتهم ان ينشقوا من اشتهر منهم بالشجاعة ووعدهم ان يعفوهم وكان هذا الوعد منهم حيلة ليعرفوا بها اتجعهم نفوساً واحراًهم على ابداء الواحد التورية فانخب ألفان منهم طافوا بهم ارجاء المعبد منوجة رؤوسهم اشارة الى الحرية تم ادخلهم الاسبارطيون في حركان ولم يعرف احد كيف هلكوا على حين كان المضطهدون عشرة اضعاف مواليهم وما قط ربا الاسبارطيون على تسعة آلاف رب أسرة يقابلهم مائتا الف من الهيلوتيين ومئة وعشرون ألفاً من البيريكين . اقنصى ان يعادل واحد من الاسبارطيين عشرة من مواليهم في مسائل القتل واذا اعتادوا المصارعة قضت الحال بان يكون افرادهم اقوياء اشداء فكانت اسبارطة معسكراً لا جدار له وكان شعبها جيئاً على قدم الدفاع ابداً

التربية

الاولاد — يؤخذ اطفال هذه الامة منذ ولادتهم ليكون منهم اجناد فكل مولود يؤتى به امام المجلس فادا وجد انه ضعيف اسوه بعرضه على مجلس لان احوالهم اوجبت ان لا يكون جيتهم مؤلفاً الا من ارباب القوة والجلادة فمن يستحيونهم يؤخذون من اهلهم في السابعة من عمرهم ويربون مع اقربائهم كأهلهم اولاد جماعة فيروحن عارية اقدامهم وليس على ابدانهم غير رداء واحد هو وقايتهم صيفاً وشتاءً وينامون على كدس من القصب ويغتسلون في المياه الداردة من نهر الاوروتاس ويقللون من الطعام ويرددون كثيراً واطعمتهم عليظة ليعادوا ان لا يملأوا معدهم . ويقسمون الى سرايا كل سرية مئة رجل ولكل منها زعيم . وكثيراً ما يريدونهم على النطاعن بالارجل والاكف . ويساطون في عيد ارنيمس حتى تسيل دماؤهم امام هيكله وربما مات بعضهم متأثراً من الصرب على اهلهم قلما يستعيتون فيرون الترف ان لا يرفعوا اصواتهم يريدون بذلك تدريبهم على ان يقتتلوا ويحتملوا العذاب والالم . وكثيراً ما يبيعون عنهم الطعام ثباتاً فيسرقون ما يقتاتون به فادا خدعوا يضربون بالسياط ضرباً مبرحاً . وكان من احد اولاد الاسبارطيين كما قيل وقد سرق ثعلباً صغيراً وحبأه تحت توبه ان آثر جعل بطنه فريسة للثعلب يبهته على افصاح امره واظهار فعلته . وكان يراد تدريب هؤلاء الاطفال على حسن التحصن في الحروب فيسيرون عاضين انهم ساكتين وايديهم تحت ثيابهم لا ياتفتون يمينه ولا يسرة كائناً على رؤوسهم الطير امام اذياكل وكان عليهم ان لا يتكلموا على الطعام ويطيعوا كل من يلقوهم وذلك لكي يحصوهم للنظام .

البنات — اما سائر اليونانيين فيحبس بناتهم في البيوت ويشعلنهم بركبة الصوف . اراد الاسبارطيون ان يقووا احسام نسايتهم ويجعلنهم من المقدرة بحيث يلدن الاقوياء من الاولاد فمن تم كانوا يربون البنين على عرار البنات الا قليلاً . ولقد كانوا يتربون في رياضاتهم على الركض والقفر ورمي الاطرو والطمع بالحرار . وقد وصف شاعر العناكات فيها البنات كالمباري مسرسلات شعورهن والغبار تار وراءهن وقد استهز من امرهن انهن كن اصح نساء يونان واتجعلن .

التدريب — حياة الرجال منظمة ايضاً كحياة الجند اذ قضت الحال ان لا تنتهي عنائهم امام جمهور الاعداء فيكون الاسبارطي في السابعة عشرة من سنه جدياً ويظل كذلك الى الستين . فكانت الاريا وساعة القيام والنام والطعام ورياضات محددة معروفة بنظامات كما هو الحال في تكتة الجند اليوم . فاذا لم يحارب الاسبارطي يستعد للحرب فيمرن نفسه

على العدو والقفز وحمل السلاح ويروض كل حين عامة اطراف جسمه من عنقه ودراعيه وكفيه وساقيه . ولا يحق له ان يتجرو ولا ان يحترف ولا ان يحتر ارضافهو حندى وليس عليه ان يجيد عن مهمته بمعاظاة اي عمل كان . وليس له ان يعيش في أسرته على هواه فان الاسبارطيين يتناولون الطعام رمراً زمراً ولا يحرحون من بلادهم الا نادراً وهذا يعد من باب تنظيم جيش في ديار العدو

الايجاز في الكلام — قاسى هؤلاء المحاربون شطط العيش فكانت سخناتهم صفيقة تقرأ فيها الحب والخيلاء وكانوا يحتلون الكلام احتراً لا . وهذا ما يسمى بالكلام الموجر وبالأفريجية (لا كونيك نسبة لمقاطعة لا كونيا وقد بقي منها هذا التعبير) . فكانت الحكومة تبعت الى حامية على خطر من مباغتته العدو لها رسالة لا تكتب فيها سوى كلمة (الحذر) ولقد احطرت ملك الفرس حمساً اسبارطياً ان يطرح سلاحه فاجابه القائد « تعال خذه » ولما استولى لاندرك على آنية لم يكتب سوى هذه الجملة « سقطت آنيته » .

الموسيقى والرقص — كانت الاشغال الاسبارطية صنائع حرية بحيش . حمل الاسبارطيون معهم صرناً من الموسيقى خاصه مهم كانت على حاب عظيم من الوقار والحجاسة والكراهة في الاسماع وهي من صروب الموسيقى العسكرية . فيروح الاسبارطيون الى ساحة الوعى على نعات المرمار ويسيروا على الايقاع . ورقصهم عبارة عن استعراض قائد لخدم فيرقص الراقصون الرقص العسكري المألوف ببلاد يونان المدعو بالبيريك مسلحين ويتابعون عامة حركات القتال ويشيرون بالضرب والكر والفر والطعن بالحراة .

نأس النساء — عرف النساء تقميس الرجال على القتال واشتهرت آبار تنجاعتهن في يونان فكتبت فيها المصنفات . وقد قملت امرأة اسبارطية ولدها لفراره من الرحف قائلة « ان مهر الاوروتاس لا يجري ليشررب منه الوعول » ولما علمت احدى نساء تلك البلاد ان خمسة اولاد لها هلكوا خالت ليس هذا ما اسألكم عنه فبلا كتب المصرا لاسبارطة فلما احببت بالايجاب قالت اذا فلنحمد الآلهة ولنشكرهم » .

الترتيبات

الملوك والمجلس — للاسبارطيين اولاً كما لسائر اناء يونان ملوك ومجلس شيوخ ودار بدوة وقد حفظت كل هذه الترتيبات ولكن من حيث الصورة فقط . فالملوك وهم من سل المعبود هيراكليس يشرفون ويكرمون ولهم حق التصدر في المواضع الاولى في الماداب ويقدم لهم من الطعام ما يكي اتنين وادامات اخدمهم بلبس جميع الرعايا عليه الحداد . بيد انهم لم يتركوا لهم ادني حكم بل يراقبونهم كل المراقبة . وكان مجلس النواب مؤلفاً من

ثمانية وعشرين شيخاً منتخبين من العيال العبية القديمة يقومون بما ندبوا اليه مدى الحياة ولكنهم لا يحكمون .

المفتشون — ان المفتشين (ايفور) هم السادة الحقيقيون في اسبارطة وهم خمسة حكام يتجدد انتخابهم كل عام ويناط بهم تقرير السلم والحرب وفصل القضايا . وهم يرافقون الملك في قيادة الجيش فيديرون حركة الاعمال الحربية وكثيراً ما يريدونه على الرجعة من الحرب وهم في العادة يستشيرون اعضاء مجلس الشيوخ ويقررون ما ينبغي باتفاق آرائهم ثم يجمعون الاسبارطيين في احدى الساحات ويطلعونهم على ما تم من القرار ويطلبون اليهم ان يصدقوا عليه اما الامة فاما تستحسن ما تم بالهتاف دون ان تناقش في اقل مسألة . ولا يعلم فيما اذا كان للامة الحق ان ترفض ما قرر وهي التي علمت الخضوع وان لا تعاند اصلاً . وكانت هذه الحكومة حكومة اشراف مؤلفة من عدة اسرات حاكمة . فمن ثم لم تكن اسبارطة دلاذ مساواة وكان فيها اناس يدعون اهل المساواة وذلك لانهم كانوا سواء فيما بينهم اما غيرهم فيدعون المروؤسين ولم يكن لهم شيء من الحكم المتة .

الجيش — بفضل هذه الطريقة في الحكم احفظ الاسبارطيون باحلاقهم الحبلية القاسية فلم يكن عندهم نقاشون ولا مهندسون ولا خطباء ولا فلاسفة بل انهم انصرفوا كلهم الى الحروب وحدثوا علم الكر والفر اياما حذق وعدوا من المقتنين لغيرهم من اليونانيين واتوا العالم بعملين عظيمين احسن طريقة في القتال واحسن طريقة في التدريب .

المسلحون — كان اليونان قبلهم يسيرون الى القتال بغير انظام فيمتطي الرعاء صهوات الحبول او محلات حفيفة ويتقدمون صفوف الحملات والناس يتبعوهم متساء وقد تسلح كل منهم كما اراد وقد تفرقوا طرائق قديداً وليس في وسعهم ان يكونوا يداً واحدة في العمل او المقاومة . وما هو الا ان يستحيل القتال الى مبارزات تم الى مذايح . اما في اسبارطة فالمقاتلة باجمعهم سلاح واحد وكانت وسائل دفاعهم درعا يغطي النصف الاعلى والحوذة نقي الرأس والمسامي (الطافات) نقي الساق والتروس تجعل في مقدمة الحسد . اما وسائل هجومهم فسيوف قصيرة ورمح طويل . ويسمى السلاح على هذه الصورة باسم ايبوليت . والمسلحون من الاسبارطيين مقسومون الى كتائب وسرايا وفرق وشراذم على مثال ترتيب حيوتنا لهذا العهد الا قليلاً . فكان الضابط يقود احدى هذه العصابات وبلغ حاله اوامر الرئيس بحيث انه يتأق للقاء العام ان يوحد حركة الجيش كله . وهذه الطريقة التي رآها سهلة هي بالنسبة لليونان ابداع عجيب .

مصاف الجيش — متى بلغ الجند مقدمة الاعداء يأحدون مصافهم ويكون في العادة

على ثمانية صفوف متقاربين بعضهم من بعض مؤلفين من جموع متكاثفة تدعى حمافل ومضافاً ويقدم الملك وهو قائد الحيش عنزة على سبيل النذر للارباب واذا نفاء لوا باحشاء الديجة نفاؤلاً حسناً يبدأ جماعة من الجند يرددون لحاً وعندئذ تتهز صفوفهم ويباعتون اعداءهم مسرعين على الايقاع ونعمات المرمار والرمح يعلو والترس على الجسد فيحملون عليهم وصفوفهم متراسة فينكسون اعلامهم بجموعهم ووبوهم ويهرمون ويقفون حالاً لئلا يقطع مصافهم وانه ليتسى اكل حندي ان يحمي احاه مادام سير الحيش كسفاً الى كتف فيكون بذلك كالبنيان المرصوص يتعذر على العدو ان يحد الى حرقه سبيلاً . نعم ان هذه التعبئة كثيفة في ذاتها ولكنها تكي لغلبة جيوش مشوس ولما يقاوم ناس منفردون مثل تلك الجموع ولقد فهم سائر اليونان هذا الامر فاقندوا جميعهم بالاسباطيين ما ساعدتهم المكنة فكان جندهم حينما حلوا مدحجين بالسلاح وقتلوا حمافل وكسائب متراسة .

الرياضة الحسبية - اقتصى تدريب رجال حفاف اقوياء لتسى مهاجمة العدو في مثل تلك الصفوف ونكيس اعلامه لاؤل وقمة فكان على كل جندي ان يحسن اليراز والصراع فمن سم رتب الاسبارطيون الرياضات البدنية واقدى بهم سائر اليونانيين واصبحت الرياضة عملاً من اعمال الامة كافة . واكثر اعمالها اعتباراً ما يكلل صاحبه في الاعياد العظيمة . عرفت احدى المدن في الملاد النائية بين برارة العول او البحر الاسود وتبت امها يونانية اذ كان لها ملعب للاعمال الرياضية . وكان هذا الملعب قطعة مرعة عظيمة تحيط بها اربعة اوجه او دهاير وهي في الاغلب على مقربة من بيع وله حمامات وقاعات للتمرين . فيحضر السكان الى دالك المكان للرهة والمحادثة وهو اشبه ساد وكان الفتيان يقضون في هذا الملعب عامين على الاقل يختلفون اليه كل يوم يتعلمون القفز والركض ورمي الايثار وضرب الحراب ويتصارعون بوسط الحسد لتقوية العضلات والجلد وينعمسون في الماء البارد ويطلون ابدانهم بالريت ويتمسحون بمسحة .

المصارعون - معظم الاسبارطيون يقضون عامة حياتهم في ممارسة هذه التمرينات لرباء ومروءة فلا يعتمدون ان يصحوا مصارعين وقد وفق بعضهم الى ان تمت على ايديهم حوارق ويقال ان ميلون من مدينة كروتون في ايطاليا كان يحمل بورا على كتفيه ويوقف عجلة وهي راكضة بان يمسكها من خلفها . ولقد كان هؤلاء المصارعون يخدمون في الحروب خدمة الاجناد وكثيراً ما يقومون بقيادة الرحوف وهذا صبح قولنا ان الرياضات البدنية بمثابة تدريب على الحرب .

اعمال الاسبارطيون - تعلم الاسبارطيون من اليونانيين الترويض والقنال وجاء منهم

مصارعون اقوياء اسداء وجند منظم وعرفوا هذه المزية في بلاد اليونان وكانوا من اجل ذلك يحترمون في كل مكان . ولما قضي على سائر الشعوب اليونانية ان تقاتل الفرس مجتمعة تحت راية واحدة لم يستنكفوا من اتحاد الاسبارطيين زعماءهم . قال خطيب آتيني وكان هذا الامر بحجة صحيحة واستحقاق تام .

آتينه

الشعب الآتيني

اتيكيّا -- فاخر الآتينيون لسكنائهم ابدًا بلادًا واحدة وادعى اجدادهم انهم ولدوا من الرمل كالريزان . وقد احتاز الفاتحون من سكان الجبال بالقرب من بلادهم ولم يهاجموها وقبلما دعيتهم اتيكيّا الى قبالها . هذه المقاطعة مؤلفة من جبال شاهقة صخرية ناتئة في البحر على شكل مثلث الاضلاع . وهذه الصخور المشهورة تقطع رحابها وبمعسل نخلها حرارة مرداء بينها وبين البحر ثلاثة سهول صغيرة قاحلة لا تروى (لحفاف سواقيها في الصيف) ولا تقوم بتعذية امة كبيرة .

آتينه -- على فرسخ من البحر في اعظم تلك السهول قامت صخرة عظيمة وحيدة منصبة وقد استئت آتينة في سفحها . اما المدينة القديمة التي كانت تدعى الاكروبول (المدينة العالية) فاما كانت في قمة الجبل . وقد اخذ سكان اتيكيّا ينفرقون الى ممالك عديدة فكانت كل قرية تحكم نفسها نفسها ولها ملك فجمع جميعها تحت زعامته وهو ملك آتينه فيتألفون بذلك مدينة واحدة وليس معنى ذلك انهم كلهم يحطون رحالهم في المدينة . بل يظل كل منهم يسكن قريته ويررع ارضه . بيد انهم كلهم عبدوا اربانًا واحدة وهي آتينه معبودة آتينه وحضعوا باجمعهم لملك واحد .

تورات آتينه -- قد رجعت آتينه فرعت السلطة الملكية واستعاضت عنها بتسعة زعماء (اركون) يتبدلون كل عام . وانا لنجهل هذا التاريخ كل الجهل اد لم يبلغنا عن ذلك الوقت اقل كتابة تستند اليها . ويروى ان الآتيين عاشوا قرونًا في شقاق يصطهد اشراف اصحاب الاملاك (اوباتريد) العملة من اصحاب المياومات في اراضيهم وبيع الدائنون مدينتهم بيع الارقاء . ولقد عهد الآتينيون حبًا بتوطيد الراحة الى صولون احد حكمائهم ان يسن لهم قوانين يسرون عليها فقام بثلاث اصلاحات : اولًا تقليل قيمة السكة وهو مما سهل على المدينيين ان يوفوا ما عليهم من اهنون سبب . ثانيًا جعل الفلاحين ملاكًا للاراضي التي يزرعونها ومن ذلك الحين صار في اتيكيّا كثير من صغار اصحاب الاملاك مما لم يعهد مثله في بلاد يونانية . ثالثًا قسم السكان عامة الى اربع طبقات بحسب مداخيلهم وقضى

على كل منهم ان يؤدي الضرائب ويقوم بالخدمة العسكرية على نسبة ثروته . اما الفقراء فاعفاهم من الضرائب والخدمة . ولقد خضع الآتيونيون بعد وصولون الى بيزيسترأس احد اناثهم العالمين العارفين تم بدأ الاضطراب سنة ٥١٠

اصلاح كليستين — استنفاد كليستين احد زعماء الاحراب من هذه الاضطرابات فقام ثورة عظيمة . ولقد سكن كثير من العرباء في اتيكيا وكان معظمهم ملاحين وتجاراً يقطنون مدينة بيربا بالقرب من المرفأ . فاعطاهم كليستين حقوق الوطنيين وساواهم بالسكان الاقدمين فصار من تم في تلك المقاطعة شعبان مختلفان سكان اتيكيا وسكان بيربا وكانا يتميزان احدهما عن الآخر بعد ثلاثة قرون من هذا الاحتلاط باحتلاف شخصاتهم فيسببه اهل اتيكيا سائر اليونانيين ويسببه اهل بيربا الآسيويين . وهكذا زاد الشعب الآتييني فاصبح امة جديدة ومن اكثر سكان بلاد اليونان حركة وتشاطاً حتى اذا كان القرن الخامس تألفت الهيئة الاجتماعية في آتينة تأليفها الاحير مكان ثلاث طبقات من السكان يقطنون اتيكيا الا وهم الموالي والاجانب والوطنيون .

الموالي — الموالي هم السواد الاعظم من اهل البلاد فلم يكن تمت رجل مهما بلغ من الفقر المدقع الا ويملك مولى، اما الاغنياء فيملكون منهم كتيبة وملك بعضهم نحو خمسمائة مولى وكان من شأن هؤلاء الموالي ان يبقوا في الدور وشغلهم الطحن والمجن وحياكة الثياب ونسجها وطبخ الطعام وخدمة ساداتهم . ويعمل بعضهم في المعامل حدادين وصباغين او يشتغلون في المقالع والمناجم الفضية . ويقوم سيدهم باودهم ولكنه يبيع لنفسه كل ما ينتجه ايديهم ويأتي ثمره اعمالهم ولا يعطيهم من جميع ذلك الا الطعام . فكانت عامة الخدمة والعاملين في المناجم ومعظم الصنائع عبيداً وارقاء . يعيترون في المجتمع دون ان يعدوا منه بل لا يتصرفون بانفسهم وهم ملك مواليتهم حسماً ومادة . ولم يعتبروا الا اعتبار عروض تملك وربما دعوهم « اجساداً » وليس لهم من شريعة غير ارادة سيدهم . ولسيدهم عليهم كل حق وسيطرة فان شاء شغلهم وان شاء حبسهم وان شاء حرهم من طعامهم وان شاء ضربهم واذا نشأت لاحد الوطنيين قضية يتأتى لخصمه ان يطلب تعذيب مواليه ليقر او بما يعملون . وقد امتدح عدة خطباء آتييين هذه العادة وعدوها ضرباً من صروب الخدق لاحد شهادة صحيحة . قال الخطيب ايريه ان المعذيب احسن واسطة ليل البراهين ولذلك متى كان عليك ان توضح مسألة منازعة فيها فاياك ان تعتمد الى الاصرار بل انك تصل الى كشف القناع عن محيا الحقيقة بجعل العمدان في العذاب الشديد .

الاجانب — هم ناس من اصول مختلفة يقيمون في اتيكيا وهم الدين بدعون الميتيكيين

(اي المتساكنين) . ولم يكف الرجل كما هو الحال عندنا ان يولد في ارض آتينية ليعد وطنياً بل يجب ان يكون ابن وطني . وغيباً استوطن الطراه في اتيكيا اجيالاً كثيرة وماعدت قط اسراتهم آتينية . فالميتيكيون والحالة هذه لم يكن لهم ان يشتركوا في الحكومة ولا ان يتروّجوا وطنية ولا ان يقننوا ملكاً على حين كانوا احراراً في اختصاصهم ولم حق السفر في البحر وان يكونوا صيارف وتجاراً على شرط ان تتخذوا لهم زعيماً ومولى يمتلهم امام القضاء . وكان في آتينة زهاء عشرة آلاف أسرة من الميتيكيين ومعظمهم صيارف وتجار الوطنيون — اقتضت الحال ان يكون الانسان ابن وطني او وطنية ليكون وطنياً آتينياً ومتى بلغ الفتي الثامنة عشرة من عمره يعد عندهم راشداً ويقف امام جموع الشعب ويدفع اليه السلاح الذي يقصى عليه حملة ويقسم يمينا فيقول . أقسم ناسي لأهين هذا السلاح المقدس ولا أعادر موقفي في صفوف الاعداء وان احصع للحكام والقوانين وأتربى بـ وطني . فيكون بهذا الحلف وطنياً وجندياً معاً ويقصى عليه بعد ان يخدم في الجندية الى من الستين وله لقاء ذلك حق الجلوس في مجلس الامة والقيام بوظائف الحكومة ورتبارضي الشعب الا تيني يجعل رجل وطنياً على حين ليس هو ابن وطني ولكنه يرضى بذلك على صفة استثنائية وتوسعاً في المكرمة العظيمة . فوافق المجلس على قبول العريب وينبغي ان ينتخبه على الاقل ستة آلاف وطني بعد تسعة ايام من هذا الاقتراع وفي جلسة نائية وذلك في انتخاب سري . والشعب الا تيني هو كدائرة مطبقة لا يدخل فيه اعضاء جدد الا اذا رضى الاعضاء القدماء بقبوله على اهمهم لا يقبلون غير انانهم .

المجلس --- يلقب الا تينيون حكومتهم بالحكومة الديمقراطية (اي حكومة الشعب) وليس هذا الشعب ما نعي به عندنا من جمهور السكان بل هو جماعة الوطنيين وحلضاء الاتراف وعددهم بين خمسة عشر الفا الى عشرين الف رجل وهم زعماء الامة بأسرها . ولهؤلاء الجماعة سلطه مطلقة وكلمة عليا وهم على التحقيق ملوك آتينة وان مجالسهم يلقب ثلاث مرات في الشهر للمفاوضة والاقتراع . يجتمعون في الهواء الطلق في ساحة البيكس فيجلس الوطنيون على مقاعد من حجرات درجات ويقعد الحكام بازائهم على مضطبة ويفتحون الجلسة باحتفال ديني وصلاة يصلونها ثم يعلن المنادي بصوت جهوري بالمسألة التي يناقش فيها المجلس قائلاً من مكم يشرع في الكلام أولاً . ولكل وطني الحق ان يطلب ذلك . وعندها يصعد الخطباء المنبر بحسب تفاوت اعمارهم ومتى تكلموا كافة يضع الرئيس المسألة المطلوبة على بساط البحث فيقترع المجلس بان يرفع اعضاؤه ايديهم ثم ينصرفون . المحاكم — لما كان الشعب حاكماً فهو يقضي في القضايا لذاته بذاته ولكل وطني بلغ

التلابين من عمره ان يكون من اعضاء مجلس الحكم فيجتمع الحكام في القاعات الكبرى فرقا كل فرقة مؤلفة من خمسمائة نسمة . وفي كثير من القضايا ياتم فرقا او ثلاث فرق من الحكام فتتألف المحكمة من جمهور يبلغون ألفاً وألفاً وخمسمائة قاضي ولم يكن للآتينيين حكام كما هو الحال عندنا لرفع القضايا بل كانت هذه المهمة من وظيفة الوطني الذي يعهد اليه تجريم المجرمين . فتمثل المدعي والمدعى عليه امام المحكمة ويخطب كل منهما خطبة لا تزيد على وقت 'حد' ساعة دقاقة مائة . ثم يبدأ القضاة بالموافقة على وضع حصة بيضاء او سوداء فاذا توفر للمدعي بضعة آراء (اصوات) زيادة على حصمه يحكم عليه ويحرم .

الحكام - . كان الشعب الحاكم في حاجة الى مجلس لوضع المسائل موضعها من الملت والى حكام ينفذون ما يقرره ويألف المجلس من خمسمائة وطني تصيبيهم القرعة حولاً كاملاً . واذ كثر عدد الحكام حص عشرة منهم لتعبئة الجيش وقيادته والابون لادارة الشؤون المالية وستور مهم يعهد اليهم حطة الحسبة من النظر في الشوارع ونظافتها والاسواق وبياعاتها والاوزان والقياسات وما يتبعها .

معة هذه الحكومة - لم تكن السلطة في آينة في ايدي الاغنياء والشرفاء كما كانت في اسبارطة بل كانت تقرر كل مسألة باكثرية الآراء وتعاذل الآراء فيجري انتخاب الحكام واعضاء المجلس والعمال بالقرعة . الا القواد فاهم لا ينتخبون كذلك . والوطنيون يتساوون لا من حيث الامور النظرية بل من حيث الامور العملية . ولقد قال الحكيم سقراط لاحد اهالي آينة المورين وكان لا يجرأ على الكلام امام الشعب « يا هذا من تخاف ؟ ام القصار بن ام من السكاكين او الممارين او الحرايين ام من السوق والمرترقين من هاته الطبقات يتألف المجلس » وكثيرون من هؤلاء الحكام مضطرون الى الاحتراف ليعيشوا ولم يكن في وسعهم ان يخدموا الحكومة بالجان ولذلك عينت لهم مشاهرات واحوراً فيتناول كل وطني اجرة جلسة واحدة في المجلس او المحكمة ثلاثة فلوس او خمسة واربعين ساتيماً من سكنا وهو القدر الذي يتأقى لرجل ان يعيش به في ذاك العصر . من اجل هذا كثر الاعضاء الفقراء في هذه المجالس وحلوا على دكات المحاكم مع الاغنياء كتنفا الى كتف ووجهاً لوجه .

الفوضيون من الشعب - لما كانت تفصل المسائل برمها في المجلس او المحاكم بالمناقشة فيها والقاء الخطب في مضامينها كان فصحاء القوم هم ارباب المكانة المكيئة في الامة . فاعتادت هذه ان تسمع لاصوات الخطباء وان تعمل حائرية وتعد اليهم في السفارات وان تعينهم قواد او زعماء . ويدعى هؤلاء الرجال الفوضيين « اوزعاء العصاة » . اما

حرب الاغنياء فيضحك منهم . وقد مثل اريستوفان الشعب في احدى الروايات الهللية في صورة شيخ سخيف فقال : انت عبي تصدق كل ما تسمع تستسلم لاهل النفاق والدسائس يتلاعبون بك على هواهم وتغيبط بالسعادة متى حطبوا فيك . وقال احدهم خطاباً لاجد نراع الآفاق انت يا هذا شي فظ عظيم وصوتك شديد وفي بلاغتك من القمح وفي حركاتك من السرعة ما يؤهلك على ما ارى الى كل ما يلزمك لحكم آتينة .

الحياة المنزلية

احترع الآتييون وظائف كثيرة عهد القيام بها الى فئة من الوطنيين . فكان الوطني الآتيي كالموظف والجندي في ايامنا مهتماً بالانصراف الى الاعمال العامة بصرف ايام حياته في اشهار الحرب والحكم على الشعب ويقضي ساعاته في المجلس او في المحكمة او في الجيش وفي محال الرياضة او في الدوق وكان له انداً امرأة واولاد لان الدين يأمره بذلك ولكنه ما كان يعيش عيش البيوت .

لاولاد -- يحق للوالد عند ما يولد له مولود ان يطرحه ويطرده خارج بيته فيموت طريقاً اذا لم يلقطه احد اثناء السبيل ويربيه ليحمله مولى له . وانت ترى ان آتينة اتبعت في هذا خطة جماع الشعوب اليونانية . والبنات كن ينبذن في العراء ويطرحن خارج المنازل اكثر من البنين قال احد الخطباء الهزليين ان الابن يُربى في الغالب ولو كان ذووه في اقصى دركات الفاقة اما الابنة فتهمل ولو كان اهلها من الغنى على حارب . فان قبل الوالد الولد يعد من الأسرة ويترك اولاً في مساكن النساء بالقرب من الام حيث يظل البنات الى ان يتزوجن اما البنون فينفصلون عن تلك البيوت في السابعة من عمرهم فيسلم الطفل الآتيي الى المربي الذي يعهد اليه تعليمه وتحسين هيئته والخضوع والطاعة وكثيراً ما يكون المعلم من طبقة الموالي الا ان والد الطفل جعله في حل من صرب ابنه . وهذه كانت عادة عامة في القديم . ثم يذهب الولد الى الكتاب يتعلم القراءة والكتابة والحساب واشتاد الاشعار والتغني مع جماعة الموسيقيين على نغمات المرامر ثم يأخذ في تعلم الالعب الرياضية وهذه عاية ما يتعلمه الولد فيجيء من هذا التعليم من اماء الآتييين رجال صحيحة اجسامهم هادئة افكارهم يدعوم اليونانيون اهل الصلاح والجمال . اما الفتاة فتظل بالقرب من امها لا تتعلم شيئاً . ويذهبون الى انه يكي الابنة الآتينية ان تحسن الخضوع وتقتسبت باهداب الطاعة . وقد مثل كسينوفان احد اغنياء الآتييين المهذبين وهو يخاطب الحكيم سقراطاً في شأن زوجه قال : لم تكذب تلغ الحامة عشرة حتى تزوجتها وقد كان ذووها جعلوها الى ذاك العهد تحت المراقبة الشديدة وارادوا ان لا تبقى وتعيش ولا تسمع

شيئاً على التقريب مما اهلها لان تكون امرأة تحسن نسج الصوف وتصنع منها ثياباً ورأت باي الطرق يستخدم الاماء والخدامات . ولما اقترح عليها زوجها ان تكون شريكة في حياته احابته مدهوشة : على اي امر أعينك وهل انا قادرة على شيء ؟ فلطالما قالت لي أمي ان شأني الخاص بي ان اكون عاقلة . فعنى كون المرأة عاقلة ان تحضه وهذه هي الفضيلة التي تطلب الى المرأة اليونانية .

الزواج — تزوج الفتاة في الخامسة عشرة من سنها واهلها يختارون لها زوجها فيكون تارة شاباً من أسرة قريبة او رجلاً طاعناً في السن من اصدقاء والدها ولا يعدو ابدأ ان يكون وطنياً آتياً وقد تعرفه الفتاة من قبل في بعض الاحوال وما قط أخذ رأيها في معنى زواجها . ولما تكلم المؤرخ هيرودتس عن احد ابناء يونان قال : ان كالياس هذا حدير بان يتكلم المتكلمون في امره للخطبة التي يسلكها مع ساته فاسهن متى صلحن للزواج ينخلهن من المال شيئاً كثيراً ويسمح لهن باختيار ازواج لهن من ابناء الامة ويروجهن عن بنتيجهن النساء — كان في داخل كل بيت آتبي مسكن منعرل خاص بالنساء يدعى الحرم ولا يختلف الى هذا المسكن عبر الراج والاسباء وتبقى فيه ربة البيت دائماً مع صويجباتها وامانها تراقب اعمالهن وتلقنهن اصول تدبير المنازل وتوزع بينهن الصوف ليحكنه وهي تشغل نفسها بحياكة الثياب ايضاً . وقلم كانت تخرج من دارها الا في الاعياد الدينية ولا تطهر في مجتمعات الرجال قط . قال الخطيب اريس . حقاً انه لم يكن لاحد ان يجراً على العداء عند امرأة مزوجة فان النساء المروحات لا يجرحن للناول الطعام مع الرجال ولا يسمحن لانفسهن ان يأكلن مع الغرباء وغير المحارم . وما كانت المرأة التي تحالط الرجال معدودة في جملة النساء المحتشمات المبهذات . وهكذا لم تكن المرأة وهي على حالها من الاعتزال والجهل ذات عشرة مقبولة فيتزوج بها الرجل لا لتكون شريكة حياته بل لتقوم بأمر بيته وتلد له اولاداً ولان العادة والدين عند اليونانيين يقضيان بان يكون للمرأة حليلة . وقال افلاطون اذا تزوج المتزوج فليس برضاء وذوقه السليم بل لان الشريعة تقضي عليه بذلك . وقال مياندر الشاعر الهزلي هذه العبارة : اذا شئت التحقيق فقل ان الزواج شر ولكنه شر لا مناص منه . ولذا كان ابدأ للنساء في آتينة كما في معظم المدن اليونانية مقام وضع في المجتمع .

الحروب المادية

سببها — بينا كان اليونان آحذين في تنظيم مدنهم كان ملك الفرس يجمع شتات بلاد الشرق كافة تحت لواء واحد . ولقد تقابل اليونان والمشاركة وكان المصاف بينهم لاول

الامر في آسيا الصغرى . وكان على شاطيء آسيا مستعمرات يونانية غنية ماهولة فطمع قورث ملك فارس في ضمها الى بلاده فبعثت تلك المستعمرات تستجد بالاسباطيين وقد استهروا بانهم احرا ابناء اليونان وانذروا بذلك قورث واجابهم بقوله : اني ما احتيت قط هذا الضرب من الناس الذين يجتمعون في ساحة وسط مدينتهم ليحذع بعضهم بعضا بالايمان والعهود (كلامه على ساحة السوق) فعلم ابناء اليونان في آسيا واصبحوا رعايا اداك الحاقان الاعظم . وبعد ثلاثين سنة تقابل الملك دارا مع يونان اوربا ولكنهم ظهروا عليه هذه المرة فارسل الآبيون عشرين سفينة على الايويين العصاة فدخل حنهم سيف ليدبا واستولوا عنوة على مدينة ساردس عاصمة ليدبا واحرقوها . فانتقم دارا عن ذلك ان حرب المدن اليونانية في آسيا ولم يبق على يونان اوربا . وقيل انه امر ان يقتل لديه ضابط في كل مأذبة يكرر على مسامعه قوله : مولاي تذكر الآبيين . وقد بعث الى المدن اليونانية يطلب تراناً وماء . وهذه الاشارة الشائعة عند الفرس كانت دلالة على ان شعباً يخضع لاداة اسلطة الحاقان الاعظم فاجس معظم اليونانيين خيفة واستسلموا حاصعين ناحمين فطرح الاسباطيون المندوبين من الفرس في شرفائلين لم ان يأخذوا منها ماء وتراباً يحملوها الى ملكهم . وهذه كانت فاتحة الحروب المادية .

مبادلة الخصمين - ان التباين بين هذين العالمين المتحاربين قد اشار اليه هيرودتس احسن اشارة في صورة محاورة بين كسيركيس ملك الملوك وديمارات احد المفيين من الاسباطيين فقال هذا : اتجاسر ان اؤكّد لك ان الاسباطيين يعلمون عليك حراً حتى ولو انفاز سائر اناء يونان كافة الى حزنك ولولم يبلغ جيشهم الف رجل . فاحاب كسيركيس صاحباً وليت شعري هل في وسع الف رجل ان يشهروا حراً على هذا الجيش الكثير العدد والعدد واني لاحتى ان يكون في كلامك تحذلق كثير . وهب ان عددهم خمسة آلاف فنحن زهاء الف لقاء واحد . فلو كان لهم زعيم متلنا فان الخوف يحمسهم ويزيد نفوسهم مصاء فيرحفون بصرب السياط على جيوش اكثر منهم حصا وعدداً . واذ اهمهم احرار لا علاقة لهم باحد وليس لهم من التجاعة اكثر مما خصتهم به الفطرة . يقول ديمارات ان ليس الاسباطيون دون غيرهم في حرب يتلاقى فيه المتحاربون جسداً لحسد حتى اذا انضموا بعضهم الى بعض صاروا جيشاً برأسه ومن اتبع الناس وامضاهم . وقصارى القول فانهم وان كانوا احراراً في الطاهر ليسوا كذلك في سائر شؤونهم فلم يملك مطلق ألا وهو « القانون » فهم يخافونه كثيراً ويرهبون نأسه اكثر من رهبة رعايانا لك . يطيعونه والقانون يأمرهم ان يتبتوا في مصافهم ابداً الى ان يغلبوا او يموتوا - اليك حال هذين

يرحفون الى العدو الا اذا امهالت السياط عليهم وقد جاؤا بسيف القوة والقهر الى حرب لا يهجم امرها ولا سلاح لديهم ، لا نظام في مصافهم وهم لا يلبتون ان يركنوا الى الفرار بمجرد ان تعيب اعين الحراس عندهم . وثقاتل الماديون والفرس وحدهم في ثلاثيه وميكال ونجا الرعايا . وكان الجند الفارسي سيء النظام والعدة يلبس يابا ضويلة وقد وقيت رؤوسهم بقلسوة من لباد وحفظت اجسامهم انراس من سجر الصفصاف والخلاف وسلاحهم قوس ومدية وحرية قصيرة جداً ولم يكونوا يستطيعون القتال الا اميديين ويقاتل الرجل رجلاً مثله . اما الاسبارطيون والمتحدون معهم بقعد المخالفة فكانوا على عكس ذلك ثقيهم التروس العظيمة والحدود ووقايات السوق ويسيرون جموعاً مستبكة لا تقاوم يحرقون صفوف العدو بحراهم الطويلة وما هو ناسر من رد الطرف حتى تصير الحرب ملحمة كبرى ومذممة تباع فيها الارواح ببع السباح .

نتائج الحروب المادية - فادت اسبارطة الحيوش ولكن كما قال هيرودتس كانت آتينة هي التي انقذت اليونانية بان كانت لها مبالاً في المقاومة . والمث اسطول سلامينة وقد استعادت آتينة من هذه البصرة اما المدن الايوبية من الحرر وشاطيء آسيا حملة واحدة فقد تارت ومردت والمث عصاة تبايعت فيها على الموت في سبيل الدود عن اوطانها من مهاجمة الفرس . واما الاسبارطيون وهم شعوب حلية فلما لم يستطيعوا ان يدروا حراً انصرفوا راجعين ادراجهم فانسج الايبينون اد دال زعماء العصاة . وفي عام ٤٧٦ جمع اريستدس قائد اسطولهم نواب المدن المتحالفة فقرر رأيهم على مساعة حرب الخاقان الاعظم وتأمروا بهم على تقديم سفن ومخاربين وان يؤدوا كل سنة قطيعة من المال قدرها ٤٦٠ تالاناً (اية مليوناً وسبعائة الف مرنك) وجعلت الحراة بدينه دياوس في معبد اولون معبود الايويين وكان عهد الى آتينة ان تقود الجيوش وتجي القطائع . وقد الى اريستدس في البحر قطعة من الحديد المحمي واقسموا كلهم ان يحتفظوا جميعاً بالعهد الى يوم تطفو هذه الحديد على سطح الماء وذلك حباً بتأكيدهم العهد ونفاذاً من نقض يمين الاحلاص .

وقد حدث مع هذا ان الحرب وقعت وعقد اليونان — وكان النصر اليك الوينهم ابداً — معاهدة سلمية او هدنة مع الخاقان الاعظم فابى الملك ان يعد يونان آسيان رعاياه (نحو سنة ٤٤٩) . وهنا سؤال يورد في هذا الباب وهو كيف انتهت معاهدة اريستدس وهل كان على المدن المتحدة ان تؤدي القطائع على حين ليس عليها ان ثقاتل بعد فابى بعضها ذلك حتى قبل انبأطفئت نار الحرب . وزعمت آتينة ان المدن كانت أخذت على انفسها العهد على الدهر فاضطرتها الى ان تؤدي ما يطلب اليها . حتى اذا وصعت الحرب

اوزارها لم تجدر حراسة ديولس فتياً . ولذلك نقلها الآتييون الى مدينتهم واستخدموها في
ابناء المصانع والمعاهد . ولطالما كانوا يقولون ان المتحدين يؤدرون ما يتقاضونه من الضرائب
للخلاص من ايدي الفرس فمن تم لم يكن لهم ما يطالبون به بثة ما دامت آتينة تدفع عنهم
عادية الخاقان الاعظم . وهذا مما عير حالة المتحالفين فصاروا ملزمين بدفع الضرائب لآتينة
وما عثموا ان امسوا رعاياها فرادت آتينة في قائلهم واكرهت مواظبتهم على المتول امام المحاكم
الآتينية بل قد انفت بطواريء من قبلها ليسمعروا جاباً من ارضهم وبهذا النظر اصبحت
آتينة ام القرى تحكم زهاء ثلثمائة مدينة متفرقة في الحزر وشواطيء الارخبيل وتحبي قطيعة
قدرها ستائة تالان في كل سنة .

الصنائع في بلاد اليونان

آتينة على عهد الامبراطور بركليس

بركليس --- كانت آتينة في منتصف القرن الخامس من اقدر المدن اليونانية بدير
امرها بركليس احد ابناء الاسرات العظيمة وكان مقلداً من الكلام غير منبذل في شخصه ولم
يكن يتوقع في اعماله رضى الامة بل كان الآتييون يحرمونه ولا يجرون الا على اصابحه
وهو معروف بانه متمكن من شؤون الادارة ومعرفة البلاد ولدات دحنوا تحت سيطرته وحكمه
وادار سياسة آتينة كلها اربعين سنة كما قال معاصره توسيديس المؤرخ : ان الحكومة
الديمقراطية كانت موجودة بالاسم بل كانت تلك الحكومة حكومة الوطي الاولى على التحقيق
آتينة ومصالحها -- كانت منارل القوم الخاصة في آتينة كما في معظم المدن اليونانية
ضيقة واطنة متراكمة بعضها على بعض يكون منها ارقه حبيقة منعطفة سيئة التليط . وقد
جعل الآتييون عظمتهم في معالمهم العامة . ثمذ احدثوا يجبون من محالفيهم قطائع لتصرف في
سبيل الحروب كانوا ينفقون النفقات الطائلة في اقامة انية جميلة فعمروا في ساحة احد
التوارع رواقا مرينا بالصور (الفسيل) واستوا في المدينة دارتمتيل ومعبد اكراما لتيريس
احد اطالهم واوديون معبد الشعر والموسيقى وذلك للمسابقة في هذا العلم . ولكن قامت احمل
المباني على صخرة الاكروبول كأنها على قاعدة هائله وهما معبدان (احدهما وهو البارتيونون
جعل قربى للمعبودة آتينة حامية مدينة آتينة) والاخر هيكل ضخم من الفلز يمثل آتينة وسلم من
الآبار الجليلة يصل الى البروبيلي ورواق الرحام في آتينة . ومن دلك العهد كانت آتينة
اجمل بلاد اليونانية وانضرها .

عظمة آتينة --- ومع ما حصت به آتينة من الصفات المشار اليها كانت ايضا مدينة اهل
الصنائع فقد حشر اليها الشعراء والخطباء والمهندسون والمصورون والنقاشون وكان بعضهم

من اهل آتينة ووجهائها وجاءها البعض الآخر من اطراف ارض يونان يحملون الى تلك المدينة العظيمة نتائج صناعاتهم وطرف طرائقهم . لا جرم انه نبغ كثير من ارباب الصنائع اليونان لم يكونوا من اهل مدينة آتينة وذلك قبل القرن الخامس وبعده بكثير من الزمن ولكن قل ان اجتمع هذا القدر العظيم من ارباب الصنائع في مدينة واحدة ولقد كان معظم اليونانيين من اكيس ارباب المعارف في الصناعات وموادها بيد ان الآتيين فاقوا غيرهم بحس دوقهم وصنع ايديهم واماروا بعقول متقفة ورعة في الطرف وآثار الظرف واللفظ . ولئن جاء من ابناء يونان امة رفيعة القدر عالية المكاة في تاريخ الحضارة فذلك لاهلها امة تحسن ملكة الصناعات فلا جيوشهم القليلة ولا بلادهم الصغيرة الرقعة حدمت العالم والعمران خدمة اعظم من خدمه صناعاتهم لها . فاليك السبب الذي من اجله كان القرن الخامس اجمل عهد في تاريخ يونان والداعي الى ان جعل آتينة تستأثر بفضل الشهرة اكثر من غيرها من المدن اليونانية .

الآداب

الخطباء — امتازت آتينة اولاً ببلاغة خطباتها فكانت حقاً للآداب وحسن الالتقاء وبالخطب في مجلس الامة يقرر اشهار الحروب وعقد السلم ووضع القطاعات والضرائب وكل الشؤون العظيمة وبالخطب التي تلقى في المحاكم يحكم على الوطنيين والرايا او يردون للخطباء الساطة وعلى الامة ان تعمل بنصائحهم ومواعظهم وربما عهدت اليهم بادارة شؤون المملكة فقد عين كليون قائداً ورأس ديموستين الخطيب حرب فيليب وللخطباء نفوذٌ وكثيراً ما يلجؤون الى بلاغة القول للنيل من عدائهم في سياستهم وربما اغتبنوا لانهم يتناولون ارباب الغايات ما يرضيهم من المال ليعضدوا احد الاحزاب . فقد اخذ اسيل مالا من كدونيا وقبض ديموستين دراهم من ملك الفرس .

ثم ان بعض الخطباء يستئون خطباً ليلقيها غيرهم . ولا يسوع لمن كانت له قضية ان يرفعها بواسطة محام كما هو الحال عندنا بل نقضي سريعة البلاد ان يتكلم صاحب القضية في قضيته الذات . فمن تم كان عليه ان يروح الى احد الخطباء ليلمس منه تأليف خطاب له يستظهره لينلوه امام المحكمة . ولطالما جاب بعض الخطباء بلاد يونان وتكلموا في موضوعات توحى اليهم الخيلة فاقاموا لهم كما نقول مقامات وعقدوا اندية ومؤتمرات (١) وكان قدما الخطباء يتكلمون بدون تصنع مقتصرين على ان يقصوا على المناظر الكوائن بدون ان يعمدوا الى اساليب خطاييه فيقفون في المنبر لا حراك لهم دون ان يصحوا او يتحركوا وكان الملك

(١) اشتهر عشرة من هؤلاء الخطباء خاصة فدعوا خطباء اتيكيا العشرة

بيركليس يحطّب خطبه على طريقة هادئة دون ان يحرك اهداب ردهائه وعند ما كان يقف في منبر الخطابة وقد تكلم رأسه حسب العادة باوراق التيجريز عم الشعب انه يتخذ رثا من ارباب الاوليبيا ولكن الخطباء الذين جاؤا بعد ذلك طعموا في اتارة الامة وتحريك احساسها والنفوذ الى شعورها واصطلحوا على الاشياء المتين يروحون في المنبر ويعدون منشدتين متحركين . وما عمت الامة ان اعتادت هذا الاسلوب في الفصاحة . ولما احذ ديموستين يتكلم في منبر الخطابة للمرة الاولى طفق الحضور يقهقهون ويضحكون من اسلوبه اد لم يكن يحسن التلفظ ولا الوقوف ثم ما لبث ان مر على الالتقاء واحسان الحركات المطلوبة حتى صار ندم التعب وعمريره . دنت الايام ودرجت الليالي وديموستين حطيب في امته . وقد سئل بعد عن اول صفة في الحطيب فاجاب بانها العمل ثم سئل تاليه فقال العمل ثم سئل تاليه فقال العمل . ومعنى العمل طريقة الالتقاء فانها كانت تهم اليونان اكثر من الخطبة .

الحكماء -- كان منذ قرون عند يونان آسيا حاسة اناس يراقبون المادة ويفكرون في امرها لقبوا بالحكماء والعلماء في آن واحد وقد عُنوا بالطبيعيات والفلاك والدارنج الطبيعي اد لم يكن العلم قد انفصل بعد عن الفلسفة وهكذا كان حال مشاهير الحكماء السبعة ببلاد يونان في القرن السابع .

السفسطائيون -- جاء ناس على قرب عصر بيركليس الى آيينة فاتحدوا لتعليم الحكمة صناعة واجتمع لهم كثير من الالاميد استوا يقاصومهم آحور الدروس التي يلقونها . وجعلوا ديدهم الانكار على الدين والعادات واصول ادارة المدن اليونانية يوهمون انها غير مبنية على العقل . ويأخذون من ذلك ان المرء لا يعرف شيئا صحيحا (مما كان قريبا من الصواب في عهدهم) وليس في طاقه ان يعرف امرا صدقا كان او زورا قال احدهم . لا وجو . لا مرومتي وجد صعبت معرفته . ويدعي هؤلاء المعلمون التشكيك بالسفسطائيين . وقد حص بعضهم بملكة الخطابة .

سقراط والفلاسفة -- حاول سقراط احد شيوخ آيينه ان يكر على السفسطائيين ويوقمهم عند حدهم على فقر حاله وشاعة منطره ولكن لسانه ولم تكن له دروس يلقها كاولئك السفسطائيين بل يكتفي بالرواح الى المدينة يحاطب من يصادفهم من جماعتهم بكثرة ويحملهم بكثرة الاسئلة على ان يفكروا فيما ينكر فيه نفسه . وكان محته مع الفتيان خاصة يعلمهم وينصح لهم . ولم يكن يطهر سقراط انه شدا شيئا من العلم بل كان يقول ان غاية علي اني ادري بانني لا ادري . وود لو دعي فيلسوفا اي محبا للحكمة لا حكيما كسائر تلك

المرر . ولم يتدبر شيئاً من طبيعة الكون او مسألة من مسائل العالم بل كانت همه دراسة احوال الانسان . وكانت حكمته في قوله . اعرف نفسك . فكان من ثم مبشراً بالفصيلة . واذ انه كثيراً ما كان يحوض في الموضوعات الاخلاقية والدينية عدّه الا يبيون سفسطائياً . وفي سنة ٣٩٩ مّتل امام المحكمة متهماً بانه يتحافى عن عبادة ارباب المدينة وانه يحاول ادخال ارباب جديدة اليها ويفسد على التسان عقاندهم فلم يحاول ان يدافع عن نفسه بل حكم عليه بالموت وكانت سنه اذ داك سبعين سنة فاصصر له كسيوفون احد تلاميذه والف افلاطون من الفلاسفة محاورات اقام فيها سفراط رعيم المتحاورين فاعتبر من داك العهد انا للفلسفة اما افلاطون فقد كان صاحب مذهب معروف (٤٢٩ - ٣٤٨) ولخص ارسطو تليذ افلاطون (٣٨٤ - ٣٢٢) علوم عصره كافة في كتبه وقد انقسم الفلاسفة الذين اتوا بعد المعلمين ارسطو وافلاطون قسمين دعيت شيعه افلاطون بالروافيين وشيعه ارسطو بالمتأئين (لان ارسطو كان يعلم وهو يروح ويعدو)

الموسيقيون - - كان من العادات القديمة ان يرقص القوم في الحفلات الدينية فيمر جمهور من الفتيان حول مذبح المعبود ثم يرجعون واقفين كالاتراف وقفة ذات معانٍ واسارات . اذ كان القدماء يرقصون باحسادهم كلها ويحلف رقصهم كثيراً عن رقصا وهو ضرب من التطواف الحماسي واتسمه برواية ذات ايماء وكان هذا الرقص الديني انداء مستفوعا باغان تعطيها للارباب ويسمى جمهور الراقصين والمعين جماعة الموسيقيين . وللمدن كلها جماعة من الموسيقيين ومنهم ابناء اشرف العيال يعدون كذلك بعد ان يستعدوا زمناً . ومن فرط العناية ان يكون خدمة الرب حديرين بخدمته .

الروايات الفاحعات والهزليات كان يحتفل الفتيان في الارياف المجاورة لآبنة كل عام باقامة المراقص الدينية اكراماً للرب ديويروس اله الكرمه وكان بعض هذا الرقص متشاقلاً يمتل اعمال المعبود فيصرب رئيس جماعة الموسيقيين على وتر أعنية ديويروس ويصور حوقه رفاقه وهم اناس لهم ارجل تيوس يسكنون العانات تم ياحدون في تمثيل عيش ارباب أحر وابطال قدماء . ثم حطر لاحدهم ان ينصب مصطبة يحيى ممثل يلعب عليها عند ما ينقطع جوق الموسيقى عن الضرب بانعامه . وهكذا تم الشهيد ونقل الى المدينة بالقرب من شجر الحور الفارسي او مجتمع السوق فذات من ذلك الروايات الفاجعات .

اما الرقص الآخر فكان مصحكاً فينكر الراقصون وجوههم ويتغنون بمدايح الرب يونيزوس وقد شابهوها باضاحيك يسلمون بها الحضور او بتصورات هزلية في حوادث حدثت ذاك اليوم . وقد صنع في الحوق الهزلي ما صنع في الحوق المجمع من ادخال ممثلين

ومحاورات ونقل الشهيد الى آتينة وهكذا نشأت الروايات الهزلية (الكوميديا) من اجل هذا كانت الروايات الفاجعة تمثل الى يوم الناس هذا ابطلاً اما الروايات الهزلية فتمثل حياة كل يوم واحتفظت الفاجعات (المأساة) والهزليات لبعض اصلها وظلت تمثل امام هيكل الرب وان تكن فاجعة ولئن غدا الممثلون وهم جلوس على المصطبة اصحاب موقع في الشهيد فقد ظل جوق التمثيل يرقص ويتغنى وهو يطوف حول المذبح وكان جماعة الموسيقيين في الروايات الهزلية كما كان يجي المنكرون يبدون ملاحظاتهم على السياسة بغلظة .

الملاهي — جعل في منحدر قلعة الاكروبول ملعب للرب ديونيزوس اله الكرمه يسع ثلاثين الف منفرج وذلك ليحضر الآتييون كافة هذه المتاهد . وكان هذا الملعب كسائر الملاعب اليونانية مكتوفاً تحت السماء ومولفاً من دريحات من الحجر مصفوفة على شكل نصف دائرة بازاء جماعة الموسيقي حيث كان يطوف المنشدون وامام الشهيد الذي تمثل فيه الرواية . ولا نقام المشاهد فيه الا في اوقات اعياد الارباب بيد ان المشاهد كانت تدوم اد دالك عدة ايام متوالية يبدأون في الصباح عند بزوع الغزالة ويمتلون للحال ثلاث فاجعات وقصة هجوية ننتهي على ضوء المساعل من الليل والفاجعات الثلاث يؤلفها واحد وتمثل فاجعات اخرى في الايام التالية وهكذا كان الشهيد ميدان مسابقة بين الشعراء والامة تعطيهم جوائز الاستحسان واشهر هؤلاء المتبارين اسيل وسوفلس واربيدس . وقد عهدت المسابقة ايضاً بين مؤلفي الروايات الهزلية ولم يؤثر من كل ما الفوه من الروايات غير قطعة واحدة فيها ار يستوفان الشاعر الهزلي .

الصنائع اليونانية

المعابد اليونانية — قامت احمل المباني في اليونان تعظيماً للارباب فتي ذكرت هندسة اليونان فلا يذهب الفكر الا الى معابدهم . وليس المعبد اليوناني كالببيعة النصرانية خاصاً بقبول المؤمنين الدين يهرعون اليه الصلاة فيها بل هو قصر يرله الرب وعماله يمثله قصر تحفه الالهة والجلالة ولا يلجحه جمهور المؤمنين بل يظلمت حارجه حوالى مذبح تحت السماء وقد قامت مقصورة الرب في وسط المعبد وهو مرار سري لا نافذة له ولا ضوء ينفذ اليه الا ما كان من كوى في الاعالي . وقام الصنم في داخله معمولاً من خشب او رخام او عاج لابساً ذهباً محلياً بالتياب والحلي وكثيراً ما يكون هيكلًا عظيمًا . وقد مثل زيوس في معبد الاولمبيا قاعداً وبكاد يصل رأسه الى القمة ولدا قيل ان الرب لو تمثل قائماً لحرق السقف وقد حجب هذا المزار عن الانظار من كل ناحية وهو عبارة عن مستودع ذخائر الصنم ويمتاز من يروم دخوله ضرباً من الرواق مولفاً من صفوف من السواري . ووراء الغرفة غرفة

ثانية معلقة فيها الاطلاق الثمينة الخاصة بالرب وجميع قنياته (١) وربما جعل فيها ذهب المدينة وفضتها . وهكذا كانت المعبد صواناً وكنزاً ومتحفاً وتحيط بالمعبد صفوف من السواري من اطرافه الاربعة مؤلفة حوالى جدار المزارع عشاءً ثانياً للرب وكنوزه والسواري على ثلاثة انواع تختلف باختلاف اساسها ورأسها او تاجها وعلى كل منها اسم الامة التي اخترعتها او اكرتت من استعمالها وهي بحسب اختلافها في القدم السواري الدورية والسواري الايونية والسواري الكورنثية . ويدعى المعبد باسم السواري التي بُني عليها . وفوق الاعمدة حوالى البناء صفائح من رخام منقوشة على شكل اللوحة تتناوب على قطع من رخام منصمة ومنها بتألف الافريز . ويعلم المعبد بنية مثلثة في اعلى مقدم البناء مردانة بتماثيل وقد صوّرت المعابد اليونانية بالوان عديدة من اصفر وازرق واحمر وبقي اهل التمدن الحديث زمناً وهم يأبون تصديق ذلك . وكان من الوهم العام ان لانباء اليونان دوقاً معتدلاً جداً في نقش البناء . بيد انه اكتشفت في كثير من المعابد آثار نقوش لا تبقي مجالاً للشك حتى ادت الحال بالباحثين ان علموا بالتأمل فيها ان تلك الالوان اللامعة لم تحسن اخراج الخطوط وكان عليها ان تحسنه اكثر من ذلك .

صناعة النقش اليوناني -- يتراءى المعبد اليوناني باديء بدء انه ساذج لا رينة فيه وما هو الا عاية مستطيلة من حجر موضوع على صخر اما الواحية فتحتوي على شكل مربع تعلاه راويه . فلا ترى لاوّل نظرة غير خطوط مستقيمة وأسطوانات حتى اذا نظرت فيها عن أُم نكتشف لك انه ليس من هذه الخطوط المستقيمة العديدة الا حط واحد مستقيم في الحقيقة . والسواري مستقيمة نحو اوسط والخطوط القائمة مخنية قليلاً نحو المركز والخطوط الأفقية محدبة في الوسط . وكان هذا من الدقة بحيث اقتضى قياسه بالدقيق لا كمنشأ الصنعة فيه . وقد لحظ النقاشون اليونان ان اخراج ميل هذا المجموع المتطابق من البناء يقتضي تجنب الخطوط الهندسية التي تظهر محدرة وتومير العاية بظواهر المساطر البعيدة . قال كاتب يوناني ان عاية النقاش ان يخترع طرقاً يسحر بها اعين الناس . ولقد كان اهل الصنائع في يونان يعملون باحلاص لانهم يعتقدون عملهم قربي من احد الارباب لذلك كانت صنائعهم معتنى بها في كل اطرافها حتى فيما لا يرى منها وهي من المثانة بحيث يطول امد بقائها بعد لولم يعاجلها التخريب بسدة . ودام البارثينون الى القرن السابع عشر (١) كان في البارثينون احد معابد أثينة على قول خزنة كنوز الارباب اوان ذهبية وفضية وتاج من ذهب واطراس وحوادث وسيوف وحيات من ذهب ومضدة من عاج وثمانية عشر فراشاً وجعاب من عاج ايضاً (المؤلف)

سليماً وانتقى شطرين بانفجار مخزن من البارود كان يقربه وقد جمع النقش اليوناني الى المتانة حسن ذوق والى السذاجة علماً ومهارة . زالت معابد اليونان كلها تقريباً ويكاد يبقى بعضها مبعثراً مخدوشاً مهدماً متداعياً الاركان وربما كانت طبقات من سوار على انها تكفي على علاقتها ان تلفت نظر من يراها .

النقش -- لم يكن النقش عند المصريين والاشوريين الا زينة من توابع الابنية اما اليونان فقد احلوه محل صناعة رئيسة . واشهر ارباب الصنائع عندهم النقاشون فيدياس وبراكسيتيل وليريب . فينقشون البارز دون النصف من البناء ليزينوا جدران معبد وواحشته والبنية المثلثة في اعلى البناء . ومن هذا النوع الافريز الشهير في الباناتيبه المحيط بالبارتينون وهو يمثل تطواف شابات آتينة يوم الاحتفال بعيد الربة الكبير . وكان هؤلاء النقاشون ينقشون هياكل وتماتيل خاصة بعضها يمثل رثاءاً ويستخدم صماً وبعضها يمثل مصارعاً ظافراً في الالعب الاحتفالية أقيمت له هذه التماثيل جراء نصرته .

واقدم التماثيل اليونانية محدرة عوجاء تشبه النقوش الاشورية ثم عدت لدنة ظريفة وكانت اعظم الاعمال من صنع فيدياس في القرن الخامس وبراكسيتيل في القرن الرابع اما تماثيل القرون التالية فانها على التأنيق فيها اقل ترفاً وعظمة . وكان في يونان ألوف من التماثيل اد ان لكل مدينة تماثيلها وقد تابع النقاشون عمل التماثيل بلا انقطاع مدة خمسة قرون ولم يبق منها على كثرتها عر خمسة عشر تمثالاً لم تعبت به الايدي . ولم ننقل اليها طرفة من الطرف الشهيرة بين اليونان واشهر تماثيلنا اليونانية اما ان تكون نسخة عن الاصل مثل تمثال الهررة في ميلوا او اعمالاً أثرت عن عصر الاحتياط مثل تمثال ابولون في البلفيدير . ومع هذا فقد بقي منها ما يكفي اذا أضيفت اليها قطع التماثيل والصور البارزة التي ما زالت تستخرج بالحفر لان يتصور المرء حالة النقش اليوناني ويكون له فكر احمالي عنها فالمهندسون اليونان فكروا اولاً في تمثيل اجمل الاحسام في مظهر وقور شريف . وما اضاعوا الفرص كلما سخط ليستمهدوا اجمل الرجال في اجمل الهيآت من محل الرياضة والجيش والمراقص والاجواق المقدسة فيدرسونها ويحسنون قلوبها . وما ضاهاهم احد في محاكاة الجسم البشري ومن العادة ان يكون الرأس صغيراً في تمثال يوناني والوجه ساكناً كامداً ولم يعن اليونان متلنا بمعاني الوجه بل يعتنون بجمال التخطيط ولم يراعوا التناسب بين الاعضاء والرأس . والجسم برمته مثال الجمال في التماثيل اليونانية .

صناعة الخزف -- عرف اليونان ان يتخذوا من الفخار صناعة حقيقية دعوها سيراميك بقي منها اسمها فقط فالخزف او الفخار لم يعتبر في يونان مساوياً لساير الصناعات ولكن له منفعة

عظيمة لنا وذلك اننا نعرفه احسن من معرفتنا غيره فقد تداعت المعابد والتماثيل اما اعمال الخزافين اليونان فقد حفظت بحالها في المدافن التي يعترف فيها عليها اليوم . وقد جمع منها الى الآن زهاء عشرين الف حزفة في متاحف اوروبا وهي نوعان : الاواني المنقوشة بنقوش سوداء او حمراء على اختلاف الحجم والشكل . والتماثيل الصغيرة المعمولة من التراب المطبوخ التي عرفت منذ خمس عشرة سنة قد اشتهرت الآن او كادت منذ اكتشفت الدثني البديعة في تاناكار من بيوسيا ومعظمها انصاب صغيرة وبعضها يمثل اولاداً او نساء

التصوير — اشتهرت في يونان عصابة من المتصورين متلر وكسيس وفارانايوس وايل وكل ما اتصل بنا عنهم يرجع الى بضع اقاويص وربما كانت مبهمة في الاحايين او الى بعض اوصاف ذات صور . وانا للوقوف على حالة التصوير اليوناني قد اقتصرنا على ما عثر عليه من تصاوير الحوائط في بيوت بومبي احدى المدن الايطالية وهي من القرن الاول للميلاد وكأنها نقول بلسان الحال اننا لم نعرف عنها شيئاً

التجارة الآثينية — اصبحت آثينة في القرن الخامس مدينة كبرى على حين كانت تيكي اقليماً مجذبا لا تغل ما يكي لاعالة سكانها فنصطرا الى جلب الخنطة والحمر والسمن والسحك من الخارج . وقد كان عبيد آثينة على العكس يملون الثياب والحرف والسلاح والالات مما يباع خارج بلادهم . فمن ثم كثرت اساليب التجارة . فكانت البضائع ترد الى مرفئ بيرا او تصدر منها وكانت اُتشت فيها ارضه ومخازن وقد سماها احد الخطباء في القرن السادس باسمها سوق بلاد اليونان بأسرها . وكانت تأتيها حاصلات بلاد التمال خاصة ويحمل اليها من الداخلية في موالي البحر الاسود وتراسيا الخنطة والخشب والحلود والعبيد وكانت آثينة تجر مع اليونان النازلين في جنوبي ايطاليا الى نابولي . واذ كان لكل مدينة يونانية نقودها الخاصة بها فقد كان يأتي آثينة دراهم من صروب مختلفة فاقتضى لذلك صيارفة يبدلون بها وكانوا يدعونهم "ترايريت" لانهم كانوا يجلسون في الساحة وراء منصدة (تراييرة) وكانوا كلهم تقريباً من الغرباء الذين اصبحوا متيكيين ثم اهتموا كانوا اتخذوا مهنة اضافوها الى مهنتهم تلك وهي اقراض النقود فيجرون الدراهم ويقرضونها بفائدة فاحشة بحو (٢٠ في المئة)

حرب المورة

خصائص عامة — الاستيلاء على آثينة

خصائص عامة — انقسم اليونان الى قسمين بعد تأسيس مملكة آثينة في الجرائر اليونانية فكانت المدن الساحلية خاضعة لآثينة والمدن الداخلية باقية تحت امرة اسبارطة . وبعد خلاف طال امره نشبت الحرب بين اسبارطة وحليفاتها في ذلك الصقع من جهة وآثينة

ورعاياها الساحليين من الجهة الاخرى وكانت هذه الحرب هي المعروفة بحرب المورة . دامت سبعة وعشرين سنة (٤٠٤ — ٤٣١) ولما القت اوزارها عادت فنسبت باسم آخر الى سنة ٣٦٠

كانت تلك الحروب متوترة يقتتل المتحاربون فيها برًا وبحرًا يقتتلون في ارض اليونان وفي آسيا وتراسيا وصقلية اي في اصقاع مختلفة وكان جيش الاسبارطيين احسن انظامًا جعل مقاطعة اتيكيا قاعا صفاً وكان اسطول الاتيين اكثر استعدادًا لحرب السواطي ، ولم يؤثر عن تلك الحروب الناسبة بين المدن اليونانية الا الشدة ويكفي في وصفها الاشارة الى بعضها . فقد كان احوال الاسبارطيين في بدء الحرب يلقون في البحر جميع سلع المدن المعادية لهم فقابلهم الاتيون بقتل سفراء اسبارطة بدون ان يستمعوا لاقوالهم .

حصعت مدينة بلاتيه صلحًا وكان وعد الاسبارطيون جماعة المحاصرين بانهم لا يعاقبون احداً بدون محاكمة واليك مع هذا كيف كان قصاة الاسبارطيين يعاملون الاسرى . يسألون كل واحد منهم عما اذا قام في حلال الحرب بخدمة الاسبارطيين فكان الاسير يجيب سلبا فيحكمون عليه بالاعدام . وقد بيع النساء كالعامة . عصب مدينه مدالي على الاتيين فانادوها الى ملائمتهم ثم اجتمع الشعب الاتيني واعد المشورة بسد تمى بادام سكان مدالي نعم انه رجح من العد عن رأيه وارسل باخرة تانية تحمل العفو عن اولئك المنقذين . بعد انه كان نفذ حكم الاعدام على رهاء الف من سكان مدالي . وكان من العادة اذا داهم جيش بلاد العدو ان يحرق البيوت ويقطع الاسجار ويحرق العلات ويقتل الخرايين . وبعد انهاء الحرب مجهز على الجرحى ويعمد الى قتل الاسرى صبرا . واد ا جرى الاستيلاء على مدينة يوؤل كل ما فيها ملكا للغالب فيباع رجالها وساوؤها واولادها كما يباع العبيد . هكذا كانت اذ داك حقوق الحرب . وقد اوجرها توسيديد في خطاب له في الجملة الآتية : قال ننفذ المسائل بين الناس بواسطة قوانين العدل متى اضطروا اليها من الطرفين ولكن القوي يأتي ما في طاقته والضعيف يدعون له . فالارباب يتسلطون بضرورة الفطرة لانهم الاقوياء والناس يحرون على متاهل .

الاستيلاء على آتينة — ولما تعب التعبان من هذه الحرب الباطلة عقدا السلم بينهما ولكن امده لم يطل . وذلك ان آتينة بعثت بجيشها الى صقلية لفتح سيرا كوس المحالف لاسبارطة وهناك أحيط به وبعد نكبة سيرا كوس أسر الجيش الاتيني برمته وطلق الغالبون يخنقون عامة القواد وجماعة من الجند ومن ابقوا عليه انزلوهم الى لاتومي وهي مقالع قديمة كانت تخذ حبوسا القوم فيها سبعين يوما متزاحمين متراسين لاوقاية نقيهم حرارة الشمس

في الصيف اورطوبة ليالي الخريف . فمات كثير منهم مرضاً وجوعاً وعطشاً لانهم لم يكادوا يطعمونهم الا ما يسد رمقهم بعض الشيء وبقيت اسلأولهم ملقاة على الارض تفسد الهواء ثم اخرج اهل سيراكوس من بقي حياً من الاثينيين وباعوهم كما يباع الرقيق . واقام الاسبارطيون حامية في جبال اتيكيا بحيث تمكنوا من توقيف تجارة آثينة مع بلاد الشمال ومنها كانوا يأتون بالحنطة . وذهب ليراندر القائد الاسبارطي الى آسيا واخذ مالا من الفرس هز به اسطولا وطاف سواطيء آسيا واد كان احلاف آثينة لا يقاتلون الا بالقوة تركوه وشأنه ثم ان ليزاندر حطم الاسطول الاثيني في آسيا (٤٠٥) وحاصر آثينة واخذها جوعاً واضطرها الى تخريب اسوارها وحرق سفنها الحربية .

نقدم اسبارطة

الاعضاء الثلاثون — سقراط — اجازيلا

الاعضاء الثلاثون - لما عدا القائد ليزاندر صاحب آثينة اكره اهله على تنظيم حكومتهم بحيث لا يخرجون عن حكمه ثباتاً . فانشؤا مجلساً مؤلفاً من ثلاثين عضواً انتخبوا من اعداء الحكم الديمقراطي وكانوا قبل حاولوا النزوع الى الثورة ليمضوا عرى الدستور وعهد الى هذا المجلس ان يؤلف دستوراً جديداً ويحكم آثينة بدون ان يرجع الى رأي احد ولا ان يراعي قانوناً . وأقيمت لحماية هذا المجلس من سطوة الاثينيين حامية من الحمد تحت امرة قائد اسبارضى في قلعة الاكروبول المستبرفة على المدينة . وهذه كانت طريقة الحكم الي وضعها ليراندر في المدن اليونانية في آسيا والجرر عند ما اخرجها من محالمة آثينا حول هؤلاء الاعضاء سلطة لا نهاية لها وشعروا بانهم مؤيدون بالجيش الاسبارطي فانشؤا يحكمون حكم السادة القادة ويقبضون على اتساع الحكم القديم ويتفدون عليهم الاحكام وربما كانت سيطرتهم تتناول الاعنياء متخذين ذلك حجة في مصادرة اموالهم فمن ثم لقب اولئك الاعضاء بالثلاثين ظالماً . وانتهت الحال بترامين احد الاعضاء وكان تأمر على الديمقراطية والتفق مع الاسبارطيين ان قال لصفائه بانه قتل اناس كثيرين فيجب الكف عن ازهاق الارواح فما كان منهم الا ان اتهموه بالخيانة وطردوه من المجلس وحكموا عليه بالاعدام .

وقد مرّ كثير من الوطنيين من آثينة ولجؤا الى البلاد المجاورة ولا سيما الى ميكار وتيبة واستولى احد هؤلاء النازحين المدعو ترازيبول في ٧٠ من اصحابه على قلعة من اعمال اتيكيا في الجبال على طريق بيوسيا عنوة فجاء الاعضاء الثلاثون في اشياهم بداهمونه الا انهم ردوا على اعقابهم وحاولوا ان يحاصروا القلعة ولكن رجع رجالهم الى آثينة لما هطل

التلخ وعتوا بالحامية الاسبارطية و بالفرسان فهم ترازيبول عليهم وقتل منهم ١٢٠ رجلاً ولحق بترازيبول نازحون حدد فلما اجتمع له منهم الف رجل اجتاز اتيكيا فاستولى على مرفأ بيريه ونزل في مونيشي وراء معاقل اتخذها للتحصن فقدم الاعضاء الثلاثون في رجالهم الا انهم ردوا على الاعقاب . وعندئذ رجع اشياهم السلطة منهم واعطوها الى مجلس مؤلف من عشرة طلب معونة اسبارطة فبعثت هذه اليها بليزاندرا حاكماً من قبلها وحاصر بيريه بالسفن . ثم وصل ملك اسبارطة في حيشه ووصل الى آتينة وامر بالكف عن القتال وفصلت حكومة اسبارطة بين الفريقين ورحصت لجميع النازحين ان يعودوا الى آتيه فدخل ترازيبول ورجاله اليها وهم مدحجون بأسلحتهم وصعدوا الى قلعة الاكروبول يقدمون ضحية للمعبودة . ثم اعاد الآتييون الدستور القديم وتراجع الاعضاء الثلاثون في اشياهم الى الوزير فقصدهم الآتييون وهاجموهم وقتلوا الزعماء وارجعوا الباقين ثم اقسموا كلهم ان لا تزع الاحقاد من صدورهم لما انتسب من الحرب الاهلية وهو مما دعي بالهدنة « النسيان » ولم تعد تحدث ثورة في آتينة بعد .

ضعف المملكة الفارسية — سفل اليونان قتال بعضهم بعضاً فكسوا عن مهاجمة الحاقان الاعظم بل واخذوا يسمعون في مخالفته . وكانت المملكة الفارسية لا ثقل عن ذلك في تيهاء الضعف فاصبح الحكام لا يخضعون للحكومة شتاتاً ولكل منهم بلاطه وحرانته وجيشه يحارب من يشاء وقد امسى قبلاً « ملكاً صغيراً » في ولايته وكان الملك اذا اراد ان يعين والياً مكان آخر لا يجد الى ذلك سبيلاً الا يقتل السالف ففقدت مملكة الحرب من نفوس الفرس بعد ان كانوا امة يرتجف لدكرها جميع شعوب آسيا . وهالك كيف وصف الفرس كسينوفون احد ضباط اليونان الذي كان موطفاً عندهم : اهتم ينامون على البسط ولبسهم قفاير سيفهم ايديهم ويتدثرون بالمرور ويلبس الكبراء حجابهم وحيازهم وطبايحهم وجامامهم والخدمة الدين يخدمونهم على موائدهم ويطيبونهم ويعطونهم ليحعلوا منهم فرساناً موظفين ويرتجوا اجورهم ولئن كانت جيوشهم كثيرة العدد فلم ينتفع بها في شيء وسهل على المرء ان يحكم عند ما يرى اعداءهم يطومون بلاد فارس احراراً اكثر من اصحابهم ولا يجروئن اعداء على قتال بعضهم بعضاً عن أمم والفرسان مسلحون كما كانوا سابقاً بالسيف والترس والانس ولكن لم تكن لهم المرأة على استعمالها . وكان سائقو المركبات الحاصدة قبل ان تصل الى العدو تلقى نفسها عمداً او تقفز الى الارض بحيث ان تلك المركبات اذا حلت من سائقها تحدث لهم ضرراً اكثر مما ينشأ منها للاعداء على ان الفرس لا يكتفون انفسهم ضعفيهم العسكري ويعترفون بانخطاظم في هذا الشأن ولا يجروئن على الدخول في المارك بدون

ان يكون بعض الروم في جيوشهم . ومن قواعدهم ان لا يقاتلوا اليونانيين بدون ان يكون لهم منهم مساعدون .

حملة العشرة آلاف — شوهد هذا الضعف عند ما سار كيكافوس سنة ٤٠٠ احو الخاقان الاعظم ارتاكسركيس ليخافه وكان في تلك البلاد ادراك ألوف مؤلفة من نزاع الآفاق او المنفيين من اليونانيين يؤجرون انفسهم اجناداً فدعا كيكافوس عشرة آلاف رحل منهم حتى ان احدهم كسينوفون كتب يصف حملتهم . فاجتازوا بلاد آسيا الى حدود المرات بدون ان يقف احد في وجوههم ثم اقتتلوا بالقرب من بابل . واحد اليونان جرياً على عادتهم يعدون مسرعين وهم يصرخون صريح الحرب وقبل ان يكون البرابرة على قيد علوة نادروا الى الهزيمة فلحقهم اليونان وهم يتصارحون ان لا يفارق احدهم صاحبه . ولما انتهت اليهم مركبات الحرب فتحوا صفوفهم ليتركوا لهم سبيلاً الى المرور ولم يصب يوناني نادى صرب ما حلاً واحداً جرح بسهم .

جرح كيكافوس واتتت جيسته بدون ان يقاتل وظل العشرة آلاف يوناني وحدهم في داخلية بلاد محاربة امام جيش عظيم ومع هذا لم يجسر الفرس ايضاً على مهاجمتهم ولكنهم عدروا وقتلوا خمسة قواد لهم وعشرين صابطاً ومائتي جندي حادوا لعقد محالفة . ولما اصبح اولئك المستأجرون من الهند نالا قواد وضباط انخبوا زعماء حددوا وحرقوا حيامهم ومركباتهم وركنوا الى الفرار ودخلوا في جبال ارمينية الوعرة وعلى ما ناله من الجوع وكثرة التلوج وسهام القبائل الوطنية التي لم ترض ان تفسح لهم مجالا للمرور وصلوا الى البحر الاسود ورجعوا الى ارض يونان بعد ان قطعوا مملكة فارس وبقي منهم لدن عودتهم « سنة ٣٩٩ » ٨٠٠٠ جندي .

اجازيلا — وبعد ثلاث سنين داهم احاريلا ملك اسبارطة في جيش صغير بلاد آسيا الوسطى وليديا وفريجيا المشهورة بغناها وخصبها وقاتل الولاة والعمال وراح يدخل الى آسيا ولكن الاسبارطيين ارجعوه ليقاتل حيوش التيبين والاتيبيين . وكان اجازيلا اول يوناني قام في ذهنه ان يفتح بلاد فارس فخرن ان رأى اليونانيين يقتل بعضهم بعضاً ولما احبروه بما تم لفلة كورنت قائلين له انه هلك فيها ثمانية من الاسبارطيين فقط وعشرة آلاف من العدو لم يفرح بهذا النصر بل تنفس الصعداء وقال : « مسكينة انت يا بلاد اليونان التسعة فقد اضعف رجالك وكان لك فيهم وحدهم غناء في اخضاع عامة البربر » . واني ذات يوم ان يخرب مملكة يونانية قائلاً : « اذا ادنا جميع اليونان الدين لا يقومون بواجبهم فاين نجد رجالاً للتغلب على البرابرة ؟ » وهذا الشعوب كان قليلاً على عهده .

قال مترجمه كسينوفون عند ما اورد هذه الكلمات لاجاز بلا هائفاً « من كان غيره يرى من المصيبة ان يغلب عند ما كان يحارب شعباً من جنسه » .

عظمة ثيبة . ايبامينوداس

مقاومة اسبارطة — جاء زمن كانت فيه اسبارطة صاحبة السيادة برّاً وبحراً . قال كسينوفون : وكانت على ذلك العهد جميع المدن تخضع لامر يصدر عن احد الاسبارطيين ولما ضاقت صدور المتحالفين مع اسبارطة من الخضوع لها القوا عصاة لمقاومتها . فكان من ذلك ان طرد الاسبارطيون اولاً من آسيا ولم يسلم لهم سبطانهم على بلاد اليونان بضع سنين الا بمحلفتهم للملك الفرس « ٣٨٧ » بيد ان استيلاءهم لم يدم طويلاً فكان في سهل بيوسيا شعب شديد البأس شجاع النفس وهؤلاء البيوسيون الذين شهرهم جيرانهم الاثينيون وربما على غير استحقاق قد ظلوا منقسمين بين احدى عشرة مدينة وكانت ثيبة اقواها سقطت على حين غرة في ايدي الاسبارطيين فادخل زعيم حزب الشراف المحاربين من الاسبارطيين القلعة واوقف زعيم حزب الديمقراطيين ونفذ عليه القضاء المبرم .

واذ لم يرض اربعمائة رجل من اهالي ثيبة ان يظلوا تحت حكم الاسبارطيين لجؤوا الى آتينة . فعزم اقدم المدعو يلو ييداس وهو شاب من أسرة شريفة غنية ان ينقذ بلادهم كما فعل ترازبول في تحليص وطنه فراح يقيم في قرية مع جماعة من المنفيين وانفق مع التيبين الذين بقوا في ثيبة فدحل في احدى ليالي الشتاء الى المدينة في رحاله وداهم الحكام وهم في مأدبة فذبحهم ومن الغد دعا مجلس الامة وهتف له هذا بانه محررها من اسر العبودية . وعندها سلمت الحامية الاسبارطية التي كانت في القلعة . وعادت ثيبة مستقلة وعملت على ان تجمع تحت ادارتها جميع مدن بيوسيا لتسير جميع البيوسيين تحت لواء واحد لحرب اسبارطة .

ايبامينوداس — كان ايبامينوداس هو الرجل الذي نظم حالة التيبين تخففت به لهم اعلام النصر . وكان من اسرة شريفة الا انها غنية فاعناد نوعاً من الحياة القاسية وظل يعيش فيها مقلداً من الطعام لا يتناول الخمر وليس له غير رداء واحد ولا مال لديه . فصيح اللسان الا انه يندر ان تراه يتكلم ولا يقول الا الحق « وهذا مما لم يكن من عادة اليونان » شجاع جداً في الحروب ولكنه مفرط في الانسانية متضع شديد البأس يحبه ويحترمه كل من يراه . ولم يكن يعنى بصراع المصارعين الذي كان يشوق سائر ابناء يونان بل انه اعتاد السباق واللعب بالسلاح واخترع ضرباً جديداً من القتال . وكان الثيبين كسائر اليونانيين قد اختاروا العادة الاسبارطية فيصطف الجند الرجل منهم كتائب كتائب على ثمانية الى

عشرة صفوف وكانت جيوشهم في كل مكان في تعبئتها نمطاً واحداً تولف مثلنا ذا زاوية قائمة مستطيلة ورقيقة فكانوا اذا حمل جندهم على العدو يشعرون بان تروسهم المعالقة على اذرعهم الشمال تحميهم من اليسار ومن اليمين صفوف رفاقهم يحمون المينة بالطبع بحيث ان الجناح الايمن من الكتيبة يشعر بانه اقوى ما يكون في العادة . فتخيل ايپامينوداس ان يعبيء رجاله على شكل زاوية قائمة مؤلفة على طولها من صفوف متساوية في عددها بل ان يضع في الجناح الايسر صفوفاً اكثر من الايمن فأخذ الكتيبة شكلاً غير متناسب يشبه شكل زاوية قائمة . فيكون الجناح الايسر اضعف من الايمن ومؤلفاً من احسن المحاربين يحمل حملة منكرة على جناح العدو الذي يكون اضعف منه فينكس وسط جيش العدو ويأخذه من جنبه فدافع التيبيون عن بلادهم باديء بدء من الجيش الاسبارطي الذي بقي يدهم بيوسيا في ربيع كل سنة اعواماً كثيرة ويقطع الشجر ويحرق العلات ولم يجسر ان يقاتل قتالاً منطماً بل كانت عاراته مناوشات فقويت تسكينتهم وتمرسوا في الحرب . رأى ايپامينوداس ان جيشه قد اعتاد قراع الانطال وقوي ساعده في حومة النزال وكانت الرجال من جند الاسبارطيين اصطفت على عمق ابي عشرة مقاتلاً بالقرب من لوكترس وكانت رجالة التيبين اقل ورساهم اكثر . لان بيوسيا كانت بلاداً تربي فيها الحيلول الحياض فاستطاع ايپامينوداس ان يحمي الميسرة وكان من ذلك ان احتصر حط الحرب وحمل الجناح الايسر من حيثته وكان مؤلفاً من خمسين صفاً فبدد شمل الجناح الايمن من الاسبارطيين حيث كان الملك واقفاً فقل « ٣٧١ » وهذه كانت المرة الاولى التي تغلب فيها جيش يوناني على جيش اسبارطي واصبحت بيبة المدينة المقدسه اكثر من جميع مدن يونان وصارت لما الامرة على بيوسيا كلها وكانت الشعوب اليونانية في المورة الى ذلك العهد حاضعة لاسبارطة فالتفت معونة التيبين ليل استقلاها . فاستأنت مدينة ماتينه في بلاد اركاديا اسوارها على الرعم من دفاع اسبارطة ودحت نتيجة الاغنياء احلاف اسبارطة وكان الاركاديون من سكان الجنوب مستتين الى ذلك العهد في القرى فانصموا بعضهم الى بعض وانتشوا مدينة حصينة سموها ميكالوبوليس ثم اراد ايپامينوداس جمهور التيبين على ان يذهبوا الى عزو الاسبارطيين في عقر دارهم فدحل الجيش البيوسي الى بلاد المورة وكثر سواده بالاركاديين واهالي ارعوس وتوعل في اقليم لاكونيا وطفق يعسكر امام اسبارطة « ٣٧٠ » وكانت هذه هي المرة الاولى التي رأى فيها الاسبارطيون العدو في ارضهم . ولم يكن لاسبارطة اسوار فسلح اجازيلا « وكان قد بلغ اذ ذاك من العمر ٧٦ سنة » جماعة الهيلوتيين وحصن الآكام المحيطة بالمدينة .

ولم يجسر ايامينوداس على الهجوم واذ كان عاجزاً عن اطعام جيشه في البلاد التي استباح حماها وجعل عاليها سافلها رجع ادراجهم وقبل ان يغادر المورة جمع المسيحيين وقد اصبحوا منذ ثلاثة قرون رعايا الاسبارطيين واعانهم على انشاء مدينة قوية سميت ميسين وعادوا يلون شعبتهم . وتحالفت اسبارطة مع الاثينيين الذين كانوا يحسدون التيبينيين كما حالقوا اهل سيراكوزة ومع الجبارديس الذي بعث اليها بالمحاربين الغاليين فغلب الاركاديون احلاف تيبة . وعندها حاولت تيبة ان تنال معونة ملك الفرس وارسل القائد يوليوداس الى آسيا وآب يحمل كتاباً من الحاقان الاعظم الذي وعد ان يحارب اليونان الذين لا يقبلون بمخالفة تيبة « ٣٦٧ » اما سائر المدن فلم تكن تحشى ملك الفرس وابت ان تخضع له . ولم تكن تيبة من القوة لتخضع الى سلطانها جميع بلاد اليونان فظهر ايامينوداس على احسن حال في بلاد المورة مع الجيش البيوسي وحالف المسيحيين ثانية وحاول ان يدهم اسبارطة واد بلغ ذلك اجازيلاً كراً راجعاً وراح ايامينوداس يهجم على جيش العدو في اركاديا بالقرب من مدينة ماتينه وظفر في هذه المعركة باتحاده الاسباب التي اتخذها في لوكترس ولكن اصابه سهم فمات ليومه . وفقد التيبيون به قائداً يقودهم وانتهت ايام عمر تيبة ولم يبق مما قام به القائد ايامينوداس الا مدينة ميسينا التي اصبحت مملكة مستقلة وسقط سلطان اسبارطة من بلاد المورة كما سقط من بلاد اليونان .

نتائج الحروب — لم تؤد هذه الحروب الى تأليف اليونانيين كافة امة واحدة اذ لم يكن لمدينة من مدنها لا اسبارطة ولا آتينة من القوة ما تكره به سائر المدن على الطاعة لها والخصوع لسلطانها وما كان منهم الا ان ينهك بعضهم قوى بعض ويكاح بعضهم بعضاً وكان ذلك من حظ ملك الفرس الذي استفاد من هذا الانقسام ولم تبلغ الحال بالمدن اليونانية انها لم تتفق عليه بل انها كانت كل واحدة على حدة تحالفه للانتقام من سائر ابناء يونان وقد صرح الحاقان الاعظم (٣٨٧) في معاهدة انتاليسيداس بان جميع المدن اليونانية في آسيا هي ملك له ولم تحالف اسبارطة قوله ذلك ولا نقضت زعمه وكذلك كان شأن آتينة ونيبة بعد بضع سنين فقد قال خطيب آثيني : « ان ملك الفرس هو الذي يحكم بلاد اليونان ولم يبق عليه الا ان يقيم له عمالاً في مدننا . اليس بيده الحل والعقد في بلادنا ؟ اما نحن فنندعوه الحاقان الاعظم كما لو كنا عبيده ؟ » وهكذا اضاع اليونان بتفاسلهم وتدابرهم ما كانوا غنموه في حزب مادي .

عظمة مكدونية

فيليب — الاسكندر — فتح آسيا

انهكت الحروب المتصلة مدة قرن بين اسبارطة وآثينة قوى تينك المماكتين فتركنا قتال ملك الفرس الا ان شعباً جديداً وهم المكدونيون عاودوا قتاله حتى نالوا منه وكانوا على خسوتهم وقسوتهم اشبه بقدماء الاوروبيين شعباً مؤلفاً من رعاة وجند . ولقد سكنوا شمال بلاد يونان في واديين عظيمين مطلين على البحر . ولما كان اليونانيون يحلونهم محل الاعتبار بل ينظرون اليهم نظراً تانوياً كما ينظرون للبرابرة واد كان المكدونيون يدعون انهم من نسل هيراكليس سمح لهم اليونان بان يركضوا خيولهم في سباق الالعاب الاولمبية وبذلك اعترف بهم صمناً بانهم من ابناء يونان .

فيليب — قلما كان هؤلاء الملوك النازلون في بلاد الداحلية بعيدين عن البحر يتتركون في حروب اليونان . وفي سنة ٣٦٠ تسنم اريكة العرش المكدوني شاب شيط تجاع طموح واعني به الملك فيليب فطمحت به نفسه الى القيام بثلاثة امور .

(١) ان يشيء جيشاً قوياً

(٢) ان يستيء جميع المواقي على شاطيء مكدونية

(٣) ان يكره سائر اليونان على الانضواء تحت لوائه لقتال الفرس

فصرف في هذا الشأن اربعا وعشرين سنة ونجح فيما قصد له . واستسلم اليونان اليه بل واعانه كثير منهم واتخذ له انصاراً يبذل المال في جميع المدن يحسنون الظن فيه ويمتدحونه قال : « ما من قلعة يتعذر الاستيلاء عليها اذا استطاع المرء ان يدخل اليها بعلاً مثقلاً بالذهب » وهكذا استولى على جميع مدن شمالي اليونانية واحدة بعد اخرى .

ولقد كان الحصم اللدود لفيليب الخطيب ديموستين وهو ابن صانع السلحة تيم في الساعة من عمره واختلس اوصياؤه جزءاً من ماله ولما بلغ اشده اقام عليهم قضية واكرههم على ان يعيدوا اليه ما اختلسوه منه وكان درس خطب ايزيه واستطهر تاريخ توسيديد يد انه عند ما حطب على المنبر العام قوبل كلامه بالقهقهة اذ كان صوته ضعيفاً جداً ونفسه قصيرا فنوفر عدة سنين على ترويض صوته . ويروى انه كان ينقطع شهوراً طويلاً ويغفر رأسه مخلوق لئلا يحاول الخروج ويلقي خطباً وفي فمه حصا وهو على شاطيء البحر ليمرن نفسه على التعلب بصوته على جلبه الناس ولما رجع الى المنبر كان قد اخضع صوته لارادته واذا كان يحافظ كل المحافظة على اعداد جميع خطبه قبل القاها عدا ارقى خطيب واعظم مفوه في بلاد اليونان . وكان الحزب الذي يرجع اليه امر آثينة على ذلك العهد بزعامة فوسيون يطمح في السلم اذ لم

يكن لا آينة جند كاف ولا مال وافر لا يقاف ملك مكدونية عند حده فكان فوسيون يقول سأستير عليكم بالحرب متى صرتم بحيث تستطيعون القيام باعبائها . وكان ديموستين على العكس يخنقر فيليب ويراه كأنه من المتوحشين فنطوَّع في خدمة الحزب الذي يطلب محاربتَه واستخدم ما فيه من فصاحة لاخراج الآتينيين من سياسة المسالمة ولم يدخر وسعاً مدة خمس عشرة سنة في تحريرهم على ذلك .

وانك لتجد موضوع كثير من حطب ديموستين الحملة على الملك فيليب وكان يسميها الفليبية . قال في خطابه الاول سنة ٣٥٢ : متى تقومون ايها الآتييون بواجباتكم ؟ اتريدون ان تسرحوا وتترحوا في الساحات وبعصمكم يا آل بعصاً بقوله : ما وراءك من الاخبار ؟ اما انا فاقول لكم ليس من حديد الا اننا نشاهد مكدونياً يتغلب على آينة ويستولي على ارض يونان ؟ اقول لكم انه من الواجب تسليح خمسين سفينة وان تعقدوا العزم ان تركبوها بالذات عند ميسس الحاحة . جنبوا مسمعي حديث حيش مؤلف من عشرة او عشرين الفا من الاجانب ولا حقيقه له الا على الورق فاني لا اريد الا اخنوداً من الوطن متطوِّعين في خدمته .

وقال ديموسنين في الفيليبيات الثالثة سنة ٣٤١ يذكر الآتينيين بما حازه فيليب من الظفر عليهم لغفلتهم وقلة حركتهم : « كان اليونان قديماً عند ما يسيئون استعمال سلطنتهم ابظلموا غيرهم تقوم بالادهم كلها على ساق وقدم لمنع هذا الظلم ونحن اليوم نقاسي ما نقاسي من مكدونية حقير متوحش من اصل ملعون فيخرب المدن اليونانية ويخنفل بالالاعاب البيتية (١) او يأمر حدمه بالاحتفال بها وهذا ما ينظر اليه اليوناني بدون ان يأني امراً كما ينظر الى الرد يتساقط وهو يضرع بان لا يصيبه . والسلطة تعظم بدون ان يخطوا احد خطوة لا يقافها . وكل ينظر من عهد اليه في تمريق تمل غيره كما لو كان يعد ذلك رجحاً في وقت بدلاً من ان يفكر ويعمل لسلامة اليونان عمد ما يعرف الناس ان المصيبة ستال البعدين » . ولما استولى فيليب على الآتية في مدخل بيوسبا (٣٣٩) ازعم الآتييون بما نصح لهم بديموستين ان يتسروا الحرب وبيعوا نفود الى تيبة وذهب ديموستين زعيماً للوفد ولقي في تيبة وفداً جاءه من قبل فيليب فتردد التيديون وارادهم ديموستين على ان يتناسوا جميع احقادهم القديمة وان لا يفكروا في غير سلامة الوطن اليوناني وفي الدفاع عن الشرف والحرية ففعلوا بما ساء به ان يعقدوا مخالفة مع آينة وان يظفوا على المقاومة والحرب .

وبعد سنة (٣٣٨) انتهت الحرب في شيرونية من اعمال بيوسبا وكان عمر ديموستين اذ ذاك ثمانياً واربعين سنة فقدم في الجيش جندياً بسيطاً واذ كان جيش الآتينيين (١) هذه الالاعاب كانت تقام كل اربع سنين كالالاعاب الاولمبية في مدينة دلفيس اكراماً لابلون البيت

والتيبيين قد دعي الى حمل السلاح بسرعة لم يعادل جند فيليب المدرسين ولذلك كانت الهزيمة من حظ الجيش الاول .

الاستيلاء المكدوني — واذ ظفر فيليب اقام حامية في تيبة وصالح آبنية تم دخل الى ارض المورة فاستقبله اهلها كأنه المحسن الى التعوب التي طالما اضطهدتها اسبارطة ومن ذاك العهد لم يصادف اقل مقاومة فجاء الى كورنت (٣٣٧) وجمع فيها مندوبي جميع المدن اليونانية (ما خلا الاسبارطيين فاهم لم يبعثوا مندوبين قط) وعرض عليهم مشروعه وهو ان يتولى زعامة جيش يوناني لعرو فارس فاستحسن المندوبون رأيه وعقدت محالفة عامة بين المدن اليونانية كافة وذلك على ان تحكم كل مدينة نفسها بنفسها وتعيش سلام مع غيرها وأنتهي، مجلس لتلك الوحدة لمنع الحروب والفتن الاهلية والتقتل والمصادرة وهذه الوحدة كان من شأنها الاتحاد مع ملك مكدونيا والاقرار له بالرعامه على جميع الجنود والسفن اليونانية وحظر على كل يوناني ان يحارب فيليب واذا فعل تصرب عتقه بدون محاكمة .

الاسكندر - 'حق فيليب ملك مكدونيه سنة ٣٣٤ وكان اسمه الاسكندر اذ داك ابن عشرين سنة وكان مثل جميع اليونان من ابناء البيوت السريفة ماهراً في الالعاب الرياضية شديد القوى في الكفاح يحسن ركوب الصافنات الحيات (وهو الذي استطاع وحده ان يكبح حماح حصانه بوسيفال في الحرب) وكانت زيادة على ذلك عارفا بالسياسة حسن البيان يعلم التاريخ الطبيعي وكان استاده من سن المائنة عشرة الى الساعة عشرة الفيلسوف ارسطو اعظم عالم في اليونان فكان يتلو الاياداة شوق ويدعوها داييل فن الحرب ويريد ان يتشبه بالابطال الذين ورد ذكرهم فيها . فكانه خلق ليكون داتحاً لانه معرم بالقمال مولع بحب الشهرة وكان ابوه يقول له « ان مكدونية صيقة المطاق ولا تسعلت »

الجحافل المكدونية - ترك فيليب لانه الاسكندر اداة من ادوات الفتح ونعي بها الجيش المكدوني وهو احسن جيش عهد في بلاد اليونان يوافي جيش المائة وجيش الفرسان فكان الجحافل المكدوني مؤلفاً من ١٦ الفا من الرجال مصفوفين ألوقاً ألوقاً ستة عشر صفاً ويحمل كل واحد منهم رمحاً طوله ستة امتار وكان المكدونيون في ساحه الوعى بدلاً من ان يسيروا الى العدو كهم من جهة واحدة يقفون لا حراك لهم ويصرون برماهم العدو من كل صوب وكان جنود المؤخرة يرفعون رماهم من فوق رؤوس الصفوف الاولى بحيث كان داك الجيش يشبه حيواناً عظيماً وقد انتصب وعليه الحديد والعدو يداهم فيتحطم . وكنت ترى الاسكندر يينا كان الجيش في ساحه الحرب يوقع بالعدو وهو في مقدمة فرسانه وكانت هذه الكتيبة من الفرسان مؤلفة من خيار الفتيان الاشراف .

فتح آسيا — سافر الاسكندر في ربيع سنة ٣٣٤ في ثلاثين الف راجل (معظمهم من المكدونيين) وفي ٤٥٠٠ فارس لا يحمل معه غير ٧٠ تالوناً من المال (اقل من ابعائة الف فرنك) وذخيرة تكفي هذا الجيش الضخم اربعين يوماً . ولم يكن عليه ان يقاتل ذاك الفوغاء من الشعوب التي لا سلاح لها وقد سخرها كخسرو الفارسي لامره فقط بل كان امامه خمسون ألفاً من اليونان المجندين في خدمة الخاقان الاعظم تحت قيادة قائد حاذق يدعى ممنون الرودسي فقد كان في مكنة هؤلاء اليونان ان يصدوا المكدونيين عن العبور ولكن صادف ان مات ممنون وتشتت جيشه سذر مذر فتخلص الاسكندر من خصمه الوحيد العنيد وفتح المملكة الفارسية في سنتين . وذلك بعد ان ظفر في ثلاث مواقع فبدد في آسيا الصغرى الجيوش الفارسية الرابطة وراء نهر غرانيك (في مايو ٣٣٣) وهرم الاسكندر داريوس ملك فارس وجيشه الذي يقال انه كان مؤلفاً من ستين ألفاً في مضائق سيليسيا في ايسوس (نوفمبر ٣٣٢) وتشتت في اربل بالقرب من دجلة جيشاً أكثر عدداً (٣٣١) .

فكانت هذه الغلبات مثالا من الحروب المادية فالجيش الفارسي لا سلاح له ولا يحسن الرماية وهو مشوش بنفسه في اخلاط من الجند والاجراء والاتقال وكانت الجنود المختارة وحدها هي التي تقاتل والباقي يثبت ويقتل ولم يكن الفتح في غضون الحرب الا نزهة يكتب فيها الظفر وهذا الفاتح لا يجد امامه مقاومة (١) وماذا يهم شعوب المملكة ان يحضروا لداريوس او للاسكندر ؟ وكل غلبة يحرزها الاسكندر كان يفتح بها مملكة برأسها فوقعة الفرانك استولى فيها على آسيا الصغرى ومعركة ايسوس افتتح فيها سورية ومصر ومعركة اربل بقية البلاد .

ولما صار الاسكندر الحاكم المتحكم في المملكة الفارسية اعتذر نفسه وارتأى ان فان الاعظم صاحب فارس فلبس اللباس الفارسي واستعمل عادات البلاط الفارسي في الاحتفالات الرسمية واكره قواده ان يركعوا امامه على السنة الفارسية وتزوج بامرأة من بنات الفرس وزوج ثمانين من ضباطه من ثمانين فتاة من بنات اشرافهم واراد ان يوسع مملكته الى اقصى الحدود كما فعل الملوك القدماء وتقدم فاتحاً نحو الهند وهو يقاتل القبائل المحاربة ولما عاد في جيشه الى بابل (٣٢٤) هلك بالحمى في بضعة أيام في الثالثة والثلاثين من عمره (٣٢١) مقصد الاسكندر — من المنعذر جداً ان نعرف ما كان يقصد الاسكندر . هل كان يفتح حباً بالفتح ؟ او انه كان له مقصد آخر ؟ وهل كان يريد ان يجعل جميع تلك الشعوب شعباً واحداً ومملكة واحدة ؟ هل اتخذ المناسي الفارسية ليكون مثلاً لغيره ؟ او انه قلد

(١) ما عدا مدينة صور الفينيقية حصينة اليونان لاسباب تجارية

الخاقان الاعظم صلفاً واعجاباً ؟ اننا لم نقف على نياته الا ان اعماله كانت لها نتائج عظيمة
ولقد أسس سبعين مدينة وعدة مدائن في مصر كالاسكندرية وفي بلاد التتر حتى
بلاد الهند ووزع على رعاياه الكنوز التي وجدها في خزائن الخاقان الاعظم وكانت مطروحة
فيها لا ينتفع بها واخذ معه علماء يونانيين لدرس نباتات آسيا وحيواناتها وجغرافيتها وهياً
الملكات في الشعوب الآسيوية الى تعلم لغة اليونان والتخلق باخلاقهم ولذلك اطلق على
الاسكندر لقب الكبير

تأسيس الممالك اليونانية

الاسكندرية — المتحف — ممالك آسيا — التمدن اليوناني في الشرق
خرب مملكة الاسكندرية — جمع الاسكندر تحت علم واحد جميع بلاد العالم القديم
من بحر الادرياتيك الى نهر الاندوس ومن مصر الى القافقاس . ولم يدم هذا الملك العظيم
الا بدوامه فلما هلك اختلف قواده فبمن يولى الملك بعده وحارب بعضهم بعضاً مدة عشرين
سنة واتخذوا باديء بدء حجة لحروبهم بانهم يتقاتلون لمعاودة احد أسرة الاسكندر كالخيه
وابنه وامه واحوته او احدى زوجاته ثم ثقاتلوا علناً باسمهم وتوطيداً لدعائم الملك لسلطانهم
فكان لكل واحد منهم جزء من الجيش المكدر في او جنود يونان مأجورون فكان اليونانيون
يتقاتلون فبمن يستأثر بآسيا ويحكم عليها والناس ينظرون اليهم غير محتفلين بما يأتون كما لو كان
اليونان يقاتلون الفرس اعداءهم

ولما وضعت الحرب اوزارها لم يبق الا ثلاثة قواد وقد هياً له كل منهم مملكة واسعة
مما خلفه الاسكندر فحكم بطليموس مصر وسلوقس سورية وليزيماك مكدونية وكانت انفصلت
بعض الممالك الصغرى او احدثت بالانفصال عنها مثل ابيري في اوروبا ومثل بون وبيتي
وعالاسيا وكابادوس وبرغام في آسيا ومثل مقاطعتي باكتريان وبارسيا من بلاد الفرس
وبذلك تم تقسيم مملكة الاسكندر

التمدن اليوناني في الشرق — كان الملك من اناء اليونان في هذه الممالك الجديدة وقد
اعتاد ان يتكلم باليونانية ويتعبد بالارباب اليونان ويعيش عيش اليونان ويحافظ على لغته
ودينه وعاداته . رعاياه من الآسيويين أي من البرابرة وهو يحاول ان يجعل له حاشية من
جنسه ويجند جنوده من أبناء يونان بالاجرة ويتخذ موظفين يونان لادارة البلاد ويجلب
الى عاصمته شعراء وعلماء وارباب فنون من اليونانيين

وكان في البلاد علي عهد ملوك الفرس كثير من اليونان والطواريء والتجار ولا سيما
من الاجناد فكثر ملوك اليونان من جلبهم وانتشروا في جميع اطراف آسيا وكثر سوادهم

حتى انتهت الحال بالوطنيين ان يلبسوا اللباس اليوناني وينتخلوا الديانة اليونانية والاخلاق اليونانية بل واللغة اليونانية ولم يعد الشرق آسيائياً بل اصبح يونانياً حتى ان الرومانيين لم يحدوا في آسيا في القرن الاول الا شعوباً يتسهبون اليونان ويتكلمون باللغة اليونانية باسرها (١) الاسكندرية — لقب ملوك اليونان في مصر وهم خلفاء بطليموس بلقب الفراعنة على نحو ما كان بلقب ملوكها الاقدمون ولبسوا التاج ودعوا الناس الى عبادتهم باسم ابناء الشمس ولكنهم كانوا محاطين باليونانيين واقاموا عاصمتهم على شاطئ البحر في مدينة يونانية وهي الاسكندرية . تلك المدينة الجديدة التي اُسِّدَتْ بأمر الاسكندر

نيت الاسكندرية على سطح مستوف كانت ذات نظام أكثر من غيرها من المدن اليونانية وكانت الشوارع تنقسم الى زاوية قائمة ويتقها من وسطها الشارع الاعظم وعرضه ثلاثون متراً وطوله ستة كيلومترات وعلى جانبيها ابنية عظيمة مثل بناء استاد حيث كانت تقام الالعاب العامة والجناز والمتحف والارسيوم

وكان المرفأ مؤلفاً من سد طوله الف وتلتائة متر يصل بين اليابسة وجزيرة فاروس وفي طرف هذه الجزيرة أُقيم برج من الرحام جعل في قننه مكان يبعث منه ضوء على الدوام لتسير به السفن التي تريد دخول المرفأ ومن هناك جاء اسم المنارة . فقامت الاسكندرية مقام المدن الفينيقية وغدت المينا العظمى للتجارة في العالم اسره .

المتحف — كان المتحف بناء عظيم من الرحام متصلاً بقصر الملك وقد اراد ملوك مصر ان يجعلوه معهداً علمياً عظيماً . وفيه مكتبة عظيمة (٢) وكان لرئيس القوام عليها ان يبتاع جميع ما يتسنى له الظفر به من الكتب فكل كتاب يدخل مصر يحمل الى المكتبة والنساح ينقلون المخطوطات ويرجعون نسخة لصاحبها مع التعويض ثابه واتصلت الحال بان جمع على هذا النحو عدد من المجلدات لم يسمع تسميه (وهو اربع مائة الف مجلد كما قيل) وكانت الكتب المخطوطة لكبار المؤلفين الى ذلك العهد مبعثرة متسنة وعرضة لخطر الضياع فاصبحت يعرف لها مقر يرجع اليه .

وكان في المتحف ايضاً حديقة للنبات والحيوان ومرصد فلكي وقاعة للتشريح اقيمت على الرعم من اوهام المصريين كما أُقيم معمل كيماوي (كان الملك بطليموس فيلادلف ينجشى كثيراً

(١) كتبت الاناجيل واعمال الرسل في آسيا الصغرى باللغة اليونانية

(٢) حرقَت مكتبة المتحف في حلال حصار قيصر لمدينة الاسكندرية ولكن كان لها

فرع جعل في السرايوم وفيه على ما يقال ثلثائة الف مجلد . وقيل ان هذه المكتبة الثانية حرقها المسلمون في القرن السابع ولكن الظاهر انها فقدت من قبل (قاله المؤلف)

من الموت ففقدى بضع سنين في البحث عن اكسير لاطالة الحياة) وكان في المتحف العسكري مساكن للعلماء والرياضيين والفلكيين والاطباء والنحويين ويقدم لهم عداؤهم على نفقة الحكومة وكنيراً ما كان الملك يتناول الطعام معهم دليلاً على احترامه لهم وكانوا يقضون اوقاتهم في المحاوراة والمطالعة ويحیی الناس من جميع بلاد يونان ليستمعوا لما يلقون وكان التيارات يبعث بهم آباؤهم الى الاسكندرية ليتعلموا . ويقال انه كان فيها نحو ١٢ ألفاً من الطلاب .

ومن ثم كان المتحف مكتبة ومجمعاً علمياً ومدرسة في آن واحد فهو اشبه بمدرسة جامعة وهذا الوضع الذي هو عام بيننا مألوف كان على ذلك العهد من الاوضاع الحديدية التي لم يسبق لها نظير . ولقد اصبحت الاسكندرية بفضل متحفها مقصد جميع المتسارعة من يونان ومصريين واسرائيليين وسوريين يحمل اليها كل منهم دينه وفلسفته وعلمه ويحتنط بعضهم بعض فعادت الاسكندرية اذ ذاك وطأت قروناً كثيرة عاصمة العلم والفلسفة في العالم رعامة - كانت رعامة في آسيا الوسطى من المائات الصغرى ولم تعد لها سطوة بيدان عاصمتها رعامة كانت كلاسكندرية مدينة ارباب الصنائع والادب وانساً نفاسو رعامة في القرن الثالث قبل الميلاد مدرسة مشهورة (١)

وقد ملكت برعامة كما ملكت الاسكندرية مكتبة كبرى جمع اليها الملك اثال انكسب المخطوطة لقدماء المؤلفين وفي برعامة احرعت اكشانة على الجلود للاستعاضة عن ورق البردي وكان هذا الورق الحديد ورق رعامة هو الورق الذي حفظت به المخطوطات القديمة

الحروب الاخيرة في يونان

العصانات - الفتح

الحروب الاهلية - كانت بأيدي بضع أسرات غنية من اليونانيين في جميع المدن اليونانية على التقريب جميع الاعمال والمعامل الصناعية والسفن التجارية وعامه مصادر الرخ وموارد العيش اما سائر الاسرت اي السواد الاعظم (٢) فلم يكن لهم ارض ولا مال (١) اتصل بنا بعض التماثيل التي استصعبها الملك اثال ذكرى لانتصاره على العاليين في آسيا المعروفين بالعلاسيين

(٢) لم يكن في جميع المدن اليونانية تقريباً طبقة وسطى تتسبه الطبقة الوسطى في اوروا وبذلك كانت تعد آثينة بما فيها من ١٣ ألفاً من ارباب الاملاك من الشواذ النادرة وكانت من المدن التي قلت فيها الثورات

وماذا كان الوطني الفقير يعمل ليكسب رزقه ؟ لم يكن له الا ان يؤجر نفسه زراعاً او عاملاً او ملاحاً . بيد ان عبيد ارباب الثروة في مصانعهم ومعاملهم وسفنهم كانوا يقومون بهذه الاعمال ولا يكلفون للاتفاق عليهم غير شيء زهيد بالنسبة للنفقات التي كان على السادة ان ينفقوها اذا استخدموا الاحرار في اعمالهم لانهم كانوا يطعمون عبيدهم طعاماً عليظاً ولا يؤثرون اليهم اجوراً . ثم انه من الصعب على الفقير ان يعمل لحسابه لندرة الدراهم ولم تكن الفائدة اقل من عشرة في المئة وهيئات ان يقرضه انسان مايعوزه

على ان العادة لم تكن تسمح للوطني ان يتعاطى الصنائع لان الفلاسفة كانوا يقولون بانها تفسد الجسم وتضعف النفس ولا تترك في وقت صاحبها متسعاً للنظر في الشؤون العامة ولذلك قال ارسطو ان المدينة الحسنة المطام لا يجب عليها ان تعد الصانع فيها وطنياً . فكانت من الوطنيين في يونان طبقة ترفيفة ترى كما كان يرى الاشراف في فرنسا قديماً ان لها الحق ان تحكم وتحارب وفي ذلك سرفها اما تعاطيها الاعمال بايديها فيعد ثنازلاً واتضاعاً ومن اجل هذا حالف البؤس معظم الوطنيين كما كانوا عرصة له من منافسة العبيد في اعمال الحياة وما وقر في نفوسهم من شروط الشرف والنهاة فحكم الفقراء المدن ولم تكن اسباب عيشتهم متوفرة وخطر لهم ان يسلبوا الاغنياء فألف هؤلاء شركات منهم لمقاومة اولئك وعند ذلك انقسمت كل مملكة يونانية الى قسمين الاعمياء ويدعون « الاقلية » والفقراء ويدعون « الاكثرية » او الشعب . وبدأ الاغنياء والفقراء يتباعضون ويقاتلون فاذا صار الحكم للاغنياء يطردون الاغنياء ويصادرون اموالهم وربما اتخذوا واسطتين بالفتين في التطرف وهما العاه الديون ونقسم الاراضي من جديد . فاداءت السلطة للاغنياء يطردون الفقراء وكانوا يتعاهدون بينهم في كثير من المدن قائلين : « اقسم بافي اظل ابدًا معاديا للشعب واؤذيه ما استطعت » ولم يكن تمت من سبيل الى التوفيق بين الفريقين فلا الاغنياء يستطيعون ان يستسلموا للتخلي عن ثروتهم ولا الفقراء يرضون بان يموتوا جوعاً . قال ارسطو « ان الثورات تنشأ من سبب تقسيم الثروات » . ويقول بوليب « ان كل حرب اهلية تنشأ فهي لنقل الثروات من يد الى اخرى » .

ومن ثم كان الفريقان يقتتلان اسد قتال على محوما يحدث ابدًا بين الجيران فتغلب الفقراء باديء بدء في ميلت واكرهوا الاغنياء على الهرب من المدينة ثم اسفوا لانهم لم يذبحوهم فاحذوا اولادهم وجمعوهم في الانابير تحت ارجل البقر ودخل الاغنياء المدينة فاصبحوا اصحابها الحاكين فيها واخذوا هم ايضاً ابناء الفقراء وزفنوهم (دهنوهم بالزفت) واحرقوهم احياء .

الحكم الجمهوري والحكم الافرادى — كان لكل من الاغنياء والفقراء شكل خاص في الاحكام يجرؤونها في المدينة عند ما يقوى احد الفريقين . فكانت حكومة الاغنياء من نوع الحكم الافرادى (اوليكارشى) تعهد بالاحكام الى بعض افرادها اما حكم الفقراء فكان حكمهم ديمقراطياً يكلون حكمهم الى مجلس الامة وكل واحد من الفريقين يتفق مع الفريق المائل له في المدن الاخرى وبذلك تألفت عصابتان تقاسمتا بينهما جميع المدن اليونانية : عصاة الاغنياء او الحكم الافرادى وعصاة الفقراء او الحكم الجمهورى . وبدأت هذه الطريقة في الحكم خلال حرب المورة فكانت آئنة تعصد الحزب الديمقراطى واسبارطة تماليء الحكم الافرادى فاتحدت المدن التى كان فيها سلطة للفقراء مع آئنة كما اتحدت المدن التى تسلط عليها الاغنياء مع اسبارطة .

واقعد دامت الحروب الاهلية بين الاغنياء والفقراء نحو ثلاثة قرون (من ٤٣٠ الى ١٥٠) ذبح في حلالها كثير من ابناء البلاد وطرد منهم عدد اكتر من ذلك فاحذوا يهيون في اطراف الارض على وجوههم لا مورد لهم يعيشون منه ولا يعرفون الا صناعة واحدة وهى الجندية فيحترطون متطوعين في الجيش الاسبارطى والآتيني وفي جيش الحاقان الاعظم والجيش الفارسى بل وفي كل جيش يدفع اليهم اجورهم فكان من ابناء يونان حمسون الفاً في خدمة دارا عند ما قاتل الاسكندر وهم لا يكادون يعردون الى بلادهم متى خرجوا منها .

العصابات — ضعفت الشعوب التى حكمت على بلاد اليونان واسبارطة وآئية ونيبة ولم يبق في القرن الثالث من اهل الشدة والبأس غير سكان عربى البلاد فالانيولبون يسكنون الجبال في تمالي حايچ كورنت والآتيون النازلون في شاطئ المورة في جنوبي هذا الخليج . وقد نظموا احوالهم عصابات لا مدناً واحتفظت كل مدينة بحكومتها وكانت لها كلها مجالس للعصاة يقرر فيه الحرب والعهود ويفرض الحند الذى تقدمه وينتخب القائد الذى يقصى عليه ان يقود جيش العصاة .

فانقسمت المدن اليونانية بين هاتين العصابتين المتعادتين . ومن العادة ان تعصد العصاة الايتولية الحرب الديمقراطى والعصاة الآتية الحرب الاوليكارتي . وقد رأس العصاة الآتية صابطان شهيران احدهما ارتوس في القرن الثالث وهو الذى طاف بلاد اليونان سبعمائة وعشرين سنة (٢٥١ — ٢٢٤) طارداً الظالمين من جميع المدن آخذاً بيد الاغنياء معيذاً اليهم اموالهم ومقلدهم حكم البلاد والقائد الثانى فيلوچارى قائم في القرن الثانى وقاتل الظالمين في اسبارطة فقتله المسينيون .

احلاف الرومانيين — لم يكن احد من تينك العصابتين من القوة بحيث يجمع جميع المدن اليونانية وعندئذ ظهر الرومان لخارجهم من ملوك اليونان فيليب ملك مكدونية (١٩٧) تم ملك سورية الطيوخس (١٩٣ — ١٦٩) فنكست اعلامها كليهما ودمرت رومية جيوشها واستولت على اساطيلها وقاتلت « برسي » ملك مكدونية الجديد وأسرتة وحربت مملكته (١٦٧) .

ولم يحاول اليونان قط ان يجمعوا للدفاع عن انفسهم وظل فقراؤهم واعنيائهم يقتتلون وكل حرب يفتت الحرب المعادي له اكبر من بعضه الغريب وتحالف الحزب الديمقراطي مع ملك مكدونية ودعا الحرب الاوليكراتي للرومانيين . وبينما البيبيون من الديمقراطيين يقتاتلون في جيش فيليب كان مواطنوهم من الاوليكراتيين يفتحون ابواب المدينة للفائد الروماني وقد حكم بالاعدام في رودس على كل من قاموا او تكلموا بما يحالف رضى رومية كتب كاليكرات احد اشياخ الرومانيين من الآتيين قائمة بال وطني اتهمهم انهم كانوا يميلون للارمني فارسوا الى رومية وأمسكوا فيها عشرين سنة بدون ان يحاكموا

الفتح - - لم يظهر الرومانيون اولا في مظهر الاعداء وقد ذهب القمص فلامانيوس سنة ١٩٧ بعد ان غلب ملك مكدونية الى بررح كورنت واسلم امام اليونانيين المحتسعين للالعاب البرزخية بان جميع الشعوب اليونانية حرة وتارب الحرة لبقوله واقربوا منه ليتكروه يريدون ان يسلموا عليه وهو محررهم وان يروا صورته ويلمسوا يده ويلقوا عليه اكاليل النصر واقات الزهور فازدحم الناس عليه حتى كاد يخنق .

ولم يلبث الرومانيون ان اصبحوا سادة محددتهم انفسهم بان يقودوا البلاد فاضاعهم الانبياء عن رضى لان رومية كانت لهم واسطة للخلاص من حرب الفقراء ودامت هذه الحال اربعين سنة . ولما شعلت رومية بقرضه سنة ١٢٧ اعادت للحرب الديمقراطية حياته في بلاد اليونان فاعلان الحرب على الرومانيين فذعر لذلك فريق من اليونانيين وتقدم كسبرون الى الحمد الروماني ووسطوا اليهم براطنة بهم بل ووسطوا بانفسهم وبعضهم فرما الى اتاعي المدن وآخرون القوا بانفسهم في النار او الهوات وصادر رعياء المتأولين اموال الاعنياء وانفوا الديون واعطوا سلاحا للعيد وكان الجهاد شديدا واد غلب الآسيون للمرة الاولى عادوا وحشدوا جيشا وساروا الى القتال مستصحبين نساءهم واولادهم وحبس القائد ديوس نفسه وجميع عياله في بيته والتي فيه النار .

وكانت كورنت مركز المقاومة فدخلها الرومانيون وذبحوا الرجال وباعوا النساء والاولاد

(١٤٦) ونهبت المدينة وحرقت وكانت مملوءة بالنفائس وكنت ترى صور كبار المصورين مطروحة في الغبار والجند الروماني مستلقياً فوقها يلعب بالنرد اه .

الرومان

وصف ايطاليا

شعوبها القديمة — سكنت ايطاليا عدة اجناس من الامم لم يتحدوا في عاداتهم ولغاتهم فكان يعتبر السهل العظيم الشمالي بين جبال الالب والابنين جزءاً من ايطاليا وهناك نزل شعوب من الغاليين اتوها من الشمال . فكان الاتروسكيون ينزلون في البلاد الواقعة بين جبال الابنين والبحر (هو اقليم توسكانيا) الى مهر التيبر وفي جنوبه ينزل اللاتين . ولقد سكنت قبائل كثيرة في جبال الابنين الوعرة وراى السهول الرومانية في الشرق والجنوب ولم تدع كل هذه الشعوب اسماً واحداً ولم تؤلف امة واحدة بل كانت تنقسم الى اومبريين وصابنيين ومولسكيين وايكين وهركيين ومارسيين وسامنيين واكنهين يكادون كلهم يتكلمون بلغة واحدة ويعبدون ارباباً واحدة ولهم عادات واحدة . يتكلمون كالفرس واليهود واليونان بلغة آرية وابعدهم وراء جبالهم عن الاحتلاط بغيرهم احفظوا عاداتهم القديمة وعاشوا عصابات مع قطعانهم مستئين في الحلاء ولم يكن لهم مدن ولا حواضر بل كانوا يلجؤون زمان الحرب الى حصون أقمت في الجبال وقد عرفوا بالتجاعة والقتال وبسلامة الاخلاق ومتانتها وكان منهم بعد حين اعظم قوة للجيش الروماني وفي امثالهم " من يستطيع ان يغلب على المارسيين او ان يغلب ندوم " .

حاء في احدى اساطيرهم ان الصانيين رل مهم حطب فادح فاعنقدوا ان الارباب ساحطون عليهم فعدوا العرم على ان يسكنوا عضيها وان يقدموا ضحية الى رب الحرب والموت كل من يولدون من الاولاد في احدى فصول الربيع . ودعيت الضحية " الربيع المنذور " فاصبح جميع الاطفال الديف وضعهم أمهاتهم تلك السنة ملكاً للرب حتى اذا بلغوا سن الرحال عادروا البلاد وبعدها عنها الى القاصيه وتألفوا عصابات فاحذارت كل عصاة احد حيوانات ايطاليا المقدسة دليلاً من مثل الصرد والدئب والتور وهي تتبعه كأنها تتبع مرسلاً من الرب وحيثما وقف الحيوان نزل العصاة وتتخذ موطناً لها . وقيل ان عدة شعوب من ايطاليا كان اصلها من تلك الأسرات من النازحين وما زالت محافظة على اسم الحيوان الذي كان اجدادها اتبعوا آثاره في القدم وذلك مثل المربيزيين (شعب الذئب) والبيسانثيين (شعب الصرد) والسامنيين وكانت عاصمتهم تسمى بوفيانوم اي مدينة البقرة .

السامنتيون — كان السامنتيون من اقدر تلك الشعوب وقد سكنوا في اقليم الابرور وهو معصى حقيقي فينزلون الى السهول المخصبة في نابلي وبويل وينهبون المدن الاتروسكية والمدن اليونانية . جاهدوا قرنين في الرومانيين فكانوا كل مرة يردون على اعقابهم خاسرين اذ لم يكن لهم موطن ولا نظام تم يعاودون القتال . وكان جهادهم الاخير شديداً . ولقد اتى شيخ الى زعماء الجيش بكتاب مقدس كتب على نسج من الكتان فاقاموا داخل المعسكر سوراً من نسج الكتان وجعلوا في وسطه مذبحاً والهند واقفين من حوله شاهرين سيوفهم ويدخل اشجع انصار بين الى السور وتؤخذ عليهم العهود ان لا يهربوا من الرحف امام العدو وان يقتلوا المنهزمين فاخذ من اقساموا الايمان المغلظة وكانوا ستة عشر الفا البسة من الكتان فنألفت منهم (كتيبة الكتان) وشرعت في القتال فقتلت عن آخرها .

يونان ايطاليا — سكن ايطاليا الجنوبية طواري من اليونانيين كما سكن بعضهم مدينة سيبارس وكرتون وتارانت وقوي فيها امرهم وكثر سوادهم . بيد ان اليونانيين لم يلقوا بانفسهم قط الى الوقوع في التهلكة اذ لم يقصدوا رومية خوفاً من الاتروسكيين وما عدا مدينة كومس فان المستعمرين من اناء يونان كانت لهم الى القرن الثالث صلات قليلة مع الرومانيين . الاتروسكيون — أطلق اسم الاتروسكيين على اقليم توسكانيا فسمي تروسكي وهو اقليم حار رطب مخبب للغاية . وظلت حال الاتروسكيين الى الآن طليماً من الطلاس لم نمكهم فهم لم يكونوا يشبهون جيرانهم ولا يعلم اين اتوا بل اننا لا نعرف اللغة التي يتكلمون بها الا ان ابجديتهم تتبع ابجدية اليونان ونكس الآبار التي عرفت عن هذا الشعب قصيرة لا تمكن معها من استنباط لغتهم .

كان الاتروسكيون يحسنون استخدام ارضهم في الزراعة على انهم عرفوا الحارة والتجارة ايضاً وكانوا يذهبون كالفينيقيين الى البلاد القاصية للبحث عن عاج الهند وسبر البلطيق وعن القصدير والارجوان الصينيقي والحلي المانية المكتوب على احروف هيروغليفية وعن بيض النعام . واثاث التجار من جميع هذه الاشياء في قبورهم . وكانت سفنهم تنقذ نحو الجنوب حتى جزيرة صقلية . وقد كان اليونان يكرهونهم ويدعونهم (الديرينيين المتوحشين) او القرصار الاتروسكيين . وكل بحار في تلك العصور ساعدته الاحوال يأتي منه قرصان بحر فكان من مصلحة الاتروسكيين حاصه ان يردوا التجارة اليونان ويصدوهم ليخلوا لهم الجو في الساطي الغربي من ايطاليا ويستأثروا بتجارته . ولم يبقوا من آثارهم الا جوائط حصينة وقبوراً . وعند ما يفتح قبر احد الاتروسكيين تشاهد وراء باب ذي عمدة غرفة فاسية . وقد امتدت عليها جنت وحواليها حلي من الذهب والعاج والعنبر واقمشة الارجوان وفرش واوان كبيرة

منقوشة اما الجدران فيرسمون عليها صور حروب والعاباً وولائم ومشاهد غريبة .
وان ما استخرج من القبور بالالوف من الاواني الاتروسكية فازدانت به متاحفنا
وصنع على مثال الاواني اليونانية هو من صنع الاتروسكيين انفسهم وفيها متاهد ميتولوجية
يونانية ولا سيما صور الحروب التي جرت حول طروادة والاتحاص نائشة حمراء على صفيح اسود
وقد أسس الاتروسكيون في طوسكانيا اثني عشرة مدينة ولكل منها ملكها وحكومتها وكان
لهم من الجانبين مستعمرات فلم اثنا عشرة مستعمرة في اقليم كامبانيا في جوار نابولي واثنا
عشرة في سهل بو .

ديانهم — اعتقد الاتروسكيون بارباب جبارين وربما كانوا اشراراً وارقي اولئك
الارباب الارباب المستورون المجهول امرهم ثم يحيى بعدهم الارباب الدين يرسلون
الصاعقة وعددهم اثنا عشر رناً يؤلفون مجلساً لهم ويعتقدون انه يقيم تحت الارض في
مدافن الاموات ارباب متائهم وكثيراً ما كانوا يملون صورهم على اوان من صنع ايديهم
فيملون ملك الجحيم المدعو ماتوس في صورة جبار مخنخ جالس وتاج على رأسه ومتعل بيده
كما يملون شياطين آخرين مسلحين بسيف او مطرقة والحيات يقبضون عليها بايديهم وهم
يتلقون ارواح الموتى واهمهم الشيطان شارون المعروف عند اليونان بهذا الاسم ايضاً وقد
تجملوه على صورة شيخ ذي هيئة قبيحة يحمل مطرقة ثقيلة ليضرب بها صحايه . ويعتقدون
ان ارواح الموتى وتسمى « المان » تخرج ثلاثة ايام في السنة من مقرها في عالم الطلمات
وتطوف الارض تروّع الاحياء وتؤذيهم فيقدم لهم الاتروسكيون ضحايا بشرية تسكيناً
لغصبتهم لانهم يحبون الدم . وكانت معارك المصارعين المشهورة التي اصطلح عليها الرومان ضحايا
دموية اكراماً للميت في اصل نسأتها وكان للعرافين الاتروسكيين الدين دعوا بالهاروسيسييين
او اهل الفأل قواعد يجرون عليها للتنبؤ عن المستقبل فيرصدون احتشاء الصحايا كما يرصدون
الصاعقة وطيران الطير فيقف العراف ويدير وجهه نحو الشمال ماسكاً بيده عصا معقوفة
ويحط خطا بقطع به السماء شطرين فسطر الترق وهو على اليمين يكون فال خير وسطر الشمال
يكون فال شر (١) ثم يقطع السطر الاول على قطع الصليب ويؤلف خطوطاً متوازية يكون
منها في السماء شكل مربع يدعونه المعبد فيرمي العراف ببصره الى الطيور التي تمر في ذاك المربع
فبعضها كالنسر علامة خير واخرى كالبلومة طالع شؤم .

واقدر ننبأ الاتروسكيون عن مستقبلهم انفسهم فهم الشعب الوحيد من بين الشعوب

(١) هذا اشبه بالسائح والبارح عند العرب ولعلها اخذته عن الرومان نقول العرب :

من لي بالسائح بعد البارح اي بالمبارك بعد الشؤم قال ابو عبيدة سأل يونس رؤبة وانا شاهد

القديمة الذي لم يعتقد بانه خالد وكانوا يقولون ان بلادهم يدوم امرها عشرة قرون . وهذه القرون لم يكن كل واحد منها مؤلفاً من مئة سنة ولا تعين مدة القرن الا بعد ان يجري له فال . ففي سنة ٤٤ وهي سنة وفاة قيصر ظهر في السماء نجم مذنب فقال احد العرافين من الاتروسكيين في رومية في جمع من الامة ان هذا النجم يشير الى نهاية القرن التاسع وابتداء القرن العاشر وهو آخر قرن يستقيم فيه امر الاتروسكيين .

نفوذ الاتروسكيين — كان الرومان امة نصف متوحشة فاقتدوا كثيراً بالاتروسكيين وهم اكثر منهم تمدناً واخذوا عنهم بعض المصطلحات الدينية خاصة مثل البسة الكهنة والحكام والشعائر الدينية وعلم معرفة الغيب وزجر الطيور وعند ما كان الرومانيون يؤسسون مدينة يجرون على شعائر الاتروسكيين فيحيط المؤسس لها بالمحراث سوراً مربعاً وللمحراث سكة من النحاس يجرها نور ابيض وبقرة بيضاء فيتبع الداس المؤسس ويلقون بزيد العناية جميع مدر الارض من ناحية السور وتصبح كل الهوة التي يشقها المحراث مقدسة لا يستطيع احد ان يتعداها للدخول في السور ولذلك اقتضى ان يقطع المؤسس تلك الانلام او الهوى المقدسة من عدة مواقع فكل مكان بخطاه المحراث يشق فيه باب وكل فرجة لم عسها السكة تبقى غير مقدسة وتكون باناً يسوع منه الدحول . ولقد أسست رومية بحسب هذه المراسيم الدينية وكانت تسمى روميه المربعة ويقولون ان مؤسسها قمل احاه عقابا له عن تجاوزه السور المقدس الذي حطه تم جرى الاصطلاح ان تخطط اسوار المستعمرات والمعسكرات الرومانية بل وحدود المساكن بحسب هذه القواعد الدينية ونخطوط اصعب عندسيه . وكان دين الرومانيين من اصل اتروسكي فقلوه الى ارجاء العالم القديم بأسره ولذلك حق لآباء الكنيسة ان تسمي بلاد الاتروسكيين « ام الحرافات »

اللاتينيون — رل اللاتينيون في بلاد الآكام والشعاب الواقعة جنوبي نهر النيبير وهي يطلق عليها اليوم اسم برية رومية وكانوا قليلاً عددهم ولم تكن مساحة البقعة التي يسكنونها اكثر من ٢٧٠ كيلومتراً مربعاً وكانوا من عنصر واحد كسائر الطليان يشبهوهم باللغة والدين والاحلاق ولكنهم يفوقونهم في التقدم بعض الشيء يررعون الارض وينوبون عن الساحل والبارح فقال الساح ما ولاك مياميه والبارح ما ولاك مياسره وقال ابو عمرو الشيباني : ما جاء عن يمينك الى يسارك وهو اذا ولاك جانبه الايسر وهو انيسه فهو ساح وما جاء عن يسارك الى يمينك ولاك جانبه الايمن وهو وحشيه فهو بارح قال ابن بري العرب تختلف في العيافة يعني في التيمن بالسائح والتشاؤم بالبارح فاهل نجد يتيمنون بالسائح (المترجم)

المدن الحصينة وينقسمون الى شعوب صغيرة مستقلة ولكل شعب ارضه الخاصة به ومدينته وحكومته وتدعى تلك المملكة الصغيرة مدينة .

ولقد قامت ثلاثون مدينة لاتيكية فالقت منها مجتمعاً دينياً يتبعه مجتمع الاممكتيون اليوناني واخذوا كل عام يحتفلون احتفالاً عاماً بعيد لهم ولندب كل مدينة عنها من يمتلئها في مدينة الب فيذبحون بوراً صحيحة للرب المشترك بينهم وهو كوكب المشتري الازتي .

رومية الاصلية

رومية - على تحوم قطر الماسيوم من ناحية بلاد الايتروسكيين يمتد سهل ذو بطائح تحمله اكبات وتلعات هناك على صفة نهر التيرر أنشئت مدينة رومية مقر الشعب الروماني المنفرد في الحلاء . ولقد كانت الحميات لثبات تلك البلاد وحالتها من الكآبة والبؤس على جانب ولكن كان موقعها حميلاً ونهر التيرر بمثابة هوة قائمة في وجه الايتروسكيين كما كانت تلك الاكام كالحصون وبين تلك المدينة والبحر سنة اميال وهو بعد لا يكاد يحيا من سطوة قرصار البحر وبقربها قليلاً من ناول البصائع الواردة عليها . وكان مرأاً اوستي عمد مصب نهر التيرر حياً من احياء رومية كبير مثل نيرة مرأاً آتية . فموقع رومية كان والحالة هذه مناسباً لحال امة حريجة تجارية .

تأسيس رومية - لا نعرف من حال القرون الاولى لرومية غير اساطير . والرومانيون انفسهم لم يعرفوا عنها شيئاً مثلنا . وقد ادعوا ان رومية كانت لاول امرها مدينة صغيرة مربعة المساحة قائمة كلها على رابية « بالاتين » ويدعى مؤسسها رومولوس وهو الذي اختط سورها محرات مراعيها في تخطيطها التعائر الايتروسكية . وكان الرومانيون يحتفلون كل سنة يوم ٢١ اربل (نيسان) بعيد هذه المدينة فيطوفون حول سورها الاصلي فيدق احد الكمة مسماراً في بعض المعابد تذكراً للحفلة . وكان يقدر ان الاحتفال بتأسيس تلك المدينة قد وقع في سنة ٧٥٤ قبل المسيح .

أنشئت على الروابي الاخرى قبالة جبل بالاتين عدة مدن صغرى ورلت عصابة من سكان الجبال من السابنيين في معبد الكايتول كما حلت عصابة اخرى من متشردى الايتروسكيين في جبل «ليبوس» وربما كان تمت ايضاً شعوب اخرى . وانتهت الحال لجميع اولئك الجماعات الصغيرة ان يجتمعوا في مدينة رومية الواقعة على رابية بالاتين ثم انسي سور حديد احاط بال سبع اكبات . اما ساحة المريح حيث يقف الجيش فكانت ممتدة الى نهر التيرر من الساطي الاخر من النهر خارج السور فكان الكاتول في رومية مثل الاكروبول في آثينة . ولقد قامت على هذا الصخر معابد الارباب الثلاثة حامية المدينة وهي المشتري

وجوبون وميرفا وهنالك القلعة التي حوت حزانة الحكومة وسجلات الامة . وفي اساطيرهم انهم عثروا عند ما حفروا أسس المدينة على رأس رجل قطع حديثاً فكان هذا الرأس فألاً حسناً اولوه بان رومية سنغدو رأس العالم .

ثقائيد دتأن الملوك وانتاء الجمهورية - جاء في هذه الثقائيد انه حكم رومية ملوك مدة قرنين ونصف ولم تذكر فيها اسماؤهم وتاريخ وفياتهم بل ذكرت تراجمهم وقيل اسمهم كانوا سبعة ملوك خرج الاول وهو رومولوس من مدينة آلب اللاتينية فاسأ مدينة اللاتين وقتل احاه الذي ارتكب محرماً بان قفر من فوق حدق سور المدينة ثم حالف احد ملوك السابينيين المدعو تاتيوس . وفي ثقليد آحراه انتأ في سفح المدينة حياً محاطاً بسياج حتر اليه جميع المستردين الدين احبوا الانصمام اليه .

اما الملك الثاني وهو نوما نومبيليوس فقد كان سامياً وهو الذي رتب الديانة الرومانية آخذاً برأي احدى الربات « ايجري » التي كانت تسكن في عانة . وكان الملك الثالث المدعو تولوس مارتوس حفيد نوما الموما اليه بنى حسراً من حشب على نهر التيبر وانتأ جسر اوستي وعليها كانت تمر تجارة رومية منذ ذاك الحين . وكان الملوك الثلاثة الآخرون من الايتروسكيين وحدث من امر تاركين النديم ان وسع انملكة الرومانية وادخل الاحتمالات الدينية السائعة في بلاد ايتروريا والايتروسكيين . ونظم سرفيوس تويوس الميتر الروماني بان ادخل فيه جميع اهل البلاد بدون تمييز في موالدهم واعمارهم ووزعهم مئات مئات بحسب تروتهم . اما الملك الاحير المدعو تاركين الباهر فقد ظلم الاسرات الكرى في رومية فقام عليه بعض الاعتراف ووقفوا الى طرده .

ومذ ذاك العهد (٥١٠) لم يملك على الرومانيين ملك فكانت البلاد الرومانية او كما يقال الملك العام يحكم عليها كما كان يختاران كل سنة ويسميان « القناصل » . وليس من الممكن ان نعلم ما في هذا التقليد من الحقيقة لانه انتأ قبل ان يبدأ الرومان في وصف تاريخهم برمن طويل وفي هذا التقليد من الاساطير ما لا يسعنا قبوله برمته . وقد حاول بعضهم ان يفسر اسماؤ هؤلاء الملوك ويستدل منها بانها رمز الى جنس او الى طبقة خاصة كما حاول بعضهم ان يستفي تاريخ رومية في عهده الاول على ضروب من الصور ولكن كلما بذلت العناية للنظر فيه صعب الاتفاق بين المشتغلين في ذلك على تقرير امر وكثر الخلاف بينهم .

وصف ترتيبات الرومانيين على سبيل الايجاز - كان في رومية نحو القرن الخامس بل المسيح طبقتان من الناس وهما الباترسين والبلبين (اي الاشراف والعامه) فكان

البانترسيون من اسل قدماء الأسرات المقيمة منذ القدم في البقعة الصيقة في ظاهر مدينة رومية وكان لهم وحدهم الحق ان يطهروا في مجمع الامة وان يحضروا الحفلات الدينية وان توسد اليهم الوظائف . ويعتقدون ان احداهم اسسوا المملكة الرومانية او كما كان يقال المدينة الرومانية واوصوا بها لهم فكانوا هم من تم الشعب الاصلي في رومية اما البلبين فهم من اسل العرباء النازلين في المدينة ولا سيما من العلوين من سكان المدن المجاورة اذ ان رومية اخضعت بالندريج جميع المدن اللاتينية وصمت سكانها اليها بالقوة فاصبحوا رعايا لرومية لكنهم ظلوا عرباء عنها يخضعون لحكومة رومية دون ان يشركوها في شيء من الامر فلا يدينون بالدين الروماني ولا يسوع لهم ان يحضروا الحفلات الدينية ولا ان يتزوجوا من الاسرات الترفية وكانوا يدعون باللب اي الجمهور ولا ينظر اليهم بانهم حرة من الشعب الروماني . وقد وجدت في الصلوات القديمة هذه العبارة « لخير الشعب وخبير البلبين في رومية » .

وكان يجتمع اناء البلاد وعليهم اسلحتهم كل سنة خارج المدينة في ساحة الماورات (ساحة المريج) يتخبون زعيمين يطلقون عليهما لقب القضاة او القناصل . وكان هؤلاء القناصل في حلال السنة التي يتوظفون فيها يحكمون رومية ويقودون جيشها ويدهم حياة جميع افراد الامة وموتها . يرافقهم اثنا عشر رجلاً من حملة القوس اشارة لما لهم من السلطة فيحمل كل منهم رأساً وحرمة قضبان لخلد المجرمين او ضرب رقابهم . فيجلس القناصل على عادة قدماء الملوك على دكة تشبه العرش وهو كرسي عال من العاج . ويستعاض في اوقات الحروب الخطرة عن القنصلين بحاكم واحد يلقون اليه برام السطة فيصبح الحاكم المتحكم والامر الناهي وحده ويكون في قبضته الاربعة والعشرون حلالاً ولكن سلطته لا تدوم الا ستة اشهر .

فيجمع القناصل مجلس الشيوخ وهو مؤلف من رؤساء الأسرات وكبار ارباب الاملاك للمفاوضة في المسائل المهمة ويدعى هؤلاء بالآباء ويدعى سائرهم بالاشراف وكان مجلس الشيوخ يصدر رأيه ويطلقون عليه « رأي الشيوخ » ومن العادة ان يلتزم القناصل امتتاله فكانت من تم رومية محكوماً عليها من القناصل ومجلس الشيوخ في آن واحد .

التراف بين طبقات الشعب — كان العامة واهل الطبقة الوسطى عبارة عن شعبين متباينين سادة ورعية . ومع هذا كان حال اهل الطبقة الوسطى يشبه كثيراً حال الاشراف فهم يخدمون في الجندية مثلهم ويخدمون في الجيش على نفقتهم ويفادون بارواحهم في خدمة الشعب الروماني وهم من اهل الفلح والكرت يعيشون في قراهم واما كههم وكان كثير

من اهل هذه الطبقة المتوسطة اغنياء ومن أسرة قديمة والفرق بين الطبقة المتوسطة وبين الاشراف ان الاول كانوا من نسل أسرة عظيمة من بعض المدن اللاتينية المعلونة على حين كان الاشراف من نسل أسرة قديمة من سكان المدينة الغالبة . ولم ترض نفوس اهل الطبقة الوسطى ان تظل ساكنة على ما قضى به عليها من المهانة بل تاريتهم وبين الاشراف نزاع دام قرنين (من نحو ٢٩٣ الى نحو سنة ٥٠٠) واليك كيف بدأ ذلك على نحو ما ورد في اساطيرهم .

رأى اهل الطبقة المتوسطة ذات يوم انفسهم مهانة فانتصموا في جبل هناك وعليهم اسلحتهم وعزموا ان يناوئوا الشعب الروماني فمال عزمهم جماعة الاشراف فبعثوا اليهم بالقائد مينيوس اعربيا ليقص عليهم قصة الاعضاء والمعدة فرضيت الطبقة الوسطى بالدخول في الطاعة وعقدت محادثة مع الشعب فمنح رؤساء هذه الطبقة الحق في ان يمدوا يد المساعدة لاهل الطبقة الوسطى للاخذ بايديهم من حيث يحكم الامة ولأجل ان يحولوا دون قيام امر يحالف رعائهم . وقد كان يكفي ان يلمط احدهم قوله « فتو » اي اني اعارض فيتوقف البت في الامر . وقد كان الدين يحظر الانتقاض على المدافع عن حقوق الشعب ومن فعل ذلك استحق العقاب من ارباب الجحيم .

وظل ارباب الطبقة الوسطى آخذين انفسهم بمجاهدة خصومهم من اهل الطبقة العالية واد كانوا اعر منهم نفرا واكثر عني وأيداً انتهت بهم الحال ان ظفروا بهم فتوصلوا اولاً الى وضع قوانين عامة للجميع وان يسمح بالرواح بين اهل الطبقة العالية والطبقة الوسطى وكان اصعب ما في هذا التعبير رفع الاستئثار بسلطة الحكم او الذهاب بفضل الشرف وقد كان الدين يأمره يجب قبل ان يعين رجل حاكماً ان يطلب من الارباب فيما اذا كانت توافق على انتخابه ام لا . فيسألون الارباب عن رأيها في ذلك بزجر الطيور ويسمونه احذ الفأل . يد ان الديانة الرومانية القديمة لم تكن تسمح باخذ الفأل الا على اسم رجل من اهل الطبقة العليا وما كان يحظر في نال القوم بان الارباب يقبلون بحاكم من اهل الطبقة الوسطى . وكان ثمة اسر كبرى من الطبقة الوسطى تحرص على ان تصبح مساوية لاسر الاشراف في تولي المناصب كما كانت تساويها في العنى والمكانة فاضطرا اهل الطبقة الاولى الى ان تتخلى لها جميع المناصب شيئاً فشيئاً وبدؤا يدخلون في مجلس القناصل سنة ٣٦٦ وفي مجلس الحكم ٣٥٥ والقضاء سنة ٣٣٧ والمراقبة سنة ٣٣١ وزعامة الدين الكبرى سنة ٣٢٢ ومن داك العهد امتزج الاشراف اهل الطبقة العليا باهل الطبقة الوسطى واصبحوا شعباً واحداً .

الديانة

ارباب الرومان — اعتنق الرومان كاعتقاد اليونان بان كل ما يحدث في هذا العالم

هو مما قضت به ارادة خالق ولكنهم لم يعتقدوا بالله واحديد العالم بل قالوا بتمدد الارباب
تعدد المطادر المختلفة التي تُجلى فيها اوامرهم ونواهيهم . فهناك رب ينبت البذر وآخر يحمي
حدود الحقول وتالت يحرس التمار . ولكل رب اسمه وجنسه وعمله . واهم الارباب «المتتري»
رب السماء و «جانوس» ذو الرأسين و «المريخ» رب الحرب و «عطارد» رب التجارة
و «فولكان» رب النار و «نبتون» رب البحر و «سريس» ربة الحصاد والارض والقمر
و «جونون» و «منيرفا» .

تم يحمي الارباب من الدرجة الثانية فكانت تُجسد في بعض تلك الارباب صفة من
الصفات كالبناء والاتحاد والراحة والسلام ويشرف بمصها على عمل من اعمال الحياة فعند
ما يولد المولود يأتيه رب يعلمه الذئق و ربة تعلمه الشرب و اخرى تقوى عظامه ورباب
يرافقانه الى المدرسة و آخران يرجعان به وبالجملة فانهم كانوا يعتقدون بوجود جيش من
الارباب من الدرجة الثانية . ويعتقدون بان هناك ارباباً تحمي مدينة وحارة وجبالاً
وعانة . ولكل نهر ولكل نبع ولكل شجرة رب خاص بها حتى لقد قالت امرأة صالحة في
احدى القصص من تأليف ترون الكاتب اللاتيني « ان بلادنا عاصة بالارباب بحيث
يسهل عليك ان تلقى فيها رباً من ان تصادف رجلاً » .

ولم يمثل الرومانيون كليونان اربابهم على صورة مخصوصة فقد مضى زمن طويل ولم
يكن في رومية صم فكانوا يعبدون «المتتري» في صورة حجر و «مارس» على صورة سيف .
ولم يعتقدوا الا مؤخرًا باتحاد الاصنام من الحشب على مثال اصنام الايتروسكيين واصنام
الرحام على مثال اصنام اليونان ولم يتصوروا على العكس في اليونان ان بين الارباب صهراً
واسباً ولا عروا اليهم قصصاً كما يفعل اليونان مع اربابهم ولا يعرفون لهم جنة يعتقدون فيها
بجالسهم . وكان في اللغة اللاتينية لفظة مشهورة للتعبير عن الارباب وهي «التجليات»
فكانوا يعتقدون انها تجليات قوة الالهية مجبولة . ولذلك لم يصورهم الرومان في صورة من
الصور ولا نسبوا اليهم رحماً ولا صهراً ولا تاريخاً وكل ما كان يعرف عن الارباب
الرومانيين هو ان كل واحد منها يسيطر على قوة من قوى الطبيعة ويستطيع ان يعمل للناس
الخير والشر على ما يحب ويهوى .

العبادة — قلما يحب الروماني اولئك الارباب الجهنوليين الصفر الباردين . والظاهر
انه كان يخاف منهم فيخباً وحهه عند ما يتوسل اليهم وربما اتى ذلك لثلا يقع بصره عليهم
ولكنه يذهب الى ان الارباب قادرون وان من يرخصهم يخدمونه . قال بلوت (الساعر
المزلي اللاتيني) ان الرجل الذي يرضي عنه الارباب يكسبونه مالاً . ويعتقد الروماني

بان الدين عبارة عن مقايضة المنافع فيقدم المرء للرب نذوره وقرابينه ويمنحه هذا بعض المنافع فاذا قدم المرء ما يجب تقديمه للرب ولم يظفر بمتمناه يعتبر نفسه قانطاً تخدوعاً . ولقد قدم الشعب للارباب في خلال مرض القائد جرمانيكوس نذوراً لثمن عليه بالشفاء ولما ذاع خبر موته سخط العامة وقلت المذابح والقت في السوارع تماثيل الارباب لان هذه لم تعمل . ما كان يرجى منها ان تعمل وهكذا فانا نرى الفلاح الايطالي لعهدها هذا يشتم القديس الذي لم يعطه ما طلبه منه .

فالعبادة اذا عبارة عن القيام بما يرضى عنه الارباب من الاعمال والشعب بأنهم بالتار واللبن والحمر ويصحي لهم الحيوانات . وفي بعض الاوقات يخرجون تماثيل الارباب من معابدهم ويجعلونها على سرر ويولون لها وليمة ويقومون بما يقوم به الشعب في بلاد اليونان فيبنون لهم دوراً جميلة وهي المعابد ويحفظون بارانهم .

ولم يكن يكفي في تعظيم ارباب الرومانيين ان ينفق الناس مالا في سبيل اكرامهم بل كانت تنظر الى الصور التي يقوم بها ذلك الاكرام فتقضي ارادتها ان تجري جميع اعمال التعبد والمذور والالعب بما رسمته القواعد القديمة (الطقوس) فتمنى أريد تقديم صحبة لا تتري كان عليهم ان يخناروا حيواناً ايض وان يذروا على رأسه دقيقتاً ملحقاً وان يصرب نفأس وان يقف المقدم لهذه الصحبة على قدميه ويده مرفوعتان الى السماء حيث يقف المشتري وان يلفظوا بحملة نقديساً لاسمه . فاذا عايط المقدم بما يقول فمعنى ذلك ان الصحبة لا تساوي شيئاً ويذهب القوم الى ان الرب لا يرضى عما قدم له . ولقد قام احد الحكماء بالعب اكراماً للارباب الحامية لرومية فقال سيسترون « اذا عيرت عبارة واذا وقف اللاعب بالتباب او انقطع الممثل فتكون الالعب غير موافقة للتعائر الدينية فيجب اذ ذاك اعادتها » ولذلك كان اهل الرأي من الناس يحضرون كاهنين احدهما يتلو الصلاة والاخر يناديه فيما يقول يجتمع الكهنة وهم يدعون « احوه ارفال » كل سنة في معبد بجوار رومية فيرقصون رقصاً مقدساً ويتلون الصلوات وهي مكتوبة بلغة قديمة لا يفهم منها احد شيئاً ويقضي في اوائل الصلاة ان يدفع الى كل كاهن مجموع قوانين مكتوبة في اول الجلسة . وظل الرومانيون بعد ان نسبت هذه اللغة نقرون يتلونها كل سنة دون ان يعيروا منها حرفاً . ومما يدل على ان الرومانيين كانوا يرمون الى الوقوف عند حد ما رسمه اربابهم هو انهم كانوا يقومون احسن قيام بقواعد الدين . ولذلك يرى الرومانيون انفسهم من اكثر البشر تدنياً . قال سيسترون « انا احط من جميع الامم او مساوون لهم من كل وجه ولكننا نفوقهم من كل وجه في امور الدين اي بعبادة الارباب » .

الصلاة — اذا صلى الروماني فليست صلاته لتزكية نفسه ومناجاة ربه بل ليطلب منه معونة ويسأله حاجة له . فمن ثم تراه يبحث قبل كل شيء عن الرب الذي يستطيع ان ينيله رغبته . قال فارون (الشاعر اللاتيني) : « يلزمنا ان نعرف اي الارباب يتيسر له ان يعيننا في احوال مختلفة كما نعرف اين يقوم النجار والحزاز » وهكذا نصت الحال بان يعمد الى سيريس للحصول على زروع حيدة والى عطارد لاكتساب المال والى نبتون للمعونة على ركوب البحار . فيلبس المسنعت البسة نظيفة لما وقر في الادهان من ان الارباب يرغبون في النظافة . ويقدم بين يدي نجواه صحية لان الارباب لا يحبون من يحيي وايديه فارعة ويقف المسنعت وقد كشف رأسه فينادي الرب الا انه لا يعرف اسم الرب الذي يناديه ويقول الرومانيون انه ما من احد يعرف اسماء الارباب الحقيقية . بل يكتبي بار يقول له متلاً : « ايها المشتري الاعظم الرحيم او باي الاسماء تحب ان تدعى بها » تم يعرض عليه ما يريد عرضه متوقفاً استعمال حمل صريحة كل الصراحة حتى لا يحدع الرب فاداً قدم له حمر يقال له : « تقبل طاعة هذا الجمر الذي أهرقه » لانه يسهل على الرب الاعتقاد بانه يقدم له حمر آخر غير الذي قدم له وان يعاقب به . ولذلك كانت صلواتهم مطولة كثيرة الحسوة مملوءة بالمتراذفات .

الغالب — يعتقد الرومان كاليونان بالغالب فيذهبون الى ان الارباب يعرفون المستقبل ويرسلون للناس آيات يدركونها فيستنصح الروماني الارباب قبل ان يتشرع في عمل فاداً ما ازمع القائد فيهم ان يهجم على عدوه يبحث في احتشاء الموتى والحاكمة قبل ان يجمع لديه مجلساً ينظر الى الطيور السائرة (وهذا ما يدعونه اخذ الطالع والغالب) فاداً كان فيها اشارة موافقة يدركون بان الارباب استجبت . استروع والا شعناه اهم غير راصين عنه . وكثيراً ما يرسل الارباب الآيات من قبله ومن دون ان يسئلوا ارسالها . وكل ظاهرة لم تكن متوقعة تُعدُّ فالاً على حادثة غير منظر . فقد ظهرت نخمة مذبذبة قبل موت قيصر فذهب القوم الى انها اشارة الى نعيه واذا ارعدت السماء عند ما كانت الامة تجتمع للمفاوضة في امر فمعنى ذلك ان كوكب المشتري لا يحب ان يبتوا امراً ذلك اليوم ولذلك يغمضون كل حادثة طفيف ويؤلولونه بانه رمز الى امر يقع . فاذا ابرق الدرق او سمعت كلمة من متكلم او وقف جرد في الطريق او شوهده عراف فكل ذلك يأخذون منه العبر حتى ان مارسوس كان اذا عزم على البداءة بعمل امر بان يحمل في محفة مغلقة ليكون على ثقة من انه لا يرى شيئاً ينفاءل به .

وما كان ذلك مجرد خرافات للعامة بل كان للجمهورية الرومانية ستة طوابع لتنبأها

بالمستقبل فكان لها كنياس للنبوءات تبالغ في العناية به دعتة كتاب « سيبيلين » وكان لها فراخ مقدسة يقوم على تربيتها الكهنة وما كان يجري عمل عام ولا تلتئم جمعية ولا يشرع بانتخاب ومفاوضة بدون ان يعتمدوا الى اخذ الطالع اي انهم يظنون الى السارح والبارح . وقد شاع سنة ١٩٥ ان الصاعقة انقضت على معبد للمنتري وانه نبتت شعرة على رأس تمثال هر كول فكتب احد الولاة بانه ولدت فرحة ذات ثلاث ارجل فاجتمع مجلس الامة للمفاوضة في هذه الفؤل .

الكهنة — لا يقوم الكاهن في رومية بما يقوم به في بلاد اليونان من الاعمال الروحية بل كان ينقطع فقط لخدمة الرب فيلاحظ معبده ويدر شؤون املاكه ويقوم بالاحتفالات لاكرامه وهكذا كانت جمعية السالين (الرقاصين) تحفظ نترس سقط عليها من السماء كما زعموا وكان يعبد كما يعبد الصم وكانت تقيم تلك الجمعية كل سنة حفلة رقص بالسيوف وهذا ما كان يتوفر عليه اعضاء تلك الجمعية . والاحبار يراقبون الحفلات الدينية فيصعون تقويماً للسنين ويحددون اوقات الاعياد التي يجب الاحتفال بها في ايام مخصوصة من السنة ورئيسهم هو الخبر الاعظم .

وما كان الكهنة ولا العرافون ولا الاحبار يؤلفون طبقة خاصة بهم بل يجري اختيارهم من كبار الرجال ويبقون على القيام بجميع وظائف الحكومة فمنهم من يتولى القضاء ومنهم رئاسة الجمعيات ومنهم قيادة الجيوش . ولذلك لم يتألف من الكهنة الرومانيين على قوتهم كما تألف من الكهنة المصريين طبقة كهنوتية فقد كان لحكومة رومية دين خاص بها ولم يكن للكهنة حق الحكم فيها .

عبادة الموتى — اعتقد الرومانيون كما اعتقد الهنود واليونان بان الروح تبقى بعد موت الجسد فان عُنوا بدفن الجثة بحسب العادات فقد اعتقدوا بان الروح تذهب لتحيات تحت الارض وتصبح ربة والا فالروح ليس في استطاعتها الدحول الى عالم الاموات بل كانت تعود الى الارض تدخل الرعب على قلوب الاحياء وتعذبهم ليدفنوها . حكى بلين لجون قصة شيخ كان يختلف الى احد البيوت ويهلك سكانه هلعاً فاكتشف احد الفلاسفة ممن كان له قوة قلب تمكنه من اقتفاء اثره الى المكان الذي وقف فيه ذاك الطيف — عظاماً لم تدفن بحسب العادات المتبعة . وهكذا كانت روح الامبراطور كاليجولا تطوف في حدائق القصر فاقتضى اخراج جثته ودفنه ثانية على ما رسمته الشعائر الدينية .

فن ثم كان مما بهم الاحياء والاموات على السواء المحافظة على العادات الدينية فكانت أسرة الميت تنصب كومة حطب يحرقون فيها الجسد ويحملون الرماد في صندوق يضعونه

في القبر . وكان لهم معبد صغير خاص بدفن ارواح الارباب اي الارواح التي اصبحت ارباباً فيأتي اهل الميت في اوقات معينة الى زيارة القبر حاملين طعاماً . لا جرم اهم اعتقدوا قديماً ان الروح محتاجة الى الغذاء لان القوم كانوا يهرقون الحمر والابن على الارض ويحرقون لحم المنكوبين ويتركون في الاواني لبناً وحلاوى . وكانت هذه الاحتفالات بالموتى تدوم ما شاء الله ان تدوم وما كان لاهل بيت ان يتخلوا عن ارواح اجدادهم بل يطلعون على العناية بقبورهم ويأتونهم بالغذاء لا طعامهم . ثم ان تلك الارواح التي نتأله او تصيح في عداد الارباب تحب ذريتها وتحمي احفادها من البوائق وهكذا كان اكل أسرة ارباب يحمونها يدعونها آلهة البيت .

عبادة البيت -- اعتقد الرومان كاعتقاد اليهود بان الالهيب رب كما ان البيت مديح فكان لكل امرة بيت تعبدته وثقوم على العناية به ليل نهار تحمل اليه الريت والتحم والحمر والخور ويتصاعد اللهب ويستطع كأنه منبت من العجمية . فكان الروماني قبل ان يبدأ بتقديم الطعام للميت يشكر لرب البيت ويدفع اليه جرءاً من الاطعمة ويصب له قليلاً من الحمر وهذا ما يدعونه بالصب والاهراق حتى ان هوراس نفسه على قلة اعتقاده كان يتعشى امام بيته مع خدمته ويصب الطعام ويصلي الصلاة المعتادة

وكان اكل أسرة رومانية في بيتها قبر جعل فيه ارباب البيت وارواح الاجداد ومذبح البيت . وكان لمدينة رومية نفها بيت مقدس في قبر الالهة فستا وهي عبارة عن اربع عذارى من اعظم الاسرات الرومانية عمد اليهن حراسته وذلك لانهم يرون ان لا ينطوي الالهيب المقدس مطلقاً ولا يعهد بالقيام عليه الا لانس من الاطهار فاذا ابت احدى تلك العذارى ان تقوم بما فرض عليها التور عليه من هذه الخدمة يدفنوها حية في قبو لاهيا ارتكبت عملاً طالحاً ووقعت الشعب الروماني في خطر .

الجيش الروماني

الخدمة العسكرية -- لم يكن يكفي لقبول الرجل في خدمة الجيش الروماني ان يكون وطنياً رومانياً بل يجب ان يكون له بعض الموارد ليجهز نفسه بالسلاح على نفقته لان الحكومة لم تكن تعطي الجندي سلاحاً حتى انها لم تكن تعطيه جراية بأكلها الى سنة ٤٠٢ وعلى هذا لم يكن يجند من الوطنيين الا من كانوا يملكون بعض ثروة اما الفقراء فكانوا يعفون من الخدمة العسكرية وبعبارة ثانية ليس لهم الحق في خدمتها ويحق كل وطني له بعض الغنى ان يقبل في الجيش بعد ان يكون ابلى بلاء حسناً في عشرين حملة واذا لم يقم بذلك فهو تبع للقائد اي منذ سن السابعة عشرة الى السادسة والاربعين فكل فرد في

رومية كما في المدن اليونانية وطي وحندي في آن واحد والرومان امة مؤلفة من صغار ارباب الاملاك المدربين على القتال .

التجنيد — متى احتاحت الحكومة الى جند يصدر القنصل امره الى جميع الوطنيين اللائقين للخدمة بان يحتمعوا في معبد الكابيتول وهناك يلتئم ضباط تحتارهم الامة وهم يختارون من ينمى لهم من الجند لتأليف جيش وهذا هو التجنيد عند الرومانيين ويسمونه الاختيار . تم يجري التحايف العسكري فيبدأ الضباط اولاً يقسمون اليمن المألوفة تم الحد وكلهم يقسمون على الطاعة للقائد وان يقاتلوا دون اعلامهم حتى يكونوا في حل من ايمانهم في نظره . فيتلورحل عبارة وينقدم كل فرد في نوبته فيقول « وانا ايضاً » فيرتبط الجيش ادراك بالقائد ارتباطاً دينياً .

دُعي الجيش الروماني اولاً الفرقة او التجنيدة ولما نما الشعب اصبح يؤلف بدل الفرقة فرقاً والفرقة الرومانية عبارة عن ٢٠٠ او ٥٠٠ رجل كلهم من ابناء البلاد . وكان اصغر جيش على الاقل عبارة عن فرقة وكان كل جيش بقيادة قنصل عبارة عن فرقتين على الاقل . ويتألف نحو نصف الجيش من هذه الفرق وكانت على جميع شعوب ايطاليا الخاضعة لرومية ان تبعث اليها ببعوتها وبدعى هؤلاء الجيود « المحالفون » وهم تحت قيادة الضباط الرومانيين . وكنت ترى المحالفين في الجيش الروماني اكثر عدداً من كتائب الوطنيين . وجرت العادة ان يبعثوا مع كل اربع فرق (١٦٨٠٠ حندي) عشرين الف راجل من المحالفين وهكذا كان الشعب الروماني في حروبه يستخدم رعاياه اكثر من مواطنيه .

التسلح — اعتاد الرومان كاليونان ان يحاربوا مترجلين متدرعين بالدروع والحوذ والمسامي (الطماقات) قابضين بايديهم اليسرى على ترسة ليدفعوا بها الصربات . مضي عليهم زمن وهم يقاتلون ، لرمح والسيف فكانوا اذا تلاقوا بالعدو يجتمعون كتيبة واحدة على نحو ما كانت تجتمع الكتائب الرومية تم عمدوا الى استعمال ضرب آخر من ضروب الكر والفر . ونقسم الفرقة الى سرايا صغيرة كل سرية مؤلفة من ١٢٠ جندياً « مانيبول » اي الفرقة لان علمهم عبارة عن حزمة من الحشيش فنصطف كل فرقة على شكل رقعة التطرنج على ثلاث خطوط وكل فرقة منفصلة عن جارتها بحيث يكون المجال امامها متسعاً للعمل على حداثها فيضرب جنود فرق الصفوف الاولى بحراهم ويضعون سيوفهم في ايديهم ويبدؤون بالقتال . فاذا اندحروا يتراجعون الى الفضاء الذي وراءهم فيزحف الصف الثاني من الفرق في نوبته الى القتال فاذا ما دُحر ينكفي راجعاً نحو الخط الثالث . وهذه الفرق

هي حيرة رجال الحيش يحملون الرماح وهم واسطة لقيادة احوامهم الآخرين لقتال الاعداء بهم .

وبعد فان الجيش الروماني لا يتألف جملة واحدة للقتال في آن واحد بل ان القائد يعي حنده مراعيًا حالة الارض التي يتخذها ساحة لقراع الاعداء . ولما التقى كتائب جنود الرومانيين وفرق المكدونيين في جبال سينوسيفال في تساليا للمرة الاولى وهما اشهر ما عهد من الحيوث في العهد القديم كان ميدان القتال عبارة عن أكمام وتلعات فلم يكن في امكان الستة عشر الف محارب من المكدونيين ان يطلوا متماسكين متجمعين بل كانت صفوفهم ذات فروج فرحت الفرق الرومانية ودخلت الفضاء الذي كان يتخلل صفوفهم ومزقت شملهم كل عرق .

التمرينات — لم يكن لرومية محال للالعاب الرياضية فكان الجنود يقرنون في ساحة المناورات اي في ساحة المريخ من الضفة الثانية من نهر التير وهناك كانت الشاب يسير ويعدو ويقفز وعليه العدة الكاملة من السلاح يلعب بسيفه ويصرب بحرته ويستعمل معوله فاذا ما علاه الغبار والعرق يجتاز نهر التير عائماً . وكثيراً ما كان الرجال المدربون بل والقواد يشاركون الجنود في تمريناتهم اذ كان من دأب الروماني ان لا ينقطع عن التمرين حتى كانت القاعدة المتبعة اذ كان ان لا يترك الجنود حتى في الحرب بلا عمل فيمرنون مرة في اليوم على الاقل ويستغلونهم باثناء الطرق والحسور والمجاري ادا لم يكن امامهم عدو يقاتلونه ولا متاريس يقيمونها .

المعسكر — يحمل الجندي الروماني حملاً ثقيلاً مؤلفاً من سلاح واوان واظعمة تكفيه اباماً ووتد ويبلغ وزن مجموعها ستين رطلاً رومانياً واذا تلاقى الحيش بجيش العدو يسهل عليه الحرب بسرعة اذ لا يكون له من الاثقال ما يشغله .

وكل مرة كان يريد الحيش الروماني الوقوف لمعسكر يحيط المساح نطاقاً مربعاً ويحفر الخندق في محيط ذاك النطاق هوة عميقة ويقون التراب من ناحيتهم في الداخل يكون مخدراً يضررون فيه اوتاداً وهكذا يكون المعسكر محمياً بنطاق من اوتاد وارض ذات وهاد وفي داخل هذه القلعة الموقفة يصرب الجنود حيامهم ويجعلون مرادق القائد في الوسط ويبقى العميون والحراس طول الليل يحرسون المعسكر وهكذا يكون الحيش في مأمن من كل عدو مفاجيء .

تعليم الجنود — يعلم الجيش الروماني تعليماً قاسياً فيحقق للقائد ان يبيت حنده او يبتغي عليهم والجندي الذي يترك محله او يركن الى الفرار في الزحف يحكم عليه بالموت

فيربطه حملة القوس بعمود ويضربونه بالعصي ويقطعون رأسه او يقع عليه الجند
فيضربونه بالعصي .

واذا تمردت كتيبة من الجيش يقسم القائد المجرمين الى عصابات كل عصابة مؤلفة
من عشرة اشخاص يقتلعون في كل عصابة على واحد يكون نصيبه الاعداء ويسمون هذا
التعشير اي احد واحد من عشرة اما الباقيون فيقتضون عليهم ان يعطوا حيز شعير ويتركونهم
يعسكرون خارج المعسكر ليكونوا اشدّ على خطر من مفاجأة العدو لهم .

لا يقبل الرومانيون ان يغلب جندهم ولا ان يؤسروا فقد سلم من القتل ثلاثة آلاف
هندي بعد وقعة « كان » وراحوا يهيمون على وجوههم الا ان مجلس الشيوخ ارسلهم
يخدمون في صقلية بدون جرايات ولا القاب شرف ربما يخرج العدو من ايطاليا وبقي ثمانية
آلاف هندي في المعسكر فقبض عليهم وقد عرض هانيبال ان يعيدهم الى الحكومة لقاء
فدية طفيعة تدفعها عنهم فابى مجلس الشيوخ ان يفتديهم .

الغلبة — متى كتب الظفر لاحد القواد يصدر مجلس الشيوخ امره اليه بان يحتفل بما
تم له من الغلبة دليلاً على تشريفه فيحتفل بذلك احتفالاً دينياً في معبد المشتري فيسير
في المقدمة الحكام والشيوخ ثم تأتي العجلات مملوءة بالعنائم والاسرى مقيدتين من ارجلهم
وفي المؤخرة عجلة مذهبة تجرها اربعة حياد يأتي القائد الغازي متوجاً بالعار وجنده
يتبعونه مترنمين بادوار دينية يرددون فيها اسم الظفر فيجتاز هذا الموكب المدينة بهذا الاحتفال
ويطلع الى معبد الكابتول وهناك يضع الغازي اغصان اعار على ارجل المشتري ويحمده
على انه كان سبباً في نصرته وعند انتهاء الحفلة تضرب اعناق الاسرى كما فعلوا مع الزعيم
الغالي فرسنتور كس او ان يلقوا الاسير في مطبق (حبس مظلم) يموت جوعاً كما فعلوا مع
جوكورتا ملك فوميديا او انهم يكتفون بان يسجنوا الاسير . وقد دام ظفر بولس اميل
الذي تغلب على ملك مكدونية (١٦٧) ثلاثة ايام مرت في اليوم الاول ٢٥٠ مركبة تحمل
لوحات وشمائل وفي الثاني ما عمنه من الاسلحة و٧٥ برميلاً من المال وفي اليوم الثالث ١٢٠
توراً من تيران الضحايا والملك يرسي في المؤخرة لابساً السواد يحف به حاضته مقيدتين
وثلاثة اولاد له مدوا ايديهم للامة يضرعون اليها واخذوا يحركون شفقتها .

فتح ايطاليا — كان في رومية معبد خاص بالرب جانوس تبق ابوابه مفتحة مادام الشعب
الروماني في الحرب . ولم يغلق هذا المعبد الا مرة واحدة دامت بضع سنين سيفي خلال
خمسائة سنة التي طال فيها عمر الجمهورية الرومانية وعليه فان رومية عاشت في حرب دائمة

واذ كان جيشها اقوى جيش في عصره انتهت بها الحال ان تغلب على جميع الشعوب الاخرى وان تفتح العالم القديم .

فبدأت باخضاع جيرانها اولاً فاخضعت اللاتينيين اولاً ثم الشعوب الاخرى النازلة في الجنوب مثل الفولسكيين والايكيين والمريكيين ثم الالبتروسكيين والسامنتيين ثم المدن اليونانية . وكان هذا الفتح من اشق الفتوح وابطئه : بدأ على عهد الملوك ولم ينته الا في سنة ٢٦٦ اي بعد اربعة قرون (١) وذلك لانه كان على الرومانيين ان يقاتلوا شعوباً هم واياهم من عنصر واحد وهم على شاكلتهم في القوة والمجدة والشجاعة . ومن هذه الشعوب من ابى ابائها ان تخضع للرومان فما كان من رومية الا ان ابادتهم فاصبحت سهول فولسكا الغنية فقراً اذا بطائح ومستنقعات ولم تعد بطائح بونتين صالحة للسكنى حتى يوم الناس هذا وقد كانت بلاد السامنتيين تعرف بعد ثلثائة سنة من الحرب التي وقعت فيها بما بقي فيها من بقايا المتاريس اكثر مما تعرف بحلوجوارها من السكان وكان فيها ٤٥ معسكراً الامبراطور دسيوس و٨٦ للقائد فايوس .

الطرق العسكرية — اقام الرومانيون في جميع ايطاليا طرقاً عسكرية ليتسنى لهم ان يبعثوا بالبعوت الى القاصية وكانت هذه الطرق عبارة عن طرق مستقيمة مرصوفة بالحجر والحجر والرمل وبلغ من متانتها انها صبرت على الايام خلال ذاك العهد برمته . وقد اكثر الرومان منها في عامة بلاد ايطاليا فليس فيها بقعة لا ترى فيها الى اليوم اثرًا من آثار تلك الطرق الحربية وكانوا يسمونها باسم الوالي الذي امر ببنائها واهم هذه الطرق طريق ابن الممتد الى الجنوب الى بطائح بونتين حتى ترانتا وبرندس ثم طريق فلامنين الذي يحتاز طريق انين ويصل الى بحر الادرياتيک وطريق اورلين الذي يقطع اقليم طوسكانيا آخذاً الى الشمال على طول الساطي حتى بلاد الغال ثم طريق الملين الممتد من بحر الادرياتيک محتازاً جميع سهل « يو »

فتح حوض البحر المتوسط

صبغة الدياسة الرومانية — لم يحظر للرومان ان يفتحوا العالم أولاً حتى انهم تمهلوا بعد ان بسطوا حكمهم على ايطاليا وقرطاجنة مدة مئة سنة قبل ان يخضعوا الشرق الى سلطانهم .

(١) لم يكن للرومانيين من احبار جميع هذه الحروب في ايطاليا سوى اساطير لفق اكثرها ليكون منها دليل على رجولية بعض اجداد احدى الاسر الشريفة

والظاهر انهم فتحوا فتوحاتهم دون ان يحتطوا لها حطة من قبل لان مصلحتهم كلهم كانت بان يفتحوا الفتوح ويدوحوا الممالك .

فكان يرى الحكام وهم قواد الحيوتس من الفتوحات فرصة لنيل علائم التشريف بالظفر الذي يكتب لهم ويكونون على ثقة من الاستمرار بين أمتهم والتأثير فيها . وكان أعظم رجال الحكومة في رومية مثل بابيريوس وفابيوس وسيبوني الاول والثاني وكاتو من القواد الذين فتحوا الفتوح وكتب الظفر لاعلامهم . ويرجع الاشراف الذين يتألف منهم مجلس الشيوخ ادا كثر سواد رعايا رومية فيذهبون كما يذهب الحكام لقبول احتراماتهم وهداياهم . اما الفرسان أي الصيارف والتجار وأرباب المتاربع فان كل فتح حديث كان لهم بمثابة مشروع حديد يستثمرونه

والامة نفسها تستفيع من الغنائم التي تؤخذ من العدو . وقد برعت الصرائب بصورة دائمية بعد ان دخلت حرانة الدولة الرومانية كنوز ملك مكدونية . اما الجنود فكانوا يقبضون رواتب عالية من قوادهم وقد أخذوا يحاربون البلاد الغنية دع عنك ما كانوا يمدون اليه ايديهم من مال المملوكين . وعلى هذا فقد فتح الرومان العالم للفوائد المادية اكثر من المجد

قرطاجنة — لما امتد سلطان رومية الى جزيرة صقلية حملت على قرطاجنة وعندئذ بدأت الحروب الفينيقية محدلت ثلاث حروب فكانت الحرب الاولى من سنة ٢٦٠ — ٢٤١ حرباً بحرية ولا يعرف عنها شيئاً الا ماروته الاساطير بعد زمن من حدوثها . فذكروا ان الرومانيين لم يملكوا سفناً بحرية قط واهم جعلوا سفنهم على مثال سفينة قرطاجنة وقامت بالعرض في التساطي فأخذوا يبرنون بمجذفيهم على استعمال المجاذيف على اليابسة . وهذه القصة لا اساس لها لان بحرية رومية قديمة اما الرومان فقد نقلوا احبار هذه الحرب كما يلي . علب القنصل دويليوس الاسطول القرطاجي في ميلي (٢٦٠) وكان رل الى افريقية من البحر حيش روماني على عهد الخاكم رجولوس فعلم وتمزق شذر مذر (٢٥٥) واسر رجولوس وأرسل الى رومية ليعقد الصلح وقرر مجلس الشيوخ ابقاء الصلح فرجع هذا الى قرطاجنة حيث قصى بحبه في العذاب . تم حي وطيست الحرب في صقلية فكتبت العلبة للاسطول القرطاجي اولاً (٢٤٩) تم دمر بالقرب من جزائر ايعات (٢٤١) وبعد ذلك حوصرها مليكار في جبل اركيس فوقع على الصلح ودخلت صقلية في حوزة رومية

ونتبت الحرب الثانية (من سنة ٢١٨ الى ٢٠١) وكان قائدها هانيبال من نسل الاسرة القرطاجنية صاحبة الحول والسطوة في بادكاس وكان قاداؤه هامليكار الى صقلية جيشاً قرطاجنياً في الحرب الفينيقية الاولى تم عهد اليه ان يفتح اسبانيا وكان هانيبال اذ ذاك طفلاً

فصحبه ابوه . وكانت العادة ان تقدم الضحايا للارباب عند ما يعادر الجيش البلاد ويقال ان هامليكار بعد تقديم الضحايا حلف ابنه ان يكون اعدوا ازرق للرومان ربي هانيبال وسط الجند فأصبح احسن قائد وامهر راجل في حرب . ولم يكن يعرف من الحياة الا انه محارب وكانت عنايته منصرفة الى تعهد حصانه وأسلحته واشتهر أمره كثيراً حتى اذا هلك القائد اسدرو بال الذي كان يقود الجيش الاسباني اتجبهوه قائداً عليهم دون ان ينظروا أوامر مجلس الاعيان القرطاجي في ذلك . وهكذا أصبح هانيبال سيئ الحادية والعشرين من عمره قائد جيش لا يطاع أحد سواه فدخل عمار الحرب على الرعم من مجلس التسيوخ في قرطاجنة وراح يحاصر ساعونت حلينة رومية فاستولى عليها وحررها وما كتب به المجد لهانيبال انه عوضاً عن ان ينظر الرومانيون جرأ على ان يقتحمهم في عقور دارهم من بلاد ايطاليا ولم يكن له اسطول يحمله وحيشه اليهم فعزم على اجتيار البلاد اليهم برأ فقطع جبال البيرنيه ونهر الرون وجبال الالب ومن لنفسه مخالفة الشعب العالية وقطع جبال البيرنيه دون أن يلقى فيها مقاومة في حيش مؤلف من ستين الف مقاتل من الخنود المستأجرة من الافريقيين والاسبانيين ومعه سبعة ولاتون فيلاً مدربة على الحرب وقد طمع بعض الشعب العالي ان يحولوا بينه وبين المسير في نهر الرون فأرسل هو فرقة من جيشه تقطع النهر على مسافة بضعة أميال من اعلاه وتهاجم العاليين من ورائهم على حين يجتاز معظم جيشه النهر على زوارق وتجرف الفيلة على ارمات كبيرة . ثم صعد وادي ايزر وانتهى الى جبال الالب في أواخر شهر تشرين الاول (اكتوبر) فقطعها على ما كانت معتادة به من التلوج وعلى الرغم من غارة السكان الجبلين عايه فوقع كثير من الرجال والحيول في الهاويات . وقضى تسعة أيام لبلوغ قمة جبل الالب وصعب عليه الدورول لان المضيق الذي كان يجب عليهم السير فيه عطته التلوج والصقيع فاقتضى لجيشه ان يتخذ له طريقاً يحمره في الصخر ولم يصل الى السهل الا وقد أصبح جيشه نصف ما كان . ثم لقي هانيبال ثلاثة حيوش رومانية في مسافة متدانية على شاطئ نهر تيسين وصفة نهر تريبيا وبالقرب من بحيرة ترازيمين في انروربا فهزمها كلها وكان كلما تقدم الى الامام يرداد جيشه وينضم المحاربون من العاليين « ايطاليا الشمالية » تحت لوائه ليخدموه وينصروه على الرومانيين

فاجتاز هانيبال ايطاليا واتخذ لزوله اقليم اوليا في الجهة الثانية لرومية فهاجمه فيها الجيش الروماني . وكان جيشه نصف جيش ولكن كان معه فرسانه الافريقيون يركبون خيولاً سريعة وقد رابط في سهل « كان » بحيث جعل الرومانيين يقابلون بوجوههم الشمس والتراب الذي يثيره الريح فاحاط الفرسان بالجيش الروماني احاطة الدوار بالمعصم وذبحوه

عن آخره (٢١٦) وكان يظن ان هانيبال سيزحف على رومية الا انه لم يكن على تعبئة تامة . وهكذا ظل هانيبال في ايطاليا الجنوبية تسع سنين يحاول ان يفصل عن رومية الشعوب المخالفة لها ولم ينجح الا بالاستيلاء على بضع مدن حاصرها الرومان وخربوها وبعد ذلك سافر اخوه اسدروبال في جيش اسبانيا للالتحاق به فوصل الى اوساط بلاد ايطاليا فسار الجيشان القرطاجنيان احدهما على الآخر يقابل كلاً منهما جيش روماني بقيادة احد حكام الرومان . وكان يديرون محادياً لهانيبال جحراً على قطع ايطاليا الوسطى لينضم الى رصيفه مقابل اسدروبال . ولقد سمع اسدروبال في صبيحة ذات برم الابواق تبوق مرتين في المعسكر الروماني وكان في ذلك اشارة الى انه كان في المعسكر قنصلان او حاكمان فوقع في نفسه ان احاه علب وانهرم وان الرومان يطاردونه وانه قتل وذبح جيشه عن بكرة ابيه ثم رجع يديرون الى الجيش الذي غادره امام هانيبال والتي في معسكر قرطاجنة رأس اسدروبال (٢٠٧)

فلم يبق لهانيبال غير قوته يعتصم بها واقام خمس سنين في اقليم كالابراوما كره على الخروج من ايطاليا الا لما علم بان جيشاً رومانياً كان نزل الى افريقية واحذيهدد قرطاجنة فدبح هانيبال الجند الايطالي الذي ابي الالتحاق به وركب البحر الى افريقية (٢٠٣) وانتهت الحرب بوقعة زاما (٢٠٢) وكان هانيبال اعتمد بحسب عادته ان يسوق الجيش الروماني الى الدخول في صفوفه ولكن القائد الروماني سيبون تبت مع جيشه وما كانت الا هزيمة واحتها حتى ركب هذا اكتاف عدوه وهرم جيشه شر هزيمة .

فاضطرت قرطاجنة الى عقد الصلح وننازات عن كل ما تملكه خارج افريقية وتركزت اسبانيا للرومانيين . واضطرت زيادة على ذلك الى تسليم سفنها وفيلتها وان تدفع مبلعاً من المال يربو على خمسين مليوناً من الفرنكات وتعهدت بان لا تعان حرباً قبل الاستئذان من رومية . وكانت عاقبة الحرب الثالثة (من سنة ١٤٩ الى ١٤٦) القضاء على قرطاجنة فطال حصار الرومان كتبراً لها حتى اخذوها عنوة وجعلوا عاليها سافلها وفتحوا اقليمها واعمالها وجعلوها ولاية افريقية خاضعة لسلطانهم .

مكدونية والشرق — كانت ملوك اليونان احواف قواد الاسكندر انقسموا للشرق وحارب اعظمهم سطوة مملكة رومية وغلبوا مثل ملك مكدونية فيليب سنة ١٩٧ وابنه برسي سنة ١٦٨ وملك سورية انطيوخوس سنة ١٩٠ وهكذا حلا الجول للرومانيين فاخذوا يفتحون البلاد التي يرونها ثماستهم واحدة بعد اخرى فافتحوا مكدونية سنة ١٤٨ ومملكة فرغانة (١٢٩) وبقية آسيا (من سنة ٧٤ الى ٦٤) بعد هزيمة ميتريداتس ومصر (٣٠)

وما عدا مكدونية لم يندب السرق لقنالم غير جنود مستأجرة او برابرة غير منظمين ينفرون ايدي سبا لاول صدمة يلقونها . ولم يقتل في الغلبة العظمى على انطيوتسوس في مانيزيا سوى ٣٥٠ جندياً رومانياً وافتخر سيلابانه لم يفقد من جيشه في تيرويا سوى انبي عتري جندياً .

ودخل العرب قلوب سائر الملوك مخضعوا لسلطان مجلس الشيوخ من دون مقاومة فان انطيوتسوس العظيم ملك سورية بعد ان فتح جزءاً من ديار مصر جاءه بويليوس مندوباً من قبل مجلس الشيوخ بأمره بالخلاء عما بسط يده عليه من البلاد فتردد انطيوتسوس وكان بيد بويليوس محزنة فاحتط بها في الارض خطوطاً حول ملك سورية وقال له : أجب مجلس الشيوخ قبل ان تخرج من هذه الدائرة التي رسمها لك . فلم يسمع انطيوتسوس الا الحصوع والقي حبل مصر على عار بها . وجاءه روزباس ملك بيتنيا وقد حلق رأسه ولبس ثياب العبد المعق وركع امام مجلس الشيوخ الروماني . وحاول ميتريداس ملك بون ان يقاوم وحده فطرد من بلاده بعد حرب خمس وعشرين سنة (٦٣ - ٨٩) واضطر الى ان يتناول السم ويقول بيدي لا بيد عمرو .

اسبانيا وغاليا الحموية — لم يستطع الرومان ان يغلبوا على الشعوب البربرية والمخار بين في الغرب بادنى سبب كما تغلبوا على غيرهم فقصوا قرناً لاحضاع اسبانيا لسلطانهم . وقد ناضهم الحرب في جبال الريفال رحل من الرعاة اسمه فيريات (١٤٩ - ١٣٩) وهرم خمسة جيوش واكره احد قناصل الرومان على عقد الصلح معه ولم يتخلص مجلس الشيوخ من شره الا بقتله . واهلك الاريفاكيون وهم شعب صغير في الشمال الشرقي عدة جيوش رومانية واقتضى لرومية ان ترسل احد قوادها سديون للاستيلاء على عاصمة تلك البلاد وهي المدينة الصغرى المسماة نوماس . وكانت الشعوب الصغيرة الحاملة في صيتها المعتصمة في جبال جين كثيراً ما ناض الرومانيين القتال . وكان الغاليون اتد الاعداء على رومية وهم منتشرون في جميع سهل بويوزحفون على ايطاليا الجنوبية وقد استولت احدى عصاباتهم على رومية سنة ٣٩٠ فكان جندهم يدخل الذعر على قلوب الحند الروماني باح امهم الضخمة البيضاء وسبلاتهم الطويلة الشقراء وعيونهم الزرقاء واصواتهم التي تعج فيبلغ صداها عن السماء . والخوف يستولي على رومية عند ما يبلغها مجيء العسكر الغالي فيصدر مجلس الشيوخ امره بجمع عامة الجند .

وكانت هذه الحروب شديدة جداً ولكنها تضع اوزارها في الحال ففي الحرب الاولى استولى الرومان على اقليم غاليا المعروف بسيرالين اي ايطاليا الشمالية وتسببت الحرب الثانية

(١٢٠) للدفاع عن مارسيليا حليفة رومية فدمر الجيش الغالي واحضعت رومية بلادالرون وشاطيء البحر الرومي (اقليم لانكدوك وبروفانس ودوفينه)

عواقب الفتوح

سريان الاصطلاحات اليونانية — ان الفتوح هي التي دعت الرومان الى رؤية الروم والمشاركة عن أمم فاستوطن رومية الوف من اليونان جاؤوها اسرى او للاتجار وتعاطى بعضهم الطب وآخرون التعليم وغيرهم العرافة وغيرهم التمثيل . وكان القواد والضباط والحنود الرومانيون يعيشون في آسيا وسط الشعوب التي تتكلم اليونانية فتخلقوا باحلاق باليونان وهكذا عرف الرومان عادات حديثة ومعقدات جديدة لم يكن لهم بها عهد واخذوا يعملون بها على التدرج وقد بدأ هذا التبدل بعد الحرب المكثونية الاولى (٢٠٠) ودام الى اواخر المملكة الرومانية القائدان كاتون وسبيون — بينما كانت الاحلاق تتغير استهزأ احد رجالهم كاتون باحتفاظه بعادات اسلافه . ولد هذا الرجل سنة ٢٥٢ في بلدة توسكولوم وقضى شببته في الحرب والكرت وفي السابعة عشرة من سنه دخل في الجيش بحسب العادة المتبعة واشترك في عامة الحملات على هانيبال . ولم يكن من الاشراف ولكنه استهزأ بقوة واستقامته وزهده وقد انتخب مرات وزيراً للمالية وناظراً للابنية والملاعب وقاضياً وقنصلاً ووكيلاً للاحصاء وتسلم مناصب الشرف عامة وكان في جميع حالاته على قدم قدماء الرومان فاسياً حاقاً بمحتسماً وقد ونج فصله عمد ما كان وزيراً للمالية وكان القنصل سبيون غالب هانيبال فاجابه لست في حاجة الى ناظر مدقق مثلك الى هذا الحد . ولما عين ناظراً للابنية والملاعب في ساردينيا ابى ان يمس المال الذي دفعته اليه تلك الولاية للنفقة . ولما صار قنصلاً تكلم بشدة عن قانون اوبيا القاصي بالخطر على النساء الرومانيات بان لا يتزين بالحلي الثمينة فظفر النساء بمظلمهن وألعي ذاك القانون . ولما ذهب لقيادة الجيش الروماني في اسبانيا اتى باموال طائلة دفعها الى حراة الامبراطورية وابع حصانه عند ما ركب البحر ليقصد من نفقات نقله ولما عين وكيلاً للاحصاء اسقط من قائمة مجلس الشيوخ عدة من الاعاظم لما عرفوا به من الترف والبذخ واحال جباية الاموال الاميرية بثمن عال وقدر حلي النساء وزينتهن وعرباتهن بعشرة اضعاف ما تساوي وبعد ان حفت له اعلام النصر لم يستنكف من الخدمة في الجيش الروماني ضابطاً بسيطاً .

صرف كاتون حياته في مناهضة الاشراف والعض من بذخهم وترفهم وتجميلهم وحمل خاصة على امثال القائدين سبيون متهماً اباهم بالاختلاس الا انه لم ينج هو ايضاً من الصاق التهم به فاتهم اربعاً واربعين مرة ولكنه كان يبرأ كلما اتهم . وكان يحرق ارضه مع عبده

ويواكلهم ويضربهم بالعصي متى رآهم يحيدون عن جادة الصواب وقد ذكر في رسالته في الزراعة التي كتبها الى ابنه جميع ما كان يأتي الفلاحين الرومانيين من الابرادات ويرى ان من الواجب على المرء ان يقتني وكان يقول : « للارملة ان تصرف من مالها وعلى الرجل ان يريد وكل من شهدت دفاتر حساباته بعد موته بأنه ربح أكثر مما ورت جدير بالشهرة وملهم من الارباب » ولما رأى ان الزراعة لا تأتيه بارباح طائلة اخذ يقرض ماله ليجهز به سفناً تجارية واتخذ له خمسين شريكاً جهزوا كلهم معاً خمسين سفينة ليتقاسموا بينهم الاخطار التي تنال سفنهم والارباح التي تأتيهم بها . وعلى هذا كان كاتون زارعاً ماهراً وجندياً عظيماً عدواً للبذخ حريصاً على الكسب فهو مثال الروماني الاصيل وانموذج الفضيلة والتبات وعلى العكس منه كان القائد سبيون مثلاً للاهتمام بالفنون والافكار الفلسفية اليونانية فكان سبيون الذي استولى على قرطاجنة وبوماس يتكلم باليونانية وهو صديق المؤرخ اليوناني بوليبي الذي أمسك في رومية رهينة . ولم يكن يهتم بجمع المال وقد دفع الى شقيقاته دفعة واحدة مبلغاً من المال كان عليه ان لا يدفعه اليهن الا في اوقاف محتلمة وانازل لاخته وكان اقل منه مالاً عن حصته في ارث ابيه ولم يخلف بعده سوى كمية قليلة جداً من الاواني الذهبية والفضية .

الاحلاق القديمة — مضى زمن طويل على قدماء الرومانيين وهم يتفرون على زرع حقولهم وقتال عدوهم والقيام بفرائض دينهم حتى كانوا حقاً الريفيين العاملين الحفاة . فكانوا يررعون جانباً صغيراً من اقليم لاتيوم اولاسابين وهم من نسل اللاتين والايطاليين الذين تغلبت عليهم رومية . وقد صور لنا السيج كاتون في كتاب له في الزراعة شيئاً من احلاقهم بقوله : كان اجدادنا اذا أرادوا الثناء على رجل يصفونه بأنه زارع ماهر وحرث مجيد وهذا عابة ما يمدح به انسان (١)

مكان هؤلاء الزراع أشدء في اعمالهم واهل طمع في مكاسبهم وتنظيم في شؤونهم واقتصاد في نفقاتهم وبذلك كانوا قوة الجيوش الرومانية . ولطالما تألف منهم مجلس الامة ايضاً وكانت لهم القوة العظمى في الانتخابات . فيجيء الاشراف الذين يطمعون في ان ينتخبوا حكماً الى ساحة السوق ليهزوا أيدي هؤلاء الفلاحين . رأى أحد المرشحين انفسهم للانتخابات يد احد الحراثين وهي شتنة عليظة فأله : هل تمشي على يدك ؟ وكان السائل من الاشراف ينتسب الى أسرة كبيرة ولكنه لم ينتخب

(١) وقد اورد ايضاً شيئاً من امثالهم القديمة منها : « ادنى الزراع من يبتاع شيئاً ما تغله له ارضه » « واحط المقتصدين من يعمل في النهار ما يتأتى له ان يعمل في الليل »

سكن الرومان بيوتاً ضيقة ذات طبقة واحدة لا نظام في نائها وكان الاثر يوم أهم ناحية من الدار وفيه المكان المقدس وهو مكتوف من أعلاه يرل منه ماء المطر . والانات عبارة عن بضعة صناديق ومقاعد من الخشب . وطعامه بسيط مؤلف خاصة من حساء معمول بالبر ومن حار ومن بعض بقول وما كانوا يتناولون اللحوم الا في الاعياد وما تترب النساء الحرقط والرجال يتناولون منه على المدره . واباسهم عبارة عن قميص يلبسون فوقه رداء من صوف زمن البرد . ويلبس الوطنيون في أيام الاعياد حلة من الصوف مريضة من جهة العنق ويلبسون في ارجلهم نعالاً مطاطة سيور . ويقصون حياتهم في الوفير على اعمالهم فالرجال يصطادون دون ان يحترقوا والنساء يغزلن الصوف وتنسجن الاقمشة ويطحن الحبوب ليحعلنها برآ . ولم يكن للرومانيين من ضروب التسلية الا ان يذهبوا كل تسعة أيام الى السوق أو يحضروا الاعياد التي اقام اكراماً للارباب

كان يرى قدماء الرومان ان الرجل التسديد هو غاية ما تنطمح اليه الآمال ويقال ان سيد سيئاتوس كان يسوق محتراته نفسه عند ما اتاه نواب الامة من قبل مجلس الشيوخ يدفعون اليه الامر بتنصيبه . ولم يكن عند فاريسيوس من الاواني غير كأس وملحة من فضة . وكان كور يوس واثنا توس وهو غالب السامنتيين حالساً على مقعد يأكل بقولا في قصعة من خشب عند ما اتاه منده بو السامنتيين ليقدموا اليه المال فقال لهم : اذهبوا وقلوا للسامنتيين ان كور يوس يؤثر ان يقود من عندهم ذهب اكثر مما يؤثر ان يكون هو مالكا له . هذه هي بعض الاقاصيص التي يروونها عن قواد الازمة القديمة وسواء كانت حقيقية او ملفقة فانها تدل على ما كان الرومانيون بعد يذهبون اليه بشأن قدماء احدادهم

الاحلاق الجديدة - احذ كثير من الرومانيين بعد القرن الثاني ولا سيما طبقة الاشراف يقلدون الاجاب . وكان زعماءهم قواداً رأوا بلاد اليونان والشرق عن أمم فكتبت الغلبة لسبيون على ملك سورية ولفلامنيوس وبولس اميل على ملوك مكدونية ثم للوكلوس على ملك ارمينية . فعزت نفوسهم عن الحياة القاسية الصعبة التي كان عليها اجدادهم وأحدوا يسرون في حياتهم على البذخ والرفاهية وما زال الحال كذلك حتى نسيج على منوالهم عامة النبلاء والاعنياء بحيث لم يطلع فجر القرن الاول حتى لم يعد في ايطاليا الاسادة عظام يعيشون المعيشة الشرقية او اليونانية

يرى الشرقيون من دواعي العجب ان يعرضوا للانظار الاقمشة البديعة والاحجار الكريمة واثاث الفضة وأواني الذهب وان يستكثروا في بيوتهم من الخدم على غير طائل

وان ينشروا على الشعب المجتمع دراهم ليدهشوم (١) فكانوا يرغبون في الاعلاق النفيسة النادرة أكثر من رغبتهم في النفائس الجميلة المناسبة

واصبح للرومان على شدة عجبهم وضعف استعدادهم في الصناعات ذوق في هذا الضرب من البذخ فكانوا قلما يحفلون بالجمال أو بالموافق ولم يعرفوا قط الا الأبهة والنفخعة فاستوا لهم بيوتاً ذات حدائق متسعة وحشروا اليها التماثيل واقاموا فيها المصاييف الراهية التي تمتد الى البحر وسط الحدائق المتسعة واستكثروا من الحدم والحشم وأخذوا هم ونساءهم يعتاضون عن ألبستهم المعموله من الصوف بالتصوف (رنجك - كريسة) واكسية الحرير والقصب . ويفرشون في ولائهم بسطاً مطررة وأذرة من الأرجوان وأواني من ذهب وفضة (وكان عند الحاكم سيللا مئة وخمسون صحفة من الفضة وورن ما عند ماركوس وروزوس من الاواني الفضية عشرة آلاف ليرة) واد ظل العامة يأكلون قعوداً بحسب عادة الشعوب الايطالية القديمة والخاصة من الاغنياء اتبعوا العادة الشرقية في الاكل مصطحبين على سرهم ثم سرت عادة التأنق في المآكل على الاسلوب الشرقي والاستكتار في المطاعم من الابازير والصباغ (سلسا) والصيد واسمك الغريب ومخاخ الطواويس والسنة الطيور واستحكم بهم السرف حتى تقدمت أحد الحكام سنة ١٥٢ وقد ذكر في وصيته قوله «لما لم يكن الاكرام الحقيقي عبارة عن أبهة باطلة بل هو لتذكراقدار المتوفى وأجداده فانا أمر أولادي ان لا ينفقوا على جنازتي أكثر من مليون آس (مئة الف فرنك)»

العلوم الادبية اليونانية — رأى الرومانيون في بلاد اليونان المصانع والتماثيل والالواح التي كانت منذ قرون تغص بها المدن وعرفوا الادباء والفلاسفة فصار لبعضهم ذوق في الصنائع النفيسة واولع آخرون بالحياة العقلية فجعل امتثال القائد سبيون حولهم اناساً من اليونان المنورين ولم تطمح نفس بولس اميل من جميع الغنائم التي عمها جيشه من مكدونية الا الى الاستيلاء على مملكة الملك رومي وعهد بتربية اولاده الى اساتذة يونان وبذلك صارت الكتابة والتكلم باللغة اليونانية من الامور المستحسنة في رومية (٢) واراد الاشراف ان يظهروا في مظهر العارفين بالتصوير والنقش فجلبوا بالالوف التماثيل وقلد كورنت المشهور (١) تجدد مثالا من هذا الذوق الشرقي في الابهة الباطلة التي تمثل لك في حكايات الف ليلة وليلة

(٢) ولذلك كان يخاف الشيخ كاتون عادية اليونان وقد كتب لابنه ما يأتي : اقول ان ملاحظته في آثينة ان هذا الجنس من اخبت الاجناس واصعبها مراساً الا فاستمع لما اقول كما تسمع لهاتف رباني الا ان هذه الامة اليونانية كلما انتنا بصناعاتها افسدنا كلنا

وملأها بيوتهم . ودخل في ملك الحاكم فريس شيء كثير من النفائس والاعلاق جعلها في رواق وكانت مما نهبه من صقلية .

وهكذا أخذ الرومان على التدريج من الفنون ظواهرها ومن الآداب اليونانية قسورها . وسمي هذا التهذيب الجديد فن الادب معارضة للخشونة التي كان عليها اهل الريف من الرومان ومع هذا لم تكن الا قسوراً فقط فلم يعرف الرومان ان الجمال والحقيقة يرغب فيهما لذاتهما بل كانت المناعات والعلوم عندهم اموراً يقصد بها الربنة والبذخ ليس الا . ولم يكن الرومان على عهد سيشرون يعتبرون من اهل الاعمال غير الجندي والحرات والسياسي والتاجر او المحامي اما الكتابة والتأليف والاشتغال بالعلم والفلسفة والنقد فكل ذلك كان يسمي عندهم بطالة . وما قط اصاب ارباب الفنون والعلماء من الاعتبار في رومية ما يساويهم بتاجر غني . قال لوسين احد كتاب اليونان : « متى صرت مثل فيدياس النقاش اليوناني تصنع الف قطعة بدیعة من النقوش لا يرغب احد ان يثقل مثالك لانك معها بلغت من الخدمة لا يطلق عليك الا لقب صانع ولست اذ ذاك غير رجل يعيش بكد يمينه »

لوكلوس - ولد لوكلوس وهو مثال الروماني الحديث سنة ١٤٥ من أسرة شريفة وعنية جداً ولذا سهل دخوله في سلك ارباب المناصب والتشرف واشتهر في عزواته الاولى بانه يعطف على المغلوبين ويعاملهم باللطف ثم عين قنصلاً وقاد الجيش الذي انتدب لقتال ميتريداتس . وقد رأى سكان آسيا ساخطين من كثرة السرقة وفظاعة العسارين فغني بعمل حد لتلك الاعمال وحظر على حنده ان ينهبوا المدن المغلوبة وبذلك جلب لنفسه حب الآسيويين الباطل وبغض العسارين والجنود الخطر . فدست الدسائس لتستدعيه حكومته وكان قد هزم ميتريداتس واحذ يطارده وهو سائر الى حليفه ملك ارمينية وقد هزم جيشاً من البرابرة بجيشه الصغير المؤلف من عشرين الف مقاتل فسلمت منه القيادة وسلمت الى بومبي نديم العسارين وحببيهم

واذ ذاك اعتزل لوكلوس الاعمال للاستمتاع بما جمعه في آسيا من الثروة واصبح يملك في احياء رومية حدائق غلبا وله في نابولي مصيف قام في البحر مبنياً بالحجر الصلد . وفي توسكولوم قصر صيفي وفيه متحف للاعلاق والنفائس فكان يقضي الصيف في توسكولوم بين اصحابه وجماعة العلماء واهل الادب يطالع مصنفات اليونان ويبحث في الادب والفلسفة . وتروى عن بذخه حكايات كثيرة . منها انه كان ذات يوم يتغدى وحده فرأى مائدته اكثر بساطة من العادة فويج الطاهي فاعتذر بقوله ان عدم وجود الضيوف هو الذي دعاه الى تقليل المآكل فاجابه لوكلوس : « اما علمت ان لوكلوس يتغدى اليوم عند لوكلوس ؟ »

ودعا يوماً قيصر وشيشرون فقبلا دعوته على شرط ان لا يغير شيئاً من عاداته فاكتفى لوكلوس بان قال لاحد الخدمة فقط اجعل الطعام في قاعة ابولون وكانت المأدبة على غاية من التأنق بحيث عجب منها المدعوان . ولما سئل عن اخلاله بشرط الضيافة قال انه لم يأمر بشيء وان نفقات طعامه محددة بحسب القاعة التي تجعل فيها وان بسط الموائد في قاعة ابولون لا يمكن ان يكلف اقل من خمسين الف فريك

وظلّ لوكلوس في رومية يمثل الاخلاق الجديدة كما كان كاتون يمثل الاخلاق القديمة ويرى قدماء الرومان ان كاتون هو الروماني الصالح وان لوكلوس هو الروماني الفاسد ومع هذا فقد كان لوكلوس يتعد عن عادة الاجداد ولذلك كان واسع المدارك حسن التربية لطيف المأثى مفطوراً على العطف على الخدم والراعايا .

الانقلاب الديني والعقلي

العبادات الجديدة — لم يكن بين ارباب الرومان وارباب اليونان من شبه حتى في الاسماء ومع هذا اعتقد اليونان بان معظم الارباب المعبودة في رومية كانت اربابهم احبوا ان يعترفوا بانها كذلك . والى ذلك العهد لم يكن للارباب الرومانية شكل خاص ولا تاريخ معين وهذا مادعا الى الارتباك في حالتها فجرى تمثيل كل رب روماني على صورة رب يوناني واخترعوا له تاريخاً وحكايات .

تخلطوا بين المستري اللاتيني وزيوس اليوناني وجردون مع هيرا ومنيرفا ربة الداكرة مع بالاس ربة الحكمة وديان زوجة جانوس مع ارتيمس الصيادة البديعة ومزجوا هر كول رب السواد بهيرا كليس العالب على الغيلان . وهكذا دخلت الميثولوجيا اليونانية تحت اسماء لاتينية واستحال ارباب رومية الى ارباب يونان . امتزجت الارباب بعضها ببعض حتى اعتدنا ان نطلق على الارباب اليونانية اسماء لاتينية فلا نزال نقول ارتيمس ديان وبالاس منيرفا . وبالميثولوجيا اليونانية اعتاد الرومان ان يصوروا اربابهم في تماثيل كما اقتبسوا ايضاً بعض الاحتفالات اليونانية وكانت الحكومة الرومانية ادخلت الى بلادها عبادة ابولون وبدأ بعض الافراد يعبدون باحوس رب الكرم . ويحذف من يعبدون باخوس لعبادته من الليل سرّاً ولا يطلعون احداً على حفايا العبادة بالباخوسية واحذ المجلس يحقق فرأى المتعبدين بهذه العبادة سبعمائة شخص بين رجال ونساء اشتركوا معاً في هذه الاسرار ففضى عليهم بالموت .

ثم ان الرومان اخذوا ايضاً يعبدون ما يعبد شعوب الشرق فقد كان سنة ٢٢٠ سي في

رومية معبد للرب سيراييس المصري فامر مجلس الشيوخ بهدمه فلم يجسر احد الفعلة على ذلك وبقي المعبد لا يمس بسوء حتى جاء القنصل بنفسه فضرب ابوابه بالفأس وبعد سنين اي في سنة ٣٠٤ خلال حرب هانيبال بعث مجلس الشيوخ الى آسيا الصغرى بوفد للبحث عن المعبودة سيبييل وكانت هذه الام الكبرى كما كانوا يدعونها مصورة على حجر اسود فاتى بها مندوبو مجلس الشيوخ باحتفال حافل وجعلوها في رومية وقد لحق بها كهنتها واحذوا يطوفون السوارع على اصوات المزامير والصنوج لابسين البسة شرقية وهم يتوكفون الا كفف على الابواب

تم غصت بلاد ايطاليا بالسحرة من الكلدان ولم يكن العامة يعتقدون وحدهم بهؤلاء العرافين . ولما هدد رابرة السمر مدينة رومية سنة ١٠٤ تقدمت عرافة من سورية اسمها مارتا فعرضت على مجلس الشيوخ الروماني بانها لتوسط في غلبة رومية على عدوتها فطردها مجلس الشيوخ ولكن النساء الرومانيات نعتن بها الى المعسكر فاقاها مازيوس القائد العام لديه وما فتئ يأخذ رأياها الى ان وصعت الحرب اوزارها . ورأى سيللا في نومهرنة كابودسيا فعمل بنصيحتها وسار الى ايطاليا .

السفسطائيون — لم يكن يأتي الى رومية كهنة وعرافون فقط بل كان يرل فيها فلاسفة يحقرون الدين القديم . ومن اشهرهم كارنياد سفير الآتينيين فانه كان يصرح بافكاره في رومية امام الجمهور فيخف شبان الرومان الى سماع اقواله حتى اراد مجلس الشيوخ على الخروج من المدينة الا ان الفلاسفة ظلوا على بت مبادئهم في رودس وآتينة حتى اصبح من السنن المألوفة ان يبعث الرومان نعتياهم الى تينك المدينتين يتعلمون فيها الفلسفة

وفي القرن الثالث قبل المسيح ألف ايفهمير اليوناني كتابا نبني فيه وجود الارباب وامها ليست الا رجالا ألهم الناس حتى ان المشركي نفسه كان ملما على كريت . فانتشر كتابه اي انتشار ونقله الشاعر انيوس باللاتينية . وعلى هذا النحو اخذ اشراف رومية يستخرون من اربابهم ولم يبقوا من الدين القديم الا على مراسيمه وظواهره (١) وكان اهل الطبقة العالية في المجتمع الروماني مدة زهاء قرن يعتقدون بالحرافات اعتقاد سفسطائيين لا يؤمنون بشيء الحياة العقلية — كان غاية ما يعلم اليونان الاقدمون اولادهم القراءة فقط في الزمن الذي كان فيه بوليب في رومية (قبل سنة ١٥٠) ويعهد المحدثون من الرومان بتعليم ابنائهم الى مربين من اليونان ولذلك افنتح اناس من اليونان في رومية مدارس لتعليم الشعر والبلاغة والموسيقى . وكانت الاسرات الكرى لتقسم الى اناس يتعلمون على الطريقة القديمة وآخرين (١) قال شيشرون : يجب ان نبقى على عادة اخذ الطالع لثلاث نسم العامة في معتقداتهم

على الحديثة . ولكن بقي في الازهان شيء من الموسيقى والرقص فكانوا ينظرون اليهما بانهما من الصناعات المهينة بمن يتعاطاها اذا كان كريم المحتد . قال سبيون املين حامي اليونان في كلامه على مدرسة رقص كان يختلف اليها بنون وبنات من الخاصة : ما كنت اتوهم عند ما ذكر لي ذلك ان اناساً من الاشراف يعلمون مثل هذه الامور لاولادهم ولما اخذوا بيدي الى مدرسة الرقص رأيت فيها زهاء خمسمائة صبي وست وفي جملتهم ولدًا شريفًا في الثانية عشرة من عمره وهو احد المرشحين للانتخابات برقص على اغمات البوق « كروتال » وقال سالوست في كلامه على عقيلة رومانية قليلة الاعتبار انها كانت تصرب على الطنبور وترقص احسن مما يليق « امرأة محتشمة » .

التربية — استهوى ساء الرومان حب الاديان الشرقية والبذخ الشرقي في اسرع ما يكون فكان يذهبن زرافات ررافات الى معابد باحوس ومساجد ايزيس . وقد سنت لهن قوانين لينمن بهن من لبس الالبسة التميّنة وركوب العجلات واتخاذ الحلي والجواهر ولم تلبت ان اُقيمت فصار النساء في حل من ان يلبسن كالرجال ما يتسأن . وانقطع النساء النبيلات عن العمل والجلوس في بيوتهن وانشأن يخرجن في أبهة ويختلفن الى دور التمثيل والملاعب والحمامات والمجتمعات . واذ كنّ بلا عمل ومن الجهل على جانب سرى الفساد اليهن في الحال حتى اصبح النساء الطاهرات في طبقة الاشراف من النوادر

سقط النظام القديم في تربية الاسرات وجعل القانون الروماني الزوج سيد زوجته واشدعوا صربا جديداً من الزواج يجعل المرأة تحت تصرف ايها ولا يكون للزوج ادى سلطة عليها وكان الآباء يجهرون بناتهم بجهاز وصادق ليجعلوهن اكثر استقلالاً .

وكان من حق الزوج وحده ان يطلق امرأته ومن العادة ان لا يحاد عن هذا الحق الا في احوال استثنائية شديدة فصار للمرأة الحق ان تترك زوجها واصبح منذ ذلك العهد من اهلين اللين ان يفصم الزوجان عرى ارتباطهما ولم يعودا يحتاجان الى حكم حاكم ولا الى سبب مشروع ويكفي احد الزوجين متى استاء من زوجه ان يقول له : « احمل ما يحصك واعد لي ما املكه » وبعد الطلاق بتيسر اكل منها بل للمرأة ايضاً ان يتزوجا في الحال .

وبلغت الحال في الطبقة الرومانية العالية ان تعتبر الزواج عقداً مؤقتاً فقد تروّج سيللا بخمس نساء وقيصر باربع وبومبي بحمس وانطونيوس باربع . وتزوجت ابنة شيترون من ثلاثة رجال وطلق هورتانسيون زوجته ليزوجها من احد اصدقائه

بيد ان هذا الفساد لم يصب غير اشراف رومية ومن هذا حذوهم من اهل العممة الحديثة

اما في أسرار رومية والولايات فقد حفظت قروناً آداب الدور القديم القاسية الشديدة واخذت تربية الاسرة ترق شيئاً فشيئاً والمرأة تحرر من استبداد الرجل سطاء

التبدل الاجتماعي

زوال الطبقة الوسطى — كان الشعب الروماني القديم مؤلفاً من صغار ارباب الاملاك وهم يتعاطون زراعة حقولهم بانفسهم ومن هؤلاء الفلاحين الصالحين الاقوياء يتألف الجيش والمجلس . وكان عددهم كثيراً سنة ٢٢١ خلال الحرب الفينيقية الثانية . وفي سنة ١٣٣ لم يبق منهم احد . لا حرم انه هلك منهم كثيرون في الحروب التي اعلنتها رومية على البلاد القاصية ولكن هلاكهم يُحمل في الاكثر على انه كان من المتعذر عليهم البقاء . فقد كانوا يعيشون من زراعة القمح عند ما احدثت ترد على رومية حبوب صقلية وافريقية فسقطت اسعار الحنطة بحيث لم يتيسر للحرثين الايطاليين ان يستخرجوا من علاتهم ما يعدون به اسراتهم ويحملوا اعباء الخدمة العسكرية فقضي عليهم من ثم ان يبيعوا حقولهم فيبتاع كل غني من جاره الفقير ارضه فعدت الحقول الصغيرة ملكاً عظيماً لواحد وصير ارباب الاملاك من تلك الاراضي مروجاً يقيمون فيها ماشينهم واذا عنّ لهم ان يررعوها يبعثون اليها برعاة وحرثين من العبيد بحيث لم يمض قليل حتى لم يبق على ارض ايطاليا الا بعض كبار ارباب الاملاك وجماعات من العبيد . وكان بلين القديم يقول ان الاملاك العظيمة قد اخطأت ايطاليا ومع هذا فالدوائر العظمى هي التي قضت في الارباب على احرار الفلاحين . فصاحب الارض القديم الذي اباع حقله لم يستطع ان يبقى اجيراً بل قضى عليه ان يتحلّى عن مكانه ليحل محله العبيد وبذا اصبح هائماً على وحيه لا عمل له ولا شغل قال فارون في رسالته في الرراة ان معظم زعماء الاسرات دخلوا بيوننا تاركين المنجل والمحراث وآبوا يؤثرون التصفيق بايديهم في الملاعب على العمل في حقولهم وكرومهم .

الطبقات الاجتماعية — ليس الشعب في رومية كما هو في يونان عبارة عن مجموع السكان بل هو مجموع الوطنيين وكل رجل ينزل أرض البلاد لا يعد وطنياً بل الوطني هو الذي له حق التمتع بحقوق الوطنية . وللوطني عدة امتيازات فله الحق وحده ان يكون عضواً في الهيئة السياسية وله الحق وحده ان يقترح في مجالس الشعب الروماني وان يخدم في الجيوش الرومانية ويحضر احتفالات رومية المقدسة وينتخب حاكماً رومانياً وهذا ما يسمونه بالحقوق العامة . وللوطني الحق وحده ان يحمي القانون الروماني ويحق له فقط ان يتزوج على طريقة مشروعة ويكون رب أسرة أي حاكماً مطلقاً على زوجته وأولاده وان يوصي بما يشاء ويبيع ويبتاع ممن يشاء وهذا ما يسمونه بالحقوق الخاصة

. ولا يحرم من لم ينالوا حق الوطنية الرومانية من الخدمة في الجيش والمجلس فقط بل لا يسوغ لهم ان يكونوا ازواجاً ولا آباء ولا أصحاب أملاك مستروعة ولا ان يتقاضوا الى القانون الروماني ويحاكموا في المحاكم الرومانية ولذا تألفت من الوطنيين طبقة من الاشراف بين سواد الامة من غير طبقتهم الا لا يتساوون بينهم أيضاً . فبينهم فرق في الطبقات أو كما يقول الرومان في الصفوف .

النبلاء - النبلاء هم في الصف الأول من الامة فكل وطني يعد في النبلاء اداسبق لاحد أجداده ان تولى شيئاً من امر الامة لان الحكم في رومية من علائق الشرف يبيل به من تولاه كما يكون بضعة شرف لا خلافة من بعده . اذا نصب احد من الوطنيين ناظر المملأعب والاشية أو قاضياً أو قنصلاً تحلج عليه حلعة مطررة بالارحوان ويمح كرسياً كالعرس ويحق له ان يرسم ويصور . وهذه الصور عبارة عن تماثيل صغيرة تعمل من الشمع اولاً ثم تطلي بالفضة وتجعل في مرار الدار (انريوم) بالقرب من الكاون وارباب البيت وتجعل في محادح خاصة بها كما نجعل الاصنام ويعبدها الدرية من اهل البيت . ومتى مات احد في الاسرة يخرجون الصور ويحرقونها على مركبة في موكب و يأخذ احد اسباء المتوفى بعد دصماته ويرثيه . وهذه الصور هي التي تشرف الاسرة كلما احتفظت بها وكلما كثرت الصور في أسرة تزداد شرفاً فيقولون فلان شريف بصورة او شريف بعدة صور . والاسر الشريفة في رومية قليلة جداً (ولم يكن فيها اكثر من ثلثائة امرة) لان المناصب التي تولي صاحبها ترفاً توسد في العال الى اناس حازوا الشرف من قبل

الفرسان - تجيء طبقة الفرسان بعد طبقة النبلاء . وهم أعنياء الوطنيين الذين لم يعهد لهم حدود من الحكم فتقيد ترواتهم في سجلات الاحصاء ويبعي ان لا يقل ما يملكه احدهم عن اربعمائة الف سسترس (او مئة الف درك) منهم التجار والصيارف والملازمون وهم لا يحكمون بل يغتنون . ولهم في دور التمثيل اما كن خاصة بهم تقع الى ما وراء مقاعد طبقة الاشراف . وربما ساع للفراس منهم ان ينتخب حاكماً وعندها يدعوه الرجل الحديث النعمة ويصبح ابنه شريفاً

العامة - العامة هم غير طبقة الاشراف والفرسان فهم جمهور الامة ويكونون من سل اناء البلاد في ايطاليا وينقلون من فلاحين اصحاب املاك الى وطنيين رومانيين . و يعد في طبقتهم العبيد المعتوقون او قدماء العبيد واناؤهم . ويحافظون على مميزات اصولهم ولا يقبلون في خدمة الجيش الروماني ولا ينتخبون الا بعد غيرهم . ولقد مصت ازمان وصغار ارباب الاملاك يؤلفون السواد الاعظم من الامة وبينما كانت الارياف تصفر من قلة

الناس عصت رومية بالواردين عليها فانها لعلها اليونان والسوريون والمصريون والآسيويون والافريقيون والاسبانيون والغالليون ممن أخذوا من بلادهم وبيعوا ببيع العبيد تم اعتقالهم مواليهم فاصبحوا وطنيين ضاقت بهم المدينة فهم كانوا شعباً حديداً ليس له من الرومانية غير اسمها

حطب سيون غازي قرطاجنة ونوماس جمهوراً من الناس في احدى الساحات فقاطعه العامة باصواتهم فقال لهم: « صر ايها الابناء الادعياء المتسبون لا يطاليا زوراً فمن العبت ما نفعلون لان من جلبتهم الى رومية مقيدون لاهابهم ولو حلت قيودهم » وهذه الطبقة الجديدة من السوق تعيش بكدها او يقضى على الحكومة ان تطعمها وقد احدثت الحكومة سنة ١٢٥ تقدم لعامة الوطنيين حنطة نصف ثمنها المعتاد تأتيها من صقلية وافر يقية . ومنذ سنة ٦٣ احدثت توزع الحنطة مجاناً وتشفعها بريت . ورأى قيصر سنة ٢٦ ان من كانوا يتناولون هذه الحنطة بلغوا ٣٢٠ ألفاً

العبيد - جميع الاسرى وسكان البلد المفتوح ملك للفتح يتصرف فيهم فاذا ابي عليهم ولم يقتلهم يستعبدونهم له . وهكذا كان الحق القديم . وقد ظل الرومان يعملون به بالحرف يعاملون الاسرى كأنهم بعض العنينة يبيعونهم من الخاسين الذين يتبعون الجيش واذا حملهم الى رومية فانما يحملونهم لبيعهم في المزاد (١) وهكذا كانوا يبيعون عقيب كل حرب الوفاً من الاسرى رجالاً ونساءً والاولاد الذين يولدون من اسيرات يكونون اسرى كامهاتهم فالام المعالوة للرومانيين هي مادة الرقيق الروماني

العبد ملك صاحبه فهو لا يعتبر اعتبار شخص بل اعتبار متاع فمن تم ليس له حق من الحقوق فلا يكون وطنياً ولا مالكاً ولا زوجاً ولا ابناً . قال احد الابطال في رواية هرلية رومانية . « اي شيء هذا أعرس عبيد ! ما اعجب عبداً يتزوج ! ان هذا مخالف لعادة جماع الامم » .

ولمولى جميع الحقوق على عبده يرسله حيث يريد ويتعوله على ما يرى بل يشغله اكثر من طاقته ويطعمه احسن طعام ويصره ويعذبه ويقتله دون ان يسأله احد عما جنى . وعلى العبد ان يخضع لرغائب سيده كلها . ويقول الرومان ان العبد لا وحدان له وان الواجب عليه ان يطيع مولاه طاعة عمياء فاذا قاوم او ابق من بيته فالحكومة تعاون سيده على قمع (١) نقام سوق الرقيق في كل مدينة ذات شأن كما نقام سوق للبقر والخيول فيعرض العبد الذي يراد بيعه على دكة وقد نيطت في عنقه بطاقة كتبت فيها سنه وصفاته وعبوبه

جماحه او القبض عليه وكل من يؤوي عبداً آبقاً تجري عليه احكام اللصوص كأنه سرق بقرة او حصاناً لغيره .

والعبيد في المملكة الرومانية اكثر من الاحرار ويملك اغنياء الوطنيين من عشرة الى عشرين الف عبد وعند بعضهم منهم من يكفون اتجنيد جيش كامل . وكان لسيليوس ايزدوروس احد قدماء العبيد زهاء اربعة آلاف عبد وكان عند هوراس سبعة ابيد وكان يشكو من فقره . ومن علائم الفقر في رومية ان لا يملك المرء سوى ثلاثة ابيد . واذ كان العبيد يعملون اسقى الاعمال او يسترسلون في البطالة مكرهين وهم ابداء عرضة للضرب بالسياط والتعذيب اصبحوا بحسب وطهرهم اما متوحشين اغبياء او اندالاً مستعبدين ومن كان منهم على شيء من التهامية ينحرون وغيرهم يعميتون كالآلة السماء . وكان السج كاتون كثيراً ما يقول : على العبد دائماً ان يعمل او ينام . ومعظم العبيد يفقدون الاحساس والشرف ولذلك كانوا يقولون هذا عمل عبيد يريدون به انه دنيء رذل

الحياة السياسية

الحكام — ينتخب الشعب كل سنة رجالاً يتولون امره ويفوض اليهم السلطة المطلقة و يطلق عليهم اسم الحكام « اي ولاية الامر » فيسير امامهم حملة الفؤوس يحملون حزمة من القضبان وفأساً . ومعنى هذا الرمر ان للحاكم ان يضرب ويقتل على ما يراه مناسباً ومن حق الحاكم ايضاً ان يرأس مجلسي الامة والتيوخ وان يكون له محل في المحكمة ويقود الجيوش وهو السيد المسود في كل مكان فيجمع المجلس ويفضه بحسب ما يرى ويصدر الاحكام برأيه وحده .

وفي زمن الحرب يفعل ما يتشاء بالجند ويقنلهم دون الرجوع الى رأي ضباطهم . وقد كان مافليوس القائد الروماني في احدى الحروب التي أعلنت على اللاتين حظر على الحنود الخروج من المعسكر فدعا احد المقاتلين من جيش العدو انه الى المبارزة فخرج لبرازه وقتله فلم يعتم مافليوس ان قبض على ابنه واعدمه في الحال .

وللحاكم بحسب التعبير الروماني سلطة ملك ولكن هذه السلطة قصيرة موزعة وذلك لانه لا ينتخب الا لسنة واحدة وله رصفاء لم مثل سلطته في رومية قنصلان او حاكمان يتوليان امر الامة وقيادة الجيش وفيها عدة قضاة يتولون الحكم او القيادة بالنيابة ويصدرون الاحكام وهناك كثير من الحكام ومراقبان واربعة نظار للابنية والملاعب للنظر في الطرق العامة والاسواق وعشرة محامين عن حقوق السوق وصيارفة يتولون النظر في خزائن المملكة الاحصاء — ارقى الحكام هما الوكيلان المسيطران وهما مكلفان كل خمس سنين

بنظيم احصاء للشعب الروماني فيتمثل امام المكافين باحصاء جميع ابناء البلاد ليذكر ولها وهم يقسمون الايمانات — اسماءهم وعدد اولادهم وعبيدهم ومقدار ثروتهم يقيد كل ذلك في سجلات خاصة . والقائمون باحصاء الامة هما اللذان يكتبان قائمة باسماء اعضاء مجلس الشيوخ والفرسان والوطنيين ويحددان لكل واحد مقامه في المدينة ثم هما مكلفان ايضاً بان يحضرا احتفال الثريا وهي حفلة عظمى تقام للتزكية كل خمس سنين فيجتمع ذاك اليوم عامة الوطنيين في ساحة المريح اجتماعهم في حرب ويطوفون ثلاث مرات حول المجلس يحملون ثلاث صحايا لتكبر عن السيئات وهي عبارة عن تور ونجعة وخزير يحرقونها ويرشون المجلس بدمها وبذلك تصبح المدينة مزكاة مطهرة وسلماء مع الارباب .

وللقائمين بالاحصاء الحق ان يقيدا وان يجعلوا كل انسان في المنزلة التي يريانها ولها ان يجردا احد الشيوخ باسقاطه من قائمة مجلس الشيوخ وان لا يحسبوا احد الفرسان في جملة اهل طبقته او يحرموا احد الوطنيين بان يحذفوا اسمه من سجلات القبائل . ويسهل عليهما عقاب من يرغم مجرمين ويتجاوزان عن السيئات التي لا تقدر بمنطوق القانون . ولطالما رأوها يجردان والوطنيين لانهم لم يحسنوا التوفر على حقوقهم ولصرفهم كثيراً على خدمتهم وتجنوا احد الشيوخ لانه كان يملك عشرين ليبرات من الاواني الفضية واحر لانه اهمل تعهد قبور اجداده . وغيره لانه طلق زوجته . هذه السلطة المفترضة هي ما يطلق الرومان عليه « حكومة الاخلاق » فوكيلا الاحصاء هما سيدا المدينة على الجملة .

حاسة مجلس الشيوخ — يتألف مجلس الشيوخ من نحو ثلثمائة رجل يعينهم وكيل الاحصاء الا ان هذا لا ينصبهم كيفما انفق فلا ينتخب من ابناء البلاد الا الاعنياء اصحاب المكنة وسلالة الاسرات الكبرى ومعظمهم من قدماء الحكام ويختار على الاعلى دائماً اناساً كانوا في المجلس من قبل بحيث ان عصو مجلس الشيوخ يبق في هذا المنصب طول حياته . مجلس الشيوخ هو محل اجتماع اهم رجال رومية ولذلك كانت لهم سلطة وسطوة

فاذا حدث امر يجمع احد الحكام اعضاء الشيوخ في احد المعابد ويعرض عليهم المسألة ثم يسألهم رأيهم فيها فيجيبه كل واحد بمفرده مراعين في ذلك مراتبهم في الشرف وهذا ما يدعى اخذ رأي مجلس الشيوخ ويسطر الحاكم بعد ذلك رأي الاكثرية وهذا ما يسمونه مرسوم ديوان الاعيان او الشيوخ ويكون قرارهم عبارة عن رأي لان ليس من حق مجلس الشيوخ ان يقن القوانين . بيد ان رومية تعمل بهذا الرأي عملها بأمر مفروض . وللشعب ثقة بشيوخه لعله بانهم اكثر خبرة منه ولا يجزأ الحكم على مقاومة مجلس مؤلف من اكفاء يساوونهم في الشرف . ولذلك كان المجلس يفض جميع المسائل فيقرر الحرب ويعين

عدد الحيوش ويقبل السفراء ويعقد السلم ويفرض الدخل والخرج فيصدق الشعب على قراراتهم والحكام ينفذونها . وفي سنة ٢٠٠ قرر مجلس الشيوخ اعلان الحرب على ملك مكدونية فاجس الشعب خيفة ولم يوافق على ذلك فصدر امر مجلس الشيوخ بجمع المجمع من جديد وان يلقي عليهم خطاب يكون ابلغ في اقناعهم من الخطاب الاول وعندها لم يسمع الشعب الا الموافقة . وبذلك رأيت ان الشعب في رومية كان يحكم كما يحكم الملك في انكترا ولكن كان الحكم لمجلس الشيوخ

المجالس والانتخابات — تسمى حكومة رومية « الجمهورية » اي متاع الشعب وجماعة الوطنيين المدعو بين شعماً كأنهم سادة مسنقلون في المملكة فمنهم الذين ينتخبون الحكام ويوافقون على الحرب والسلام ويسنون الترائع ويقول الفقهاء ان القانون هو ما امر به الشعب والشعب في رومية كما في آتينة لا يعين نوابا وعليه ان يوافق على كل شيء نفسه حتى ان حكومة رومية بعد ان قبلت في المدينة زهاء خمسمائة الف رجل كانوا مشنتين في اطراف ايطاليا كلها اضطر الوطنيون للحصول على حقوقهم ان يحضروا بالدات الى رومية .

ويجتمع الشعب في الساحة ويسمى المجلس « المجتمعات » يدعو الحاكم الى الالتئام برياسته وكثيراً ما يدعى الوطنيون الى الاحتجاج بصوت البوق فيذهبون الى ميدان العمل (ساحة المريح) يصطفون فرقاً تظلمهم اعلامهم وعندها يتألف منهم مجتمعات ذات فرق وكثيراً ما يجتمعون في ساحة السوق « الفوروم » منقسمين الى ٣٥ جماعة يسمونها القبائل فتدخل كل قبيلة في نواتها الى مكان مسور بسدود لتوافق على ما تقرره وتسمى المجتمعات بحسب القبائل . والحاكم الذي جمع المجلس يبين له المسألة التي يجب عليه الموافقة عليها ومتى فعل ينفذ . فمن تم كان الشعب حاكماً ولكنه اعتاد الخضوع لرعائه .

والمجلس ايضاً هو الذي يختار كل سنة الحكام فينتخب بحسب الفرق جميع الحكام الذين كان انتخابهم الشعب قديماً مثل القضاة وكلاء الاحصاء ونظار الابنية والملاعب . ومجلس القبائل ينتخب حكام اهل الطبقة المتوسطة ومحامي الشعب ونظار ابنية الشعب . وقد ضاقت ساحة الفوروم منذ القرن الثاني فاخذت تجتمع جميع مجالس الانتخابات في ساحة المريح فنقسم الرحبة بحواجز ذات مرايض صغيرة تلقب بحدائق الغنم فنقطع كل قبيلة الى احدى تلك الرحاب وتلاحظ كل قبيلة اكثرية الوطنيين في التصويت اذ ليس لكل قبيلة غير صوت واحد .

سلك المناصب — ليس تولي الحكم او المشيخة عن الامة في رومية صناعة من الصناعات فان الحكام والشيوخ يصرفون وقتهم ومالهم دون ان ينالوا اجراً فمنصب الحكم في رومية

يعدّ من دواعي الشرف فلا يتطالّ اليه غير الاشراف او الفرسان على الاقل على شرط ان يكونوا اعياء ثم لا يطمع امرؤ ان يبلغ ارقى مناصب الحكم الا بعد ان ينقلب في المناصب الاخرى ومن اراد يوماً ان يحكم على رومية يجب عليه أولاً ان نكون له في الجيش عشر وقائع وحملات وبعدها يسوع له ان ينتخب صرافاً فيعهد اليه النظر في احدى خزائن المملكة . ثم يصير ناظرًا للابنية والملاعب فينظر في امور الشرطة والبياعات وبعد ذلك ينتخب قاضياً ليجري احكام العدل وعقيب ذلك يصبح قنصلاً فيقود جيّشاً ويرأس المجالس وعندئذ تحدّثه نفسه بان يكون وكيل احصاء وهذه هي الدرجة التي دونها في العلوكل درجة لا يبلغها المرء قبل ان يبلغ الخمسين من العمر . فترى بهذا ان رجلاً واحداً يكون مالياً وادارياً وقاضياً وقائداً وحاكماً قبل ان يتولى وظيفة وكيل الاحصاء الغربية وهي عبارة عن تنظيم المجتمع وتسمى سلسلة هذه الوظائف سلك المناصب ولا تدوم كل وظيفة من هذه الوظائف الا سنة واحدة وللارنقاء للوظيفة التالية يقضي انتخاب جديد . ويجب على الموظف في خلال السنة التي نتقدم انتخابه ان يظهر في الشوارع بلا انقطاع ويسير كما يقول الرومان او يطمع في امتياز المنصب وان يلتمس اصوات الشعب والعادة في خلال هذه المدة ان يلبس حلة بيضاء وهذا معنى مرشح باللغات الافرنجية اي المكتسي بالبياض .

ادارة الولايات

الشعوب الخاضعة — ما انقضى القرن الاول قبل المسيح الا وقد اخضعت رومية . عامة الاقطار الواقعة حول البحر الرومي منذ اسبانيا الى آسيا الصغرى ولم تضاف هذه البلاد الى المملكة الرومانية ولم يصبح سكانها وطنيين رومانيين ولم تغد ارضهم ارضاً رومانية بل ظلوا غرباء وانصموا فقط الى هذه المملكة اي اهم اصبحوا تحت استيلاء الشعب الروماني كما ان الهنود اليوم ليسوا وطنيين انكليزاً بل هم رعايا انكلترا والهند جزء لا من انكلترا بل من المملكة الانكليزية فقط

فلا يصبح سكان البلاد المملوكة وطنيين في رومية بل يبقون غرباء اجانب ولكنهم رعايا الشعب الروماني يؤدون اليهم الجزية وعشر غلاتهم واثابة من المال ورسمًا على كل رأس وعليهم ان يخضعوا لجماع ما يأمر ونهيه به واذ ليس في استطاعة الشعب ان يحكم بالذات ليعت محكام يندبهم لان يحكموا عنه وكل بلد خاضع لوال كان يسمى ولاية ومعناها «المهمة» كان في اواخر عهد الجمهورية (في سنة ٤٦) ١٧ ولاية منها عشر في اوروبا وخمس في آسيا وتنتان في افريقية ومعظمها مننائية الاطراف جداً فلم تكن بلاد الغال كلها سوى اربع ولايات واسبانيا ولايتين . قال شيشرون ان الولايات املاك الشعب الروماني فاذا اخضع

هذه الشعوب بأسرها فذلك طمعاً في فائدتها لا لاجل منفعتها ولذلك لا يتوحي ان يدير تلك الولايات بل يحرص على استئثارها .

الولاية — يتخذ الشعب حاكماً لإدارة كل ولاية وهو اما ان يكون قنصلاً او قاضياً حرج من الوظيفة فيطيل امد سلطته وائس هذا الموظف الكبير قنصلاً بل هو وال ينرب عن القنصل والوالي كما للقنصل سلطة مطلقة يسير فيها على هواه لانه وحيد في ولايته (١) وليس لديه حكام آخرون ينازعونه السلطة ولا محامون عن الطبقة الوسطى ليصدوه عما يريد ولا مجلس شيوخ يسيطر على اعماله فهو وحده يقود الحیوش ويحملهم على القتال ويرل بهم حيثما يشاء فيتخذ له مقاماً في محكمته حاكماً الغرامة والسجن والموت ويصدر اوامر تكون قانوناً متبعاً وله وحده السلطة المالية لان فيه يتجسد الشعب الروماني

وكان هذا الحاكم الذي لا يقاوم مقاوم مستمداً حقيقياً يقبض على من يريد ويحبس و يضرب بالعصي و يعدم من لا تروقه حالتهم واليك مالا من ألوف الامثلة التي كان الحكام يجرون فيها مع الهوى كما رواه احد خطباء الرومان قال . « جاء القنصل مؤحراً الى تيانوم فخطر لامرأته ان تلد بالاستحمام في حمامات الرجال فاحرج من الحمام الرجال الذين كانوا يستحمون فيه فتكت المرأة من انطائهم وقلة استعداد الحمام فنصب القنصل عموداً في الساحة العامة واحصر اشهر رجل في المدينة يجعله عليه فخر من يباهه وضرب بالعصي » والوالي يأخذ من ولايته ما يستطيع من المال وينظر اليها كأها ملك له ولا تعوزه الوسائط لاستئثارها بل يمد يديه الى حرائن المدن ويرع التايل والحلي الموصوعة في المعابد ويحجي من السكان الاعياء اتاوات من المال او البر . واد كان له الحق ان يرل حدوده حيث اراد فالمدن تقدم له المال لتعفى من قبول حدوده واد كان في حل من ان يعدم كل من يتراءى له فالافراد يعطونه المال ليأمنوا عائلته . واد اطلب شيئاً بعيداً او مبلغاً من المال يجاب في الحال الى ما طلب ولا يجراً امروء ان يأبى عليه طلبه واتباعه يسرون على مثاله وينهبون باسمه بل بحمايته ويسرع الوالي في جمع المال اد الواجب عليه ان يعتني في سنة وبعدها يعود الى رومية ويحمله آخر يعود بمنل ما بدأ فيه سلفه .

على ان هناك قانوناً يحظر على كل وال ان يقبل هدية ومحكمة مخصوصة (منذ سنة ١٦٩) تنظر في دعاوي الاحتلاس . بيد ان هذه المحكمة تؤلف من طبقة الاشراف والفرسان الرومانيين فلا يرون ان يحكموا على ابن بلدهم والعاقبة المهمة في هذه الطريقة كما قال شيترون

(١) كانت تبقى رومية في بلاد الشرق بعض اقبال اي ملوك صغار مثل الملك هيرو في بلاد اليهودية ولكنهم يؤدون الجربة ويخضعون للحاكم او الوالي الروماني .

ان يضطر الوالي الى اخط يده في السلب من ولايته ليتسنى له ان يرشي الخلفين في المحكمة ولا ينبغي العجب اذا رأينا اسم الوالي مرادفاً لاسم مستبد ومن اشهر هؤلاء اللصوص فيريس والي صقلية وقاضيا وقد حطب في بيان اعماله الخطيب سيثرون لاسباب سياسية خطباً اشهر بهاد من المحتمل ان كثيرين مثله قد اتوا ما اتاه .

العشارون — كان للشعب الروماني في كل ولاية مواد مهمة من الجمارك والمناجم والصرائب والحقول الحقة لزرع الحنطة والمراعي يؤجرونها من شركات متعهدين يسمونهم العشارين فكان هؤلاء مثل المزارعين العموميين في فرنسا قديماً يتناعون من الحكومة حق جباية الحراج ويجب على سكان الولايات أن يطيعوهم كأنهم وعود الشعب الروماني وكان في كل ولاية عدة شركات من العشارين ولكل شركة مستخدمون من الكتاب والحباة يظهرون في مطهر السادة ويأكلون أكثر مما يجب لهم أخذه ويسلبون نعمة الاهلين وكثيراً ما يبيعونهم كما يباع الرقيق وكانوا يأخذون في آسيا حتى السكان بدون سبب ولما طلب ماريوس من ملك بيشنيا ان يقدم له جنداً أجابه المالك ان العشارين لم يبقوا عنده من الرعايا عبر النساء والاطفال والشيوخ وقد عرف الرومان هذه المظالم حق معرفتها وكتب الخطيب سيثرون الى ابيه وكان هذا حاكماً اذ ذاك . « ادا وفقت الى طريقة ترصي بها العشارين دون ان تهلك سكان الولايات فتكون قد رزقت مهارة رب » بيد ان العشارين كانوا قضاة في محاكمهم حتى ان الولاة انهم حاضعون لهم . وقد اراد سكاروس والي آسيا المشهور بالافراط في العفة ان يمنع العشارين من اطلال اليد الاذى في ولايته فلما عاد الى رومية رفعوا عليه شكوى وحكموا عليه

ولطالما اتار العشارون سيجط سكان الشرق الخاضعين الساكنين فقد ذبحوا بامر ميتيريداس في ليلة واحدة مئة الف روماني وبعد ثرن اي على عهد المسيح كان اسم عشار مردافاً لاسم لص .

الصارف — جمع الرومان في بلادهم تروة الامم المغلوبة ولذلك كانت الدراهم كثيرة جداً في رومية ونادرة جداً في الولايات فكان في رومية يمكن الاقتراض بفائدة اربعة او خمسة في المئة اما في الولايات فلا يجد المستدين مالاً يقرضه باقل من انبي عشر في المئة . وكان الصارفة الرومان يقرضون مالا من رومية ويقرضونه للولايات ولا سيما باسم الملوك او المدن

واذا لم يستطع المستدين ان يوفي رأس المال و رباة يعتمد الصارفة في نقاضي اموالهم الى الطرق التي يستعملها العشارون فقد اقترضت مدن آسيا سنة ٨٤ على نية ان تدفع مبالغاً

كبيراً لتستعين به على الحرب فبعد اربع عشرة سنة فقط اي في سنة ٧٠ صار المبلغ نفوانده ستة اضعاف ما كان فاضطر الصيارفة مدن آسيا ان تبيع حتى التحف والطرف وقد شوهد انون يبيعان اناءهما وبناتهما . وبعد بضع سنين افرض برونوس من حكام الرواقيين ومن اشهر رجال عصره من الرومان واعلاهم كميّاً ومكانة لمدينة سلامينة في قبرص مبالغاً من المال نفائدة ٤٨ في المئة (اي ٤ في المئة كل شهر) فلما طالب وكيله سكاتيوس بالمال مع فائضه تعذر على المدينة ان تؤدى اليه مطلوبه فقصّد سكاتيوس الوالي ايبوس فاصحبه هذا بفرقة من الفرسان فجاء الى سلامينة وحاصر مجلس شيوخها وكان اعضاؤه في قاعة الخلسات فمات خمسة منهم جوعاً

رعايا رومية — كان سكان الولايات لا حول لهم ولا طول مع هؤلاء الظالمين بأسرهم وذلك لان الولاة كانوا يماثلون العشارين والصيارفة على رغائبهم ويأخذون بأيديهم في كل ما يطلبونه ووراء الوالي الخيس والتعيب الروماني يعصده فكان يسمح للوطي الروماني ان يتسكى السلايين في الولايات ولكن لا يمس الوالي بأذى ولا تتأذى شكايته الا مرة واحدة عند ما يخرج من الخدمة فيصدر عليه الرعايا يسلبهم ويعتدي كما يشاء ريثما تنقضي مدته واذا اتهم عند عودته الى رومية فتكون محاكمته امام محكمة مؤلفة من الاشراف والعشارين ممن تكون مصالحهم في معاضدته لاني احقاق الحق ورفع ظلامه اهل الولاية التي كان فيها واذا صادف ان حكمت عليه المحكمة يستعيز عن الحكم بالنفي فيذهب الى احدى مدن ايطاليا يتمتع بما فيه ايام ولايته وهذا القصاص لا يوازي ما اتاه الله ولا يعد انتقاماً ولذلك كنت ترى سكان الولايات يؤثرون ان يقيموا ولاتهم بصوعهم لهم فيعاملوهم كما يعاملون الملوك وينافقوهم ويهادونهم ويقيمون لهم التماثيل وربما نصبوا للوالي في آسيا هياكل (١) وبنوا لهم المعابد وعبدوهم كما يعبد الرب

ولئن عامل الشعب الروماني رعاياه بقسوة فلم يكن بأذى عليهم الاضمام اليه كما كان شأن المدن اليونانية بل ان الغرب يصبح وطنياً رومانياً ارادة الشعب الروماني والشعب يمنح هذه العاطفة احياناً وكثيراً ما يمنحها الى شعب برمته فمنح حق الوطنية الرومانية الى اللاتين اولاً في سنة ٨٩ ومنح هذا الحق للطلينان في سنة ٤٦ ومنحه لاهل االيا فاصبح سكان ايطاليا والرومانيين سواء حتى ان العبد الذي يعتقه سيده يسوع له ان يكون وطنياً في الحال . وكما عرضت للشعب الروماني عوارض الضعف ونقص في النفس يريد عده

(١) ذكر شيشرون الخطيب الروماني المعابد التي اقامها له سكان سيسليا التي كانت والياً عليها .

برعايا جدد وعبيد جدد فكان عدد الوطنيين يريد في كل احصاء ولا ينقص فبلغ عددهم في قرنين من ٢٥٠ ألفاً الى ٧٠٠ ألف . وهكذا ظلت رومية عاصمة بالسكان ولم تحل منهم كما حلت اسبارطة بل كانت تمتلئ بالقادمين اليها من المملوكين على التدرج .

قانون الاراضي

الا املاك العامة — متى طلب شعب بلننه رومية على امره ان يعقد معها الصلح يجب على نوابه ان يلفطوا بالجملة الآتية « نخلى لكم عن الشعب والمدينة واخقول والمياه وتمانيل الارباب الحامية للحدود والالات وجميع ما يملكه الارباب والناس قد جعلناه بيد الشعب الروماني » وهذا التسجيل تصبح الامة الرومانية مالكة لما يملكه المملوكون لهم ناسره بل مالكة حتى لا يتخاصمهم . وكثيراً ما يبيعون السكان وقد اباع بولس اميل مئة وحمسين الفا من اهل ابير على هذه الصورة كانوا استسلموا اليه . ومن العادة ان تمنح رومية لمن تغلب عليهم حريتهم وان بقي املاكهم ملكاً للشعب الروماني يجعلونها ثلاث حصص متساوية . فيعطى للاهالي قسم من اراضيهم على ان يدفعوا شيئاً معلوماً من المال او الحبوب عنها وتحفظ رومية لنفسها الحق ان تأخذ منها كما تشاء . وتؤجر الحقول والمراعي الى اناس من الملتزمين وتترك الاراضي البائرة شاغرة بأخذها من يريد ويحق لكل وطني روماني ان يقيم فيها ويررعها .

قوانين العقارات — شملت قوانين الاراضي التي احتلها نظام رومية الاملاك العامة وما كان لاحد الرومان ان يحظر في ناله ربع الاملاك من اربابها لان حدود تلك الاملاك نفسها كانت ارباباً يدعوها آلهة التخوم والدين يمنع من نزعها . الا ان الشعب كان يستولي بموجب قانون الاراضي على اراض من الاملاك العامة فقط يوزعها بصفة ملك على مواطنيه وللشعب من حيث الشرع الحق في ذلك لان الاراضي كلها ملكة الا ان الرومانيين تسامحوا قروناً بان تركوا اناساً من رعاياهم او ابناء وطنهم يتمتعون بغلات تلك الاراضي وقد انتهت بهم الحال ان صاروا ينظرون الى تلك الاراضي كأنها ملكهم يحبسونها وبيعونها ويتاعونها ولو أحدث منهم اقضي على جمهور عظيم من الامة بالافلاس في الحال . وقد حدث في ايطاليا خاصة ان يرع من اهل مدينة ناسرها جميع ما يملكون . هكذا ربع اغسطس جميع اراضي مانتو من سكانها وكان الشاعر ورجيل في جملة المنكوبين فوصل بفضل شعره الى ان تعاد له املاكه ولكن سائر الشعب الذي لم يكن شاعراً كفرجيل بقي مسلوباً من املاكه . وتوزع هذه الاراضي المأخوذة على تلك الصفة احياناً على اناس من فقراء الوطنيين في رومية وفي الاعلب على جماعة من قدماء الجند وقد وزع سيملا اراضي اهل ابير وريبا على ٢٠ ألفاً من قدماء الاجناد .

الاخوان الاشتراكيان — كان الشقيقتان تيربوس وكابوس غراشوس من اشرف أسرات رومية ولكن حاول احدهما بعد الآخر وقد تولى زعامة السوق ان يبرع الحكومة من يد الاشراف الذين يتألف منهم مجلس الشيوخ .

وكان في ذاك العهد في رومية بل في ايطاليا جمهور كبير من الوطنيين لا سبد لهم ولا لبد يطمحون الى احداث ثورة ومنهم الاغنياء ومعظمهم من طبقة الفرسان الذين يتكبن من حرمانهم من الحكومة . فعرض تيربوس غراشوس نفسه على ان يتولى الدفاع عن العامة وسعى الى توطيد سلطته هذه وكان في قلق مما يراه في بلاد الاريا في ايطاليا من اقامة الرعاة العبيد يحلفون قدماء اصحاب الاملاك الملاحين ومن رؤية رومية غاصة اناس من الوطنيين لا يملكون فتيلاً ولا نقيراً

قال مرة في خطاب له يحاطب به العامة : « للوحوش البرية في ايطاليا معاور تأوي اليها والرجال الذين يهريقون دماءهم في الدفاع عن بيضة ايطاليا ليس لهم الا النور والهواء الذي يستنشقهونهم يهيمون على وحوهم مع ارواجهم وانائهم لا بيوت تؤويهم ولا منازل يسكنونها . الا وان القواد الذين يحرضونهم على الدفاع عن مدافعهم ومعابدهم ليكذبون في اقوالهم . وليت شعري هل ملك واحد منهم حتى الآن مذبحاً مقدساً في بيته ومدفناً يضم رفات اجداده . يدعونهم سادة الارض وهم لا يملكون مدرة منها »

فاقترح على الشعب . ن قانون للاراضي وذلك بان تأخذ الحكومة من الافراد جميع الاراضي التي هي من المنافع العامة فتضع يديها عليها ويترك لكل فرد منهم خمسة فدان . يوزع الباقي من الاراضي حصصاً صغيرة على فقراء الوطنيين فوافق المجلس على هذا القانون فحدث ذلك اضطراب عام في نظام التروات لان معظم اراضي المملكة على التقريب كانت من الاملاك العامة ولكن وضع الواضعون ايديهم عليها واعتادوا ان يعتبروا انفسهم مالكيها . على انه كان كثيراً ما يصعب التمييز بين الملك الخاص والملك العام اد لم يكن للرومانيين سجلات للاراضي .

فاقام تيربوس ثلاثة مفوضين عهد اليهم قسمة الاراضي كما ان الشعب أعطاهم سلطة مطلقة . وكان هؤلاء المفوضون هم تيربوس نفسه وأخوه وعمه . فقام حصوم تيربوس يتهمونه بانه سن قانون الاراضي ليتخذ من ذلك حجة لتكون له بها السلطة . ثمضت سنة وهو الذي المتحكم في رومية ولكنه لما أراد ان ينتخب محامياً من العامة عن السنة التالية اقام أعداؤه الحجة (وهذا كان منافياً للعادات المتبعة) فمضت من ذلك فتنة انتهت

بأستيلاء تيبريوس وأصحابه على معبد الكابitol فنهض أنصار مجلس الشيوخ وعبيدهم مسلحين بالدبابيس وخشب المقاعد وطاردوا تيبريوس واتباعه وضربوه (١٣٣) و بعد عشر سنين انتخب كايوس أصغر الاخوين غراشوس محامياً عن الشعب (١٢٥) و جدد التصديق على قانون الاراضي وقرر توزيع حنطة على فقراء الوطنيين وقرر ان يجري انتخاب القضاة من طبقة الفرسان ليتوصل بذلك الى هدم سلطة الاشراف فكانت كلمته هي العليا مدة حولين كاملين ولكنه لما قصد قرطاجنة ليسكن فيها جماعة من الطواريء (المستعمرين) الوطنيين تخلى الشعب عنه مدة غيابه حتى اذا عاد لم يتيسر له ان يعاد انتخابه اذ كان اعداؤه اعتموا تلك الفرصة للتخلص منه وعندها أمر الحاكم بتسليم أشياع مجلس الشيوخ وزحف على كايوس وأحبابه وكانوا اعتمصوا في جبل افنتين فقتل كايوس بيد احد العبيد وذبح اشياعه أو اعدموا في السجون ونقضوا بيوتهم من أسسها وصادروا املاكهم (١٢١)

ماريوس وسيللا

لم يكن النزاع بين الشقيقين غراشوس ومجلس الشيوخ الا عبارة عن هرج في شوارع رومية ينتهي بفتنة نشأ بين العصابات المسلحة على عجل اما المتن التي حدثت بعد فكانت حروباً حقيقية بين جيوش منظمة وكان رؤساء الاحزاب من القواد الحروب المدنية - ليس الشعب الروماني سوى مجموع فقراء لا عمل لهم وما الجيش الا حفنة من المتشردين نزاع الآفاق فلا المجلس ولا الكتائب خاضعة لمجلس الشيوخ لان الاشراف الفاسدين فقدوا كل سلطة اديتة فلم يبق ثمة سوى قوة حقيقية واحدة ونعني بها الجيش ولم يبق سطوة الا للقواد وقد أبى القواد ان يخضعوا فتعذر الحكم بواسطة مجلس الشيوخ حتى أصبح بيد القائد . وغدت الثورة لامناص منها ولكنها لم تنشأ دفعة واحدة بل تحمرت زهاء مئة سنة وكان مجلس الشيوخ يقاوم وقد امسى من الضعف بحيث لا يتيسر له ان يجري الاحكام بذاته على انه مازال على شيء من القوة تحول دون غيره من القبض على قياد الامة والقواد يتنازعون بينهم فيمن يكون السيد المتحكم وهكذا قضى الرومانيون قرناً يخبطون في الفتن والحروب المدنية

ماريوس - كان اصل ماريوس القائد الاول الذي جعل جيشه تحت أمره في رومية من ارينوم وهي مدينة جبلية صغيرة ولم يكن من سلالة شريفة واشتهر بانه ضابط وانتخب محامياً عن العامة ثم قاضياً بمساعدة الاشراف له . ثم انتخب عليهم وانتخب قنصلاً وعهدت اليه محاربة جو كورتا ملك النوميديين الذي بدد شمل عدة جيوش رومانية

وعندها جند ماريوس جماعة من فقراء الوطنيين ممن أصبحت الخدمة العسكرية صناعتهم فتغلب ماريوس بجيشه على جوكورتا واهلك الشعوب البربرية كالسمريين والتوتون ممن اغاروا على غاليا وايطاليا الشمالية . واذ لم يكن للشعب ثقة في غيره اقيادة الجيش انتخبه قنصلًا ست مرات متوالية خلافاً للقوانين المتبعة

عاد الى رومية بعد هذه الانتصارات فاصبح مطلق اليد في الحكومة وعندئذ تألف في تلك العاصمة حزبان دعيا انفسهما باسم حزب الشعب (وهو حزب ماريوس) وحزب الاشراف (وهو حزب مجلس الشيوخ)

الحرب الاجتماعية - ارتكب اشياح ماريوس من الفظائع ما انتهى بتلويث شهرته بين الناس فاغتنم أحد الاشراف من أسرة كورنيوليوس الكبيرة واسمه سيللا هذه الفرصة لينازعه السلطة وكان هو أيضاً من جملة القواد . وفي خلال ذلك استشاط الطليان غيظاً من قيامهم بثقل مايقوم به الرومانيون من التكاليف دون ان يكون لهم مثل امتيازاتهم وندعوا الى مقاومته لينالوا حقوقهم المدنية وهذا مادعوه بالحرب الاجتماعية أي حرب مقاومة المتحالفين فيجيشوا جيوشاً كبيرة تقدم احداها على مقررة من رومية وكان سيللا هو الذي انقذ رومية بقتاله الطليان أشد قتال . وبعد حرب دامت سنتين (٩١ - ٨٩) خضع الطليان بيد انهم نالوا ماطلبوه وعدوا وطنيين رومانيين

سيللا - طارت شهرة سيللا في هذه الحرب فنصب قنصلاً وعهد اليه ان يزحف على ملك بحر الحزميتريداتس الذي اعار على آسيا الصغرى وذبح فيها الرومانيين عن بكرة ابهم (٨٨) فحمل الحسد ماريوس على ان يتيرفتة في رومية فخرج سيللا للالتحاق بجيشه الذي كان ينظره في ايطاليا الجنوبية وعاد معه وكان الدين الروماني يحظر على الجنود الدخول الى المدينة وعليهم اسلحتهم وعلى الحاكم نفسه قبل ان يحتاز الباب ان يخلع عنه رداء الحرب ويلبس الحلة الرومانية فكان سيللا القائد الاول الذي حسر على خرق سياج هذا المنع ودخل الى رومية فانهزم ماريوس امامه .

ولما وصل سيللا الى آسيا عاد ماريوس في جيش له من المتشردين ودخل رومية بالقوة (٨٧) وعندئذ بدىء بقتل المعتدين قبل محاكمتهم وجعل خاصة اشياح سيللا تحت الاحكام العرفية بل صدرت اوامر الحكومة ان يقتلوا حيثما وجدوا وصودرت اموالهم ومات ماريوس بعد بضعة اشهر وظل سيناهم انتصاره يجري احكامه في رومية ويقتل كل من لا تروقه حالته وكان سيللا في خلال هذه المدة قد تغلب على ميتريداتس وضمن اخلاص جنده له بان اباح لهم نهب آسيا على ما يشاءون . وقد عاد (٨٣) في جيشه الى ايطاليا

فبعث عليه خصومه بخمسة حيوش فانهزم بعضها وانحاز الآخر اليه ثم دخل سيللا الى رومية وذبح الاسرى وحنق انصار ماريوس .

الاحكام العرفية — بعد ان مضت بضعة ايام في المذابح شرع سيللا ينفذ الاحكام العسكرية على الاصول وعلق ثلاث قوائم باسماء من يريداهلا بهم قال : « اعلنت اسماء جميع من ذكرتهم وقد نسيت كثير امهم وسأعلن اسماءهم كلما حطروا في بالي » وكل من علق اسمه في قائمة المحكوم عليهم كان معداً للقتل ومن اتى برأسه ينال مكافأة وتصادر اموال القاتل وكان يقتل الواحد بدون محاكمة بل تخرد هوى القائد وبدون ان ينذر بالقتل . وعلى هذا الوجه لم يكتف سيللا بذبح اعدائه فقط بل قتل الاعنياء الذين كان يطمع في ثروتهم و يروى ان احد الوطنيين البعيدين عن السياسة بطر وهو مار الى قائمة المحكوم عليهم بالقتل فرأى اسمه مسطوراً في اول القائمة فهتف قائلاً : « ما اتعني فقد قتلي بقي في آل » و يقال ان سيللا قتل الما وثمانمائة الف فارس .

قوانين سيللا — بعد ان تحلص سيللا من خصومه حاول ان ينظم حكومة تكون السكينة فيها لمجلس الشيوخ . فعيّنه حاكماً مطلقاً (ديكتاتور) ويطلق هذا اللقب قديماً على القواد في ايام التده والخطر ممن تكون لهم السلطة المطابقة واستخدم سيللا هذه السلطة ليسن قوانين تغير النظام الدستوري القديم وذلك بان يتخ القصة بموجب هذا القانون من مجلس الشيوخ ولا تحري المداخلة في قانون قبل ان يوافق عليه مجلس الشيوخ ولا يحق لمحامي الشعب انه ان يقترحوا شيئاً وبعد هذه الاصلاحات التي خولت مجلس الشيوخ سلطة مطلقة اسنقال سيللا من منصبه واحذ نفسه بالانقطاع الى داره والعيش في العزلة (٧٩) وكان يعرف بانه في مأمن اذ كان له مائة الف من جنوده في ايطاليا .

يومبي

يومبي — عاد مجلس الشيوخ فقبض على السلطة لانه حسن في رأي سيللا ان يعيدها اليه ولكنه لم يكن له من القوة ما يستطيع معه المحافظة على تلك السلطة متى قام احد القواد ينازعه اياها . ودامت حكومة مجلس الشيوخ ايضاً في الظاهر اكثر من ثلاثين سنة وذلك لانه كان ثمة عدة قواد وكل مهم يحول دون حسمه ان يستأثر بالحول والطول . ولما هلك سيللا كان في البلاد اربعة جيوش على قدم الاستعداد انان منها خاضعان لقائدين من انصار مجلس الشيوخ وهما كراسوس ويومبي والآخران بقيادة قائدين حصيين لمجلس الشيوخ وهما لييدوس في ايطاليا وسرتوريوس في اسبانيا . والمأثور انه لم يكن احد سيفي تلك الجيوش على استعداد ونظام وان ليس في اولئك القواد حاكم له الحق بقيادة الجند .

وكان القواد الى ذاك العهد ابدًا من القناصل اما الآن فاصبحوا من الافراد ينضم اليهم الجند لايخدموا الجمهورية الرومانية بل ليغتنوا سلب الاهلين .

ولقد انهزمت جيوش خصوم مجلس الشيوخ وبقى القائدان كراسوس وبومبي وحدهما وانفقا بينهما على الزعامة وجري انتخابهما قنصلين .

سبارتا كوس — تكرر حدوث عصيان العبيد مرات (حروب العبيد) وكان ذلك في الاعلب في جزيرة صقلية وجنوبي ايطاليا حيث كان العبيد يحملون السلاح لحراسة القطعان . وبعد ان ولي الولاية القائدان كراسوس وبومبي بدأت اشهر تلك الحروب وذلك ان عصاة مؤلفة من ٧٠ مزارعاً هربت من كابو ونهبت عربة تحمل اسلحة وانتأت تحمل على البلاد حملاتها تخف العبيد والضموا اليها زراعات زراعات فلم تلبث تلك العصاة ان اصبحت جيشاً . وقد هزم هؤلاء العبيد على الولاء ثلاثة جيوش رومانية ارسلت لتأديبهم وكان سبارتا كوس زعيمهم أسرى في الحرب وهو من اقليم تراسياحيء به الى ايطاليا ليستخدم في الصراع محذره نفسه ان يجتاز بلاد ايطاليا كلها للعود الى تراسيا بلده . بيد ان جيش كراسوس قاوم عصابات سبارتا كوس مؤحراً وكانت تحتلة النظام فقملمها عن آخرها . وبعدها حطرت رومية على العبيد ان يحملوا سلاحاً . ويحكى انه أعدم راع من العبيد لانه قتل حنزيراً برياً بحربة كانت معه .

حروب في الشرق — عهد مجلس الامة لبومبي ان يتولى قيادة الجيوش في حربيين متعاقبتين في الشرق . الاولى (٦٧) كانت مع قرصان البحر في شواطئ آسيا الصغرى وقد عزوا شواطئ ايطاليا ومهبوها والثانية (٦٦) كانت مع ميتريداتس الذي لم يبرح على ما اصابه من الفشل يدافع عن حوزته في اطراف آسيا الصغرى

ولقد عاد بومبي من آسيا في جيش يتفانى في الاخلاص له وكان في بضع سنين السائد المسود في رومية واذ كان ينظر الى الشرف اكبر منه الى السلطة لم يدخل ادنى تعديل في الحكومة . وفي خلال ذلك نال الخطوة من الامة ساب من الاشراف اسمه قيصر فانفق بومبي وكراسوس وقيصر على اقتسام السلطة (٦٠) فانتخب قيصر قنصلاً ثم والياً على غاليا وتولى كراسوس قيادة الجيش الذي ارسل الى آسيا للمحاربة على البارتيين ولقي حتفه سنة ٥٣ وبقي بومبي في رومية .

كاتالينا — بينما كان بومبي يحارب في الشرق حدثت في رومية ازمة كادت تؤدى الى نورة وذلك ان احد الاشراف من قدماء انصار سيللا واسمه كاتالينا كان فقد ثروته لاسترساله في الشهوات فحاول ان يسترجع ماله بالقبض على ازمة الاحكام وكان رجلاً

قوي التسكينة جريء النفس مقداماً لا يتطرق الى قلبه وسواس وله اصدقاء كثيرون من اشراف الشبان المستهترين الفاسقين اخلصوا في حبه اذ كان يقضي معهم اوقات صفائه ويقرضهم مالا ويهديهم حيولاً وكلاب صيد . وله من الانصار قدماء اشباع سيللا وقدماء الجنود الدين اسكنهم سيللا في ايطاليا ممن باعوا اراضيهم واخذوا يبحثون عن مورد يعيشون منه .

فاتفق كاتالينا مع جمهور من هؤلاء الساحطين على ان يذبحوا في آن واحد القنصلين يوم يذهبان معاً الى معبد الكابيتول فلم يفلحوا فيما دبروه لان الخبر تراسى الى القنصلين الا ان كاتالينا احتفظ بانصاره وظل يدس الدسائس وكان اعداء مجلس الشيوخ وربما قيصر ايضاً يمشدون سرّاً فقدم نفسه لستخب قنصلاً فكان حصمه في هذا الانتخاب شيشرون اشهر محام واعظم خطباء الرومان وكان هذا توصل الى ان يتخب حاكماً لان الاسرات السريفة عدت منذ عهد ماريوس لا تسمح الا بانتخاب اناس من الاشراف .

وساعد اشباع مجلس الشيوخ الخطيب شيشرون فخرى انتخابه وسقط كاتالينا الا ان القنصل الآخر رصيف شيشرون وهو الطوبويوس كان ممالئاً مرّاً للمحانقين . فدبر كاتالينا مكيدة كبرى على ان يذبح اصحابه شيشرون واعضاء مجلس الشيوخ في رومية ويحرقوها بينما يكون قدماء اجناد سيللا المقيمين في اتروريا راحقين على رومية . فبلغ الخبر شيشرون فلم يخرج الا في كوكبة من الفرسان محدقة به الا انه لم يكن عنده جيش لقتال قدماء الاجناد الذين شرعوا يتجمعون ويتسلحون والعبيد الدين اخذوا يسلحونهم في كاد فقصى جراً من السنة التي تولى فيها القنصلية وهو في قلق مستمر .

واخيراً رحع واليان يقودان حموداً فتسر شيشرون بقوة تمكسه من الدفاع فاستدعى مجلس الشيوخ ليوافق على قيام القناصل بما فيه سلامة الجمهورية الرومانية وان يعطي القناصل سلطة ليتخذوا عامة الاسباب التي يرونها مناسبة وادخل الجند الى رومية يرايطون في الساحات ودعا مجلس الشيوخ الى الاجتماع ثانية وفي هذه الجلسة الى حضبته الاولى في مقاومة كاتالينا وسأله متعراً اياه بما دبره من المكيدة التي افنضح امرها وانذرته بالانصراف فغادر كاتالينا رومية وذهب للالتحاق بقداماء الاجناد المتمردين في اتروريا وظل اشباعه في المدينة فانفقوا سرّاً مع وفود الالوبروج بان يقدموا لهم فرساناً ثم عبروا آراءهم وافشوا مر المتمردين . فطلب شيشرون خمسة من رؤوس زعماء المؤامرة واضطرم الى الاقرار . تم استفتى مجلس الشيوخ فيما يجب ان يعاملوا به فاجاب بانه يجب اعدامهم ولكن كان احد المجرمين واسمه لانتولوس فاضيا ولا يحق لاحد ان يوقفه الا حاكم له

مقام ارقى من مقامه فذهب شيشرون بذاته لتوقيف المجرمين الخمسة واخذهم الى سجن الكابتول وحنقهم وعاد يقول لمجلس الشيوخ : « لقد عاشوا »

فاعلن كاتالينا الحرب ولم يكن سوى جزء من رجاله يحمل سلاحاً ومعظمهم انفصوا من حوله وزحف عليه جيش بقيادة القنصل انطونيوس آتياً من الجنوب وزحف آخر من الشمال ولم يبق لكاتالينا سوى ثلاثة آلاف رجل حاول بهم الفرار نحو الشمال ورأى جبال انين في وجهه مسدودة فانقض على جيش انطونيوس وهاجمه وقتل مع اصحابه جملة واحدة (٦٣) فقال اذ ذاك شيشرون من مجلس الشيوخ لقب « ابوالوطن » دلالة على انه انقذ رومية من محالب العدو ولكن لما انتهت سنة حكمه لم يعهد له بسلطة

فتح بلاد الغال

دحول قيصر الى غاليا — اتفق قيصر مع بومبي وكراسوس ان يتولى كل منهم القيادة في احدى الولايات العظمى على ان يكون له الحق في ان يحيش جيشاً فوضع كراسوس يده على سورية وبومبي على اسبانيا وقيصر على التلات ولايات المجاورة لغاليا وذلك لمدة خمس سنين . وقد ذهب قيصر لما انقضت سنة حكمه بصفته والياً الى مقر ولايته ايشي فيها جيشاً يكون هو قائده ودخل في الحال في عدة حروب وطلّ عشر سنين بعيداً عن رومية (ولم يدم حكمه اكثر من خمس سنين الى سنة ٥٣ ولكنه جدد دفة ثانية الى سنة ٤٨) وكانت رومية الى ذاك العهد لم تخضع غير حرّ من البلاد التي مر لها التعوب العالية بل لم يكن لها سوى ولايتين عاليتين : غاليا سيرالين وهي مؤلفة من البلاد الواقعة بين جبال انين . الالب (وهي اليوم ايطاليا الشمالية) . والروفاسيا وهي عبارة عن سواطيء البحر المتوسط وبلاد الرون من جبال الالب الى جبال البيريه . وكانت هذه البلاد مع اقليم ايليريا (الجبال الواقعة في شرقي الادرياتيك) هي التلات ولايات التي تولاها قيصر . اما باقي بلاد فرسا الحالية التي دعاها الرومانيون غاليا فكانت مستقلة بعد يسكمها ثلاثة عناصر من الناس . أحدها الغليون وهم يتغلون القسم الاعظم من البلاد اي جميع فرسا الواقعة بين نهر العارون ونهر السين ويصفهم اليونان والرومان بان هؤلاء السكان من الرجال العظام بيض البشرة شقر التعور زرق العيون طوال السبلات يأكلون اللحوم ويسكرون نبيد السرمواز (ضرب من الخمة) او بشراب الايدر ومل وهم أشد شهما بالجرمانيين منهم بالفرسيين اليوم . وكان السواد الاعظم من هذه الامة يعيش شقياً في الاكواخ لاشأن لهم في ادارة شؤون بلادهم يحصعون لكبار ارباب الاملاك الذين يقاتلون راكبين صهوات خيولهم ويدعوهم قيصر بالفرسان ويذكرهم كما يذكر تحاريين شجعاناً للعباة ولا يبعد

ان يكون هؤلاء الفرسان العاليون سميهم الجرمانيين هم من الفاتحين نزلوا وسط شعب اصغر منهم أجساماً اشقر اصبه يشبه الشعب النازل اليوم في البلاد الغربية أي فرنسا وايرلندا وبلاد الغال

والقسم الثاني من تلك العناصر الثلاثة هم البلجيكيون نزلوا البلاد الواقعة في شمالي السين الى نهر الرين وهم يشبهون كما كان يقول الرومان الجرمانيين النازلين في الساطيء الآخر من نهر الرين والظاهر انهم كانوا أقل اختلاطاً بالشعب القديم من الغاليين واحسن الفرسان فيهم كانوا يقاتلون راكبين

والقسم الثالث من تلك العناصر هم الآ كينيون نزلوا في جنوبي نهر الغارون وهم ضئال الاحسام شعبان يشبهون الايريين في اسبانيا ويتكلمون بلغة ايريه ويعتبرون سائر شعوب غاليا كأنهم غرباء هؤلاء حضعو اقيصر اول الامر وبعد فلم يكن العاليون والبلجيكيون والاكتيون أمماً معدودة بل لم يكن نمة غير شعوب صغيرة يستولي أقدرها على نحو ثلاث أو أربع من مقاطعاتنا اليوم وكل مقاطعة تؤلف حكومة مستقلة ودعاها قيصر سيفيتا أي التي يحكمها كما يشاء وتحارب غيرها . وكان لبعض تلك الحكومات ملك ويحكم معظمها مجلس من الاشراف (الفرسان) وكان للكهنة عند الغاليين سلطة كبرى

لم تدرح تلك الشعوب على حالة من التوحش بعد تعيش بما يتجه لها ماشيتها وما مدنها الا اسوار صغيرة محصنة يجعلون فيها مواشيهم وعيالهم انان الحرب ولئن كان معظم البلاد غابات وحراحا فقد بدؤا يررعون حنطة ليتيسر ان تطعم جيئاً رومانياً بأسره

جاء قيصر يوي فتح غاليا في جيش اختاره من سكان الولايتين الغاليتين الخاضعتين لرومية خاصة وكان مؤلفاً بحسب العادة الرومانية من مائة مائة كشاف وعلمهم اسلحتهم وهم مدربون اكثر من جيوش الشعب العالي ولقد عني قيصر بذكر خبر الفتح في مفكراته فاوهم القاريء بان الغاليين ساقوا عليه جيوشاً اكثر عدداً من جيشه ومن المحتمل بانه لم يقل الحقيقة اذ لم يكن في استطاعة عاليا ان تطعم غير عدد قليل من الناس ومعظم سكانها ليسوا بحاربين

غارة الهيلفتيين والسوفييين - عند ما وصل قيصر الى بلاد الغال كان الايدوانيون النازلون في جبال مورفان اشد شعوب اواسط عاليا بأساً وعاصمتهم بيبراكت بالقرب من أوتون وبلادهم واقعة بين نهر السون والوار . ومن اشداء البأس الارفرنيون النازلون في البلاد الجبلية التي أطلق عليها اسمهم (اورنيا) وكانوا حاكمين على الامم النازلة في البلاد الصخرية الوسطى

لحارب الايدوانيون السكيانيين النازلين في جبال جورا لاختلاف طراً بينهم على الملاحاة في نهرسون فاستدعى السكيانيون من المانيا رعيماً سويافياً وهو الملك (اريوفيست) فأقى بعصابة من حيرة المحاربين مؤلفة من العامه خاصة وهم السويافيون . وبعد ان تغلب الايدوايين طلب الملك اريوفيست الى السكيانيين جرءاً من ارضهم لينزل فيها جيشه . وكان السكيانيون صالحوا الايدوايين لقتال اريوفيست الذين زلوا عليهم وعملها استجد الايدوانيون برومية ولما قاد قيصر جيشه الى بلاد سون تقدم على انه حليف شعب عالي لمقاومة عارة جرمانية وفي غضون ذلك اخذ الهيلفتيون وهم شعب عالي يسكن سويسرا بالحجرة من بلادهم فانقلبوا منها يحملون أسراتهم ومواشيهم وامتعتهم محمولة على مركبات قائلين انهم يريدون مهاجمة بلاد العال ليستوطنوا شواطئ المحيط . وربما كان ذلك حيلة منهم ليذهبوا لنصرة الايدوايين على اريوفيست ونقدموها الى قيصر ان يسمح لهم باجتياز تلك الولاية الرومانية فاني عليهم ذلك فلم يبق امام الهيلفتيين الا ان يقطعوا وادي سون فداهمهم قيصر بالقرب من نهرسون وحمل اولاً على ساقه جيشهم ثم هاجم مجموعهم فذبح منهم حزاً عظيماً واضطر من افلتوا من القتل الى الرجوع الى بلادهم . ثم ارتد على اعقابه لقتال اريوفيست وامرع حتى بلغ في جيشه الى فيرونوسيو (بزانسون) وحاذر جنده من هول هذه الحرب وهم في بلاد جبلية معساة بالعابات يهاجمون برابرة اشداء على اهبة تامة فجمع قيصر قواد المئة من جنده (يوزباشية) وقال لهم على من يوجسون حيفة ان يسافروا مع الفرقة العاشرة فاجابه قواد المئة بانهم يتبعونه حيثما ذهب

وقطع الجيش الروماني مجاز جبال الفوسح ونزل الى سهل الالراس وجاء يعسكر امام الهدو . والف اريوفيست معسكره من مركباته وتحصن وراها وكان قيصر يربط جيشه في السهل ويعبئه للقتال ثم صحت عريمة اريوفيست على الخروج من المعسكر فداهم الجيش الروماني في ورسانه فخرج وفر جنده فطارده العدو حتى نهر الرين . وكان المهاجمون الجرمان يطردون الى خارج غاليا ولكن قيصر لم يأت مع جيشه الى ولايته بل رابط معه في وادي سون حيث قضى الشتاء وقد اخذ يعامل بلاد عاليا كالبلاد المغلوبة فاضطرت الشعوب الغالية ان تحالف رومية .

فتح شمال عاليا — ابى البلجيكيون النازلون بين نهري السين والرين وهم اتجمع شعوب غاليا كافة ان يدخلوا في محالفة رومية فتعاهدوا بينهم وتحالفوا وجمعوا جميع المحاربين من ابنائهم في بلاد لاون . فجاء قيصر في الربيع في تماني فرق من الجند وعقد محالفة مع احد هذه الشعوب وهم الريمسيون وورل في معسكر حصين على رابية يفصلها عن معسكر البلجيكيين

واد ذوبطائخ وظل الجيستان زمناً أحدهما قبالة الآخر واذ كان الجيش الروماني منظماً كانت تأتية النجذات من الطعام تباعاً أما البلجيكيون فشق عليهم ان يتغذوا في تلك الادعال والحراج فانفذ قيصر الايدوانيين احلافه بحربوت بلاد البيلوفاكيين اهم تلك الشعوب المتحالفة ولما بلغ البلجيكيون ذلك انفضت جموعهم ليذهبوا للدفاع عن بلادهم فتخلص قيصر من جيش العدو بدون قتال وراح يطوف بلاد البلجيكيين ويهاجم مدنها الواحدة بعد الاخرى مكرهاً كل امة ان تكون حليفة لرومية وان تعطيها على سبيل الرهن رجالاً من الأُسْرة النبيلة في بلادها .

وقد دام النيرفيون (اهل بلاد السامر) احد هذه الشعوب الجيش الروماني في عابة على شاطيء هير السامر بينما كان يبني معسكره وهرم الفرسان الغاليين احلاف الرومان وعساكر الرجالة الحفيفة الا ان الكتائب حمت المؤخرة ونحالت دون الهزيمة فاخذ قيصر يحارب النيرفين حرباً يريد بها ابادتهم عن آخرهم . ولما احضر الجيش الروماني الشعوب البلجيكية قضى الشتاء في وسط بلاد غاليا على شاطيء اللوار .

فتح العرب — قبلت الشعوب النازلة على ضفاف البحر المحيط ان تحالف رومية وتقدم لها رهائن وما جاء الشتاء حتى تحالفوا بهم وابوا ان يرسلوا حنطة لاطعام الجيش الروماني واسروا عندهم مندوبي الرومان الذين حاولهم في طلب ذلك ليكرهوا قيصر على ان يعيد اليهم من استبقاهم عنده من رجالهم رهينة . وكان للفتنين (سكان فاس) وهم من الشعوب الخطيرة في داك الحلف سفن حربية صنعوها من تخر البلوط وجعلت بحيت تسير على ارادة ربانها ولها مقدم مرتفع يقاوم فعل الامواج وطبقات سفلى منبسطة تستطيع ان تبحر على قيعان الشاطيء وفي البحار الصغيرة فانسأ قيصر سمماً دات قلع في مصب نهر اللوارهاحم بها اسطول الفنتيين . وصعب عليه ان يحطمه لان سفنه لم يكن لها من العلوما يكفي للوصول الى مساماة تلك السفن المييقية وكانت مراكبه داخله في الماء كثيراً بحيث لا يتسنى لها ان تطارد مراكب عدوه في وسط المبحر والقيعان وبعد الاتيا والتي صنع الرومان ماحل دات مقابض وعصي طويلة قطعوا بها الحبال الي كانت تمسك قلع سفن الفنتيين فلما سقطت القلع من هذه السفن ولم يكن عندها مجاديف تقذف بها وقفت لا تبدي حراكاً فداهمها الجيش الروماني واخذها عنوة فطلب الفنتيون الصلح الا ان قيصر امر باسرافهم فضربت اعناقهم وباع سائر الشعب ببع العبيد . وفي تلك المدة ايضاً كان اقتطع قيصر فرقة صغيرة من جيشه لتخضع لسلطان رومية جميع الشعوب النازلة في الاقليم المعروف اليوم باقليم نورمانديا وهناك فرقة اخرى له تحارب شعوب الاكتيين في جنوب نهر الغارون

وعلى هذا فقد اخضع قيصر في ثلاث حملات (٥٨ — ٥٦) عامة بلاد غاليا واغتنم فرصة الشتاء للعودة الى ولايته في ايطاليا المعروفة بسيزالين وفي العام التالي (٥٦) ضرب موعداً للقائدين الآخرين الذين كانوا يقاسمونه الحكم وهما بومبي وكراسوس واجتمع ثلاثتهم على تحوم ولايته وفي ولاية لوكس وقرروا تجديد حكومتهم لخمس سنين اخرى حملات الى خارج غاليا — حارب قيصر خارج غاليا دلالة على سطوته واشغالا لجيشه وكان شعبان جرمانيان اجتازا نهر الرين وهاجما بلاد البلجيك فسار قيصر في جيشه وفرسان شعوب غاليا على نهر الرين بالقرب من ملتقى نهر المور وهاجم الحرمان وذبحهم مع نساءهم واولادهم ثم بنى على الرين جسرا من جذوع الاسعار وذهب لتخريب الشاطيء الايمن ولما عاد الى غاليا ركب البحر مع فرقتين (٥٥) واجتاز بحر المانش وزل الى بريطانيا (انكلترا) ولما انتأ في السنة التالية سفناً متسعة قليلا لقل الاثقال والخيول عاد الى بريطانيا في جيش كبير واحتاز الغابات التي دافع عنها المحاربون البريطانيون حتى بلغ نهر التيمس (٥٤)

قيام الغاليين — كان الاشراف في معظم الشعوب الغالية من اشياع رومية يقاتلون في الجيش الروماني على انهم رديء من الفرسان ويعاشرهم الضباط الرومانيين وكان بعضهم من اصحاب قيصر الا ان السواد الاعظم من تلك الامم كانوا يتبرمون باولئك الجنود الغرباء الذين يسرون سير السادة فانسحق بعض الزعماء من حرب الاشراف وانفقوا بينهم سرا على تهيج الشعب . وكان قيصر قد وزع جيشه على شعوب كثيرة لقضاء فصل الشتاء وذلك لان القمع كان نادراً في تلك السنة . فقرر زعماء الغاليين ان يغتصموا هذه الفرصة لمهاجمة الفرق المنعزلة وقطع مواصلاتهم فانظروا ريثما يبتعد قيصر الى ولاية سيزالين حيث ذهب لقضاء الشتاء .

الا ان شعب الكاربوت (شارتر) ابدى نواجز العصيان قبل ان يتم ما يروونه مستشيطاً غضباً من ملكه الذي نصبه قيصر وحاكمه فحكم عليه بالاعدام وقتل . فباغ قيصر هذا النبأ فاستعد للحرب ولما ازمعت الفرقة الرابطة في بلاد السامبر الخروج من معسكرها داهمها الايبورون وذبحوها . ورأت فرقة رومانية اخرى ان تبقى في معسكرها فحاط بها الغاليون فاسرع قيصر وتمكن من انقاذها وعند ذلك استراحت الجنود الرومانية الى آخر الشتاء . ولما طلع الربيع ابى عدة شعوب غالية من الشمال ان يبعثوا بوفودهم الى قيصر فجمع جيشه برمته وسحقهم واحداً بعد واحد فانقم من الايبورين بتخريب زروعهم وحرق قراهم وذبح

السكان وطارد المنهزمين الى غابات آردن وما جاء الحريف الا وقد خضعت غايا الشمالية بأسرها .

الفارس فرسختور بكس — اجمع شعوب اواسط البلاد في خلال الشتاء امرهم بينهم على العصيان ثانية وبدأ الكارثيون اولاً فداهموا مدينة سابوم على نهر اللوار فقتلوا فيها تجار الطليان كافة . وفي هذه المرة تسلم عامة الشعوب النازلين بين نهر السين والعارون لقتال الرومان وبقي الاكتيون على الحياد . وبدأت الشعوب المخالفة لرومية تنزع السلطة من يد الاشراف استياع قيصر واقاموا زعماء جدداً ودخل هؤلاء في التحالف الغالي

وكان زعيم الثورة شائناً من اشراف ارفرنا اسمه فرسختور بكس وهو فارس يحسن الفروسية حدم في الجيش الروماني وكان صديق قيصر وحدث ثورة في بلاده اولاً وما هاج سكان القرى حتى نزع السلطة من ايدي الاشراف واصبح منكأً على ارفرنا . تم بعت برسل الى الشعوب الاخرى وجمع جيئاً وجعل من نظامه ان يحرق الحائنين ويصلم آذان الآقين و يسمّل عيونهم . فداهم الغاليون الرومانيين في آن واحد في الجنوب من ولاية بروفنسيا (من اقليم لانكدوك) وفي الشمال من البلاد الواقعة بين نهري السين والسون حيث كانت ترابط الفرق الرومانية واضطر قيصر ان يجتاز جمال سيفن وهي مكللة بالتلوج واكره فرسختور بكس من رجاله ان يعود للدفاع عن بلاده فاتسع الوقت لقيصر ان يجمع جيشه بالقرب من سانس ويذهب فيه الى اقليم اللوار فحرب فرسختور بكس جميع البلاد وجعل المدن قاعاً صفصفاً لتكون قفراً لا يجد فيها العدو شيئاً يطعمه بيد ان البيطور يجيبين لم يقبلوا بتحريب مدينتهم افار يكوم ودافعوا قيصر عنها زمناً

بعت قيصر في الربيع (٥٢) فيلقاً لمباغثة شعوب السين وذهب بنفسه في معظم جيشه للهجوم على جر كوفيا قلعة الارفرنيين فرد على اعقابه وخرج موقفه اذ لم يكن لديه طعام (لحراب مخازن ذخائره في رفر) وهو محصور بين شعوب الارفرنيين والايديوانيين الذين ذبحوا التجار الطليان ومع ذلك اصر على عدم اخلاء عاليات وتمكن من الوصول الى سانس . وفي خلال ذلك عين المجلس المؤلف من مندوبي جميع الشعوب العالية الرعيم فرسختور بكس قائداً عاماً على الجيوش العالية

فاستدعى قيصر من جرمانيا فرساناً اخذهم لحساب رومية وقاد جيشه من ناحية سون واعلمه فعل ذلك ليتمكن من مراسلة بروفنسيا فنبعه فرسختور بكس في جيشه وحاول ان يقطع عنه مواد الطعام ورمى الجيش الروماني وهو في مسيره بفرسانه الغاليين فهزمهم فرسان الجيش الغالي ورجع فرسختور بكس على اعقابه الى مدينة اليزيا الحصينة في بلاد

الآكام بين نهر السون ومصب نهر السين فنبعه قيصر وحاصره فيها جاعلاً حول اليربا سوراً تعلوه دائرة مجنحة ذات أبراج يحميها مخندق .

وصل جيش من الغاليين لرفع الحصار عن جيش فرسجثوريكس ودايم الرومانيين ولكن حال دون الوصول اليه ذاك السور الذي اقامه قيصر من ناحية الحلاء . وبعد اشتباك القتال بين الجيشتين رُدَّ الجيش العالي على اعقابه وفرق شذر مذرف فلم يبق عند الجيش المحاصر في اليزيا شيء من الراد فسلم فرسجثوريكس (٥٢) فبعث به قيصر الى رومية حيث قضى ست سنين سجيناً ثم شهد حفلة انتصار قيصر وصرب عنقه .

وهكذا انتهى العصيان العام . وقضى قيصر سنة اخرى في احصاء الشعوب التي كانت تقاوم واحداً بعد الآخر فابادها . وكان يفاحر بانه دبح في ثماني سنين مليوناً من السكان وانه اسر منهم مليوناً آخر باعه ببع العبيد وقضى سنة اخرى لتنظيم شؤون حكومة االيا وبعد ذلك صفا الجو لرومية هلاك اعدائها . وقد وسد قيصر الحكم الى الاشراف اشباع الرومان والفرقة من العاليين لقبوها بالسنوبو وكان جيشه المدرب يحبه محذته نفسه ان يستخدمه في الاستيلاء على المملكة الرومانية باسرها . فحضعت االيا لرومية مباشرة وانقسمت ولايات ولكن سظمها لم يتم الا على عهد اعسطس .

عاقبة الجمهورية

كانون الاوتيكي — فيما كان القواد يتنازعون بينهم فمن يستأثر بالسلطان على العالم الروماني اشتهر رجل تعلقه بالدستور الجمهوري القديم الذي احدى يمزق ولما رآه آخذاً في التداعي لم يلبث ان انتحر وكان كانون هذا هو الملقب بعد كانون الاوتيكي باسم المدينة التي انتحر فيها .

كان هذا الرجل من أسرة ترفية من احلاف كانون ورير الاحصاء الشهير والمدافع عن الاحلاق الرومانية القديمة كتب له ان يكون صاحب تروة طائلة وهو شاب بعد . وكان قد تعلم فلسفة الرواقيين وجرى عليها فاشأ يعيش عيش الرهاد يأكل قليلاً ويشرب قليلاً ولا يتطيب وعود نفسه احتمال الحر والبرد الشديد يسافر ماشياً في كل فصل من فصول السنة حتى مع اصحابه الراكبين خيولهم ولا يلبس الا ثياباً بسيطة رثة وقد وقع له ان خرج بدون حذاء .

ولما أرسل قائد الاحد الحيوش الى احدى الحروب (بموجب امتياز فنيان الاشراف) احبه حمده واحترموه اذ رأوه يعيش متلهم عيشاً بسيطاً ولما وسدت اليه نظارة المالية عي بالظرف في الحسابات بنفسه على العكس فمن كان قبله من الاشراف يتولون هذه النظارة

فإنهم كانوا يتركون الكتاب ينظرون في شؤون المالية وحدهم وبذلك اكتشف ترويرات
الكتبة وحاكم المرتكبين واشهر بعيرته وكان لا يأخر عن جلسة من جلسات مجلس التسيوخ
او مجلس الامة فصار يضرب المتل اشرفه واصبح القوم يقولون عن الامر المتعذر « لا يمكن
تصديق هذا ولو قاله كاتون »

وكان كاتون يقوم بما يعتقد انه واجب عليه دون ان تأخذه رأفة او ناله رهبة .
وحاول ان يحكم على مورينا لانه انتاع اصوات الامة حتى اتخته قمصلاً فراه شيسرون
وكان اذ ذاك قمصلاً بخطاب سحريه من فلسفة الرواقيين فقال كاتون « حقاً ان لنا
قمصلاً صحيحاً » واقترح قيصر في مسألة المشتركين في قتل كاتالينا ان يتأخر اعدامهم
لأنهم روموا قضية فاستد كاتون على قيصر واثار الى مجلس التسيوخ ان يأمر باعدام الجناة
في الحال فلم يسع المجلس الا ان يقرر قتلهم .

ولما اقترح يومي سن قانون يسمح له باذخار جيشه الى رومية حلاً لما رسمه الدستور
استشاط كاتون غضباً في حدة مجلس التسيوخ من المحامي متلوس الذي اقترح وضع
القانون وصرح بانه ما دام حياً لا يدخل يومي الى المدينة مسلحاً ولما جاء متلوس الى الساحة
في جيش من العبيد المسلحين الموافقة على القانون احترق كاتون صفوف الجماعة وقعد
بالقرب من متلوس ومنه من قراءة مشروعه فجاء العبيد اذ ذاك صارحين يرمون بالحجارة
و يصرون بالعصي فهرب الشعب وبني كاتون فانقذه مورينا بان جرد الى احد المعاند وعاد
الشعب وصعد كاتون على المنبر وحطب في سيئات هذا القانون فابى متلوس ان يعرضه وذهب
الى آسيا ليحقق بيومي

ولما اتمق قيصر ويومي وكان قيصر قمصلاً اقترح سن قانون فلم يجرأ غير كاتون على
قناله فانزله قيصر من المنبر بواسطة رجال الشرطة وبعث به الى السجن وظل كاتون يتكلم
في الطريق وقد تبعه جمهور من اعضاء مجلس التسيوخ وعزم قيصر ان يحلي سبيله والخلاص
منه ارسلته الحكومة الى قبرص ليطرد منها الملك بطيلموس دون ان يعطوه جيتماً واد كان
هذا الملك اتحر لم يبق على كاتون الا ان ينظم قسمة بما حلف الملك من الكنوز فاتي الى رومية
تبلغ كبير واستقبله مجلس التسيوخ احسن استقبال وتقدم للانتخاب قاضياً وكانت القبيلة
الاولى وافقت على انتخابه واد كان يومي رئيس المجلس لم يربداً من ان يدعي ان السماء
ترعد واعلى بانقضاء الجلسة (والرعد طالع شؤم كما عرفت في بعض الفصول السابقة)
وعند ما اقترحوا ان يعطوا لقيصر جيشاً تقدم كاتون الى يومي ولطالما شغل الاول قتال
التاني وحضه على الحذر من قيصر فبقي يومي عدواً لهذا . وهذا لم يمنع كاتون عند ما رأى

المنافسين في الحكومة يقتتلون في المدينة من معاهدة اقتراح المقترحين ان يعينوا بومبي وحده قنصلاً عند ما انترب احدهما من صاحبه ولما زحف قيصر على رومية بحيثته لفتح كاتون لمجلس الشيوخ ان يلبى الى بومبي بتكاليد الحكم باجمعه قائلاً على من عمل الشر ان يتلافاه . وتبع بومبي الى خارج ايطاليا ومنذ داك العهد اطلق شعره ولحيته علامة على الحزن وانتار باطالة زمن الحرب وكان يحاف من عاقبة قتال يقتل فيه الرومانيون بعضهم بعضاً ولما بلغه هزيمة فارسال سافر الى مصر يريد الالتحاق ببومبي ووقف في افر بقية حيث كان لاحد اتباع بومبي جيش وتولى الدفاع عن مدينة اوتيكيا

واد هرم قيصر جيش افر بقية اقترح كاتون على الرومانيين المازلين في اوتيكيا ان يحاصروا وابوا فاطلق كاتون جميع اعضاء الشيوخ الذين لحقوا اليه تم استقم وتعتى مع اصحابه واحذ يحوض في المباحث الفلسفية ولما حان وقت اليوم طالع محاورة لافلاطون في حلود النفس والتمس سيفه الذي كان رعه انه عه معاصباً فاحصروه اليه فجعله على مقربة منه وبام فاستيقظ عند الفجر تم طعن نفسه في صدره وكان عمره ٤٨ سنة .

فارسال - لم يبق في الملاد بعد وفاة كراسوس عبر بومبي وقيصر وكلاهما يودا الاستتار بالسلطة وكان من تقدم بومبي على صاحبه انه كان في رومية مستولياً على ازمة مجلس الشيوخ وكان مع قيصر جيش عاليا المدرب على الحروب منذ تلمي سمين قصاها في الحملات .

فاتخذ بومبي حطة المحوم واستصدر من مجلس الشيوخ امراً بان يترك قيصر حيثته ويحيى الى رومية فعقد قيصر اذ داله عزمه على اختيار حدود ولايته (وكان الحد هو نهر روبيكون) وزحف على رومية . ولم يكن عند بومبي جيش في ايطاليا للدفع فركن الى الفرار مع اكر الشيوخ من الساطي والآخر من بحر الادرياتيك وكان له عدة جيوش في اسبانيا واليونان وافر بقية شنت قيصر شملهم واحداً بعد الآخر فهرم جيش اسبانيا سنة ٤٨ تم جيش اليونان في فارسال سنة ٤٨ فحيت افر بقية سنة ٤٦ ولما غلب بومبي في فارسال لحاً الى مصر فقله ملكها .

حكم قيصر - ولما رجع قيصر الى رومية عهد اليه بالامر لمدة عشر سمين فصار الحاكم المطلق تم حارب جيوش اتباع بومبي في افر بقية وساد جميع البلاد الخاضعة للرومان واحتل في رومية نظمه باربعة اعداء العالين والمصريين وملك بحر الخروفي آسيا الصغرى وملك النوميديين حليف البومبيين في افر بقية (لم يكن من الياقة بان يهاجر لتعلمه على جيش روماني) .

فقام مجلس الشيوخ لقيصر بالتشريفات الدينية فاعطاه اولاً كرسيّاً اعلى من مقاعد

القنصل ولقبه بالاول تم حوله الحق ان يحمل تاجاً من العار (وكان ذلك من حق الارباب) ومحه لقب «ابو الوطن» واتدع احتفالات والعابا اكراماً له واقام له تمثالاً حطوا فيه الفاظ التعظيم وعهدوا الى الكهنة للاحتفال بعبادة رب يوليوس قيصر . ومن الممكن ان يكون قيصر طمع في لقب ملك ومع هذا دعا نفسه بالامبراطور وقبل بان يلبس توناً ارجوانياً وان يجلس على عرش من ذهب ويرسم خوذته على النقود .

واحتفظ قيصر بمجلس الشيوخ وجميع المناصب وهو الذي كان يعين المرشحين الدين يقضى على الشعب انتخابهم وهو الذي وضع قائمة بمجلس الشيوخ وكان هالك كسيرون من الشيوخ فاباغ عدد الاعضاء الى تسعمائة ومعظمهم من النحابة وكثيرون منهم من الغالين ولم يقض في رومية غير خمسة عشر شهراً من حيث المجموع فما اتسع له الوقت ان يقوم بالاصلاحات التي كان ينويها (ما عدا تقويم السنين) تم قتله ندماً وانه الدس كانوا يربعون في اعادة حكومة مجلس الشيوخ (٤٤)

احد الحكام الملائمة --- اضطر الشعب الروماني وكان يحب قيصر رعيه قتله وهما بروتوس وكاسيوس ان يهربا فنجيا الى الشرق حيث حيثاً عظيماً وظلّ العرب تحت حكم بطونيوس الذي اعتمد على جيش قيصر فحكم رومية حكماً استبدادياً وكان قيصر تبنى ابن اخته او كثاف وعمره ثمان عشرة سنة بوصية اوصى بها فسمي بحسب العادة الرومانية باسم متبنيه ودعا نفسه بوليوس قيصر الاوكتافي . فصم الى حزنه جند قيصر وعهد اليه مجلس الشيوخ ان يحارب بطونيوس وبعد ان تغلب عليه آثر الاشتراك معه لاقتسام السلطة فاتحداً مع بييدوس ودخلا بلائهم الى رومية واستولوا على الامر استيلاً، مطلقاً مدة خمس سنين تحت اسم الحكام الثلاثة المعهود اليهم تنظيم المسائل العامة . وشرعوا في حصرهم واعدائهم الخاصة (فامر بطونيوس بصرب عمق شيشرون) (٤٣) ثم ذهبوا الى الشرق لتثبيت جيوش التحالفين وبعد ذلك انقسموا المملكة بينهم . ولم يدم الوفاق بينهم طويلاً بل قاتل بعضهم بعضاً في ايطاليا حتى توسط جندهم في الامر واضطروهم الى العودة لما كانوا عليه من الاتفاق تم جرى تقسيم المملكة من جديد فاصبح بطونيوس ملك الشرق واوكتاف ملك العرب (٣٩)

حرب الاكتيوم - دام السلم بضع سنين فاحد بطونيوس يعيش عيش ملك شرقي مصاحباً لكلو بطرة ملكة مصر وشغل اوكتاف قتال ابن بومبي الذي كان تحت امره اسطوله يحرب به سواطي ايطاليا . وانتهت الحال بهذين الملكين بانقطاع علائقهما فنشبت آخر حرب بينهما وكانت حرباً بين الشرق والغرب تمت بحرب اكتيوم البحرية واسلم اسطول

كلو باطرة انطونيوس صاحبها فلما الى مصر وانحروني اوكتاف وحده صاحب المملكة المطلق (٢١) وكان قد انتهى امر حكومة مجلس السيوخ .

تقرير السلطة المطلقة — شكك الناس كلهم من هذه الحروب وكان سكان الولايات يؤحدون فداءً ويسبي الجنود معاماتهم ويقتلهم نقتيلاً يضطرونهم كل فريق من الحكام ان يحازوا اليه ويعاقبهم الغالب على اهتمامهم الى المألوف . وكان القواد يعدون الخند بان يكافئهم باعطائهم اراضي يستعملونها فيطردون منها عامة سكان مدينة ليحل محلهم قدماء الاجناد . وكان اغنياء الرومان يحاطرون تروثهم وحياتهم ومتي غلب حرمهم يصبحون العوبة في يد الغالب يتصرف فيهم بما يتناه . فقد وضع سيلاً متالاً من المذابح المدبرة (٨١) وبعد اربعين سنة (٤٣) جدد انطونيوس اوكتاف امر القتل بدون محاكمة

واقدر كان شعب رومية نفسه يتكو من سوء هذه الحالة فلا تصل الى رومية الحبوب التي هي مادة عدائه على طريقة مطردة بل كانت تقع في يد قرصان البحر او يهبها اسطول العدو فبعد ان مضى قرن على طريقة هذا الحكم لم يعد للجميع من الروما وسكان الولايات والاعنياء والفقراء رغبة في غير السلام وعدوها تقدم الى داك الشعب المنهوك بالفتن الاهلية وارت قيصر ابن احته اوكتاف احد الحكام الثلاثة — تقدم اليهم بعد ان تغلب على رصيفيه قال المؤرخ تاسيت وقبض بيده على جميع سلطات الامة ومجلس السيوخ والحكام . ولم تمض صاع سنين الا وقد اصبح سيداً على رومية وليس بعد هذا من لقب فلم يعد يفكر احد في مقاومته وقد اعلق معبد جايوس وبشر في العالم الوية السلام وهذا كان ما يطلبه العالم باجمعه وذلك لان حكومة الجمهورية بواسطة مجلس السيوخ لم تكن تمثل غير الشعب والحروب المدنية فكانت النفوس تظمع في رجل يكون من القوة بحيث يحول دون الحروب والمورات وعلى هذا الوجه أسست الامراطورية الرومانية .

اغسطس

نظيم الحكومة الملكية — يقضي نظام الحكم الجديد الذي وضعه وريت قيصر ان يكون الحكم المطلق بيد رجل واحد يدعى الامراطور اي الرجل المدر الامر وله الحق ان يتولى السلطات اسرها التي كانت مورعة بين الحكام القدماء فيرأس مجلس السيوخ ويجمع الجيوش كلها ويقودها ويضع قائمة باسماء اعضاء السيوخ والفرسان والوزيير ويجبي الضرائب وهو القاضي الاكبر والمبرر الاعظم وله سلطة القضاة . ولبيان ان هذه السلطة قد جعلته رجلاً فوق الرجال من البشر لقبوه بلقب ديبى وهواء طس او اعست ومعناه المحترم لم تنتظم شؤون المملكة بتورة انت على كل اصطلاح قديم ولم يبلغ اسم « جمهورية »

وانقضت ثلاثة قرون واعلام الحدود لا يزال يكتب عليها اربعة حروف من اول اربع كلمات S P. Q R ومعناها مجلس الشيوخ والتعب الروماني ولكن اجتمعت السلطة التي كان يقاسمها اتخاص كثير ون في يد واحد وبدلاً من ان يتولاها سمة فقط اصبح يتولاها طول حياته فالامبراطور هو الحاكم الفرد مدى حياته في الجمهورية وفيه يتجدد الشعب الروماني ولذلك كان مطلق التصرف .

مجلس الشيوخ والتعب — بقي مجلس الشيوخ الروماني على ما كان عليه قديماً مجلس اعيان الاعتياد . واكثر الوحوه حرمة في المملكة وكانت عضوية المجلس تعد من الشرف المرعوب فيه فاذا ارادوا ان يقولوا الاسرة العلانية كبيرة يقولون هي اسرة شيوخ ولكن مجلس الشيوخ على حرمة لم تعد له سلطة لانه لا يتأقن امبراطور ان يستغني عنه ولم يرح مع هذا اول قوة حاكمة في الحكومة وان لم يكن المسيطر عليها وكان يتظاهر الامبراطور احيانا بانه يريد احد رأيه ولكنه لا يعمل بمشوراته .

فقد الشعب كل سلطة اد ألغيت محاسبه مد عهد تير . واصبح جمهور الامة المردحم في رومية لا يتألف الا من بضعة الوف من كبار السادة مع عبيدهم ومن حليط من الاتحادين وكانت الحكومة قد تعهدت باطعامهم ودام الامبراطرة يوزعون عليهم الحسطة ويرضون لهم شيء من القود فاعطى اعسطس سبعمائة فرنك عن كل رأس تسع مرات واعطى بيرون ٢٥٠ فرنكاً ثلاث مرات عن كل رأس .

نم ان الحكومة كانت تقيم مشاهد لتسلية هذا العواء . وكان عدد المشاهد المطامية ٦٦ يوماً في السنة على عهد الجمهورية وبلغت بعد قرن ونصف على عهد مارك اوريل ١٣٥ يوماً وفي القرن الخامس وصلت الى ١٧٥ يوماً دع عنك الايام الاضافية

وتدوم هذه المشاهد مد شروق الشمس الى غروبها فيتناول المنفرجون طعامهم في الساحات . وهذا ما كان الامبراطرة يتحدثون منه طريقة امينة لاشغال العامة . قال احد المماليك لاعسطس . لئانك ياقيصر يعني الشعب ما . بل كانت هذه المشاهد واسطة لاستمالة قلوب الامة للامبراطور فكثيرا ما كان اقبج الامبراطرة اكثرهم حظوة عند العامة وكان بيرون الظالم يعبد لانه قام بالعباد لطيفة فلم يصدق العامة بانه مات وكان ينظر قدومه بعد ثلاثين سنة من موته .

وما كان العامة في رومية يجتثون عن تولي الامور بل غاية ما تطال اليهم نفوسهم ان يتسلوا او يأكلوا كما قال جوفينال في عبارة له « خروا لهاب الميذان »
التأليه — الامبراطور وحده سيد المملكة ما دام حياً لان الشعب الروماني يتحلى له

عن كل سلطة ومتى مات يبحث مجلس الشيوخ فيما اتاه في حياته ويحاكمه باسم الشعب فاذا حكم عليه تبطل جميع اعماله وتختطف تمثيلة ويمحي اسمه من المصانع والآثار (١) واذا اقر على اعماله (وهو ما يحدث غالباً) يقرر مجلس الشيوخ بان الامبراطور مات وقد ارتقى الى مصاف الارباب .

وقد عدا معظم الامبراطرة ارباباً بعد موتهم على هذه الصورة فكانت تقام لهم معابد وعهد الى كهن ان يقيم لهم الشعائر الدينية وقد كان في جميع اجراء المملكة معابد رسمت باسم الرب اغسطس والربة رومية واشتر عن اختصاص انهم قاموا بوظائف كهن للالهى كلود وللالهى مريازين وهذه العادة في تأليه الامبراطور المتوفى كانت تسمى «التأليه» والسكنة يونانية وانتقلت عاداتها من يونان الشرق على ما يظهر

ادارة الولايات - كان ثلثائة او اربعمائة أسرة شريفة في رومية تحكم البلاد وتستقر باقي المعمور منذ الفتح الروماني فحاء الامبراطور ينزع منهم الحكومة ويجمعهم لسلطان ظلمه . حتى اصبح كتاب الرومان يشنون من فقد حريتهم المسلوقة ولم يكن لسكان الولايات ما يأسمعون عليه بل ظلوا رعايا ولكن بدلاً من ان يرأسهم عدة مئات من الرؤساء يتناوبون الحكومة على الدوام ويحيئونهم بنهمين للعى اصبح لهم رئيس واحد وهو الامبراطور يهتم بالنظر في امرهم . واقد اوجرتير السياسة الامبراطورية بما يأتي «الراعي الصالح يجر صوف عمه ولا يتعمد» فمضى زهاء قرنين وقد اكتفى الامبراطرة بحز سكان مملكتهم يسلبون منهم كثيراً من الاموال ولكههم يحموهم من العدو الخارجي بل من عمالهم انفسهم . وعند ما كان سكان الولايات يتكون من الفطائع ومن سرقات حكامهم كانوا يستعدون الامبراطور فيعديهم . وكان من المعروف عند القوم ان الامبراطور يقبل الشكوى على صراطه وهذا كان يكفي لادخال الرعب على قلوب الولاة الفاسدين وادخال الطمانينة على رعاياهم

الولايات كلها ملك الامبراطور (٢) . لانه يمثل الشعب الروماني فهو قائد جميع الحنود وسيد الناس طراً ومالك الاراضي كافة (قال الفتيه كايوس ليس لنا في اراضي الولايات الا التمتع بها والامبراطور وحده مالك لها) واذا كان من المتعذر ان يصب الامبراطور في كل ولاية عنه الوكلاء الذين يختارهم نفسه يرسل الى كل ولاية بصائط (يسمونه مندوب اغسطس لتولي بوظيفة القضاء) وهذا المندوب يحكم البلاد ويقود الجيش ويطوف في

(١) عثر على كتابات محي منها اسم دومنيسين على هذه الصورة

(٢) ترك اغسطس لمجلس الشيوخ بعض ولايات من اقل ولاياته مبرلة ولكن ظل

فيها حاكماً منحكماً مثل ولاياته الخاصة كأنه صاحبها

ولايته ليفض المصالح المهمة ويده الحياة والموت كالامبراطور . ويبيع الامبراطور ايضا بحفاظ لحبي الحراج وادخال المال في صندوق الامبراطور (ويسمونه نائب اغسطس)

فالصابط والمحافظ يمتلان الامبراطور ويحكمان على رعاياه ويقودان جنده ويثبتان ملكيته . ويختارهم الامبراطور اندامن الطبقتين التريفيين في رومية يختار الصباط من مجلس الشيوخ والمحافظين من الفرسان وهو لاء العمال مراتب للشريف على نحو ما كان الحكم في رومية القديمة بتدرجون من ولاية الى اخرى ذاهبين من طرف المملكة الى طرفها (١) فمن سورية الى اسبانيا ومن انكترا الى افر بقية . واذك لنقرأ في الكتابات المكتوبة على قبور رجال ذاك العهد جميع المناصب التي شغلوها مبينة احسن سان . وكتابة قسورهم تكفي لبيان تراجعهم . ما تولد من اعمالهم

الحياة البلدية - وكان تحت هو لاء العمال الكبار الذين يملون الامبراطور وهم لا يسألون عما يفعلون اناس من العامة الخاضعين يديرون شؤون انفسهم بانفسهم وللامبراطور الحق في ان يتدخل في شؤونهم الداخلية الا انه لا يسيء في العادة استعمال هذا الحق . فيطلب اليهم فقط ان لا يحاربوا وان يدفعوا على وتيرة واحدة ما يفرض عليهم من الاموال وان يحاكموا امام محكمة الوالي . وكان في كل ولاية كبير من الحكم المحكومين ويسمون اهل المدينة او البلديون ومن هنا جاءت كلمة الحكم البلدي والمجلس البلدي تحري كل مدينة خاضعة للامبراطورية في ترتيباتها على مثال رومية نفسها فيكون لها مجلس الشعب وتنتخب حكامها لسنة ويقسمون الى فرق في كل فرقة عضوان ومجلس الشيوخ مؤلف من كبار ارباب الاملاك والاعماء وارباب الاسر القديمة وفي الولايات كما في رومية لا يكون مجلس الامة الا صورة والحكم لمجلس الشيوخ اي للاشراف

من العادة ان يكون مقر الولاية مدينة اي مثل مدينة رومية مصغرة ولها معاندها وافواس نصرها وحماماتها العامة واحواضها ودور تتيها وميادين قتالها والعبسة فيها عبسة مصغرة من عيش رومية فتوزع الحنط والدرهم على الفقراء وتولم الولايات العامة وتقام الحفلات الدينية الكرى والالعب الدموية . الا ان رومية تقوم بما يجب لذلك من النفقات تأخذ من مال الولايات اما في الولايات فان الاشراف يقومون بالانفاق على حكومتهم واعيادها . والحراج الذي يجبي لحساب الامبراطور يحمل كله اليه ولذلك

(١) قال الفيلسوف ابيكيت لا بقدر كبار الرجال ان يتأصلوا في الارض كالنباتات بل عليهم ان يسبحوا كسيرا لاطاعة اوامر الامبراطور

يقضى على اعداء كل مدينة ان يقوموا بما يقنضي من النفقات للاحتفال، بالالعب واحماء الحمامات وتبليط الشوارع وبناء الجسور والمجاري والساحات . قاموا بذلك مدة تزيد عن قرنين وانفقوا عن سعة شهدت بذلك المصانع المنبنة في ارض المملكة وألوف من المكتوبات على الاحجار

المستعمرات - تقيم رومية في البلاد التي تشك في خضوعها لها حيشاً صغيراً تسكنه فيها فيبني مدينة تكون حصناً حصيناً وتبعث اليه بأناس من الوطنيين الرومانيين يكونون حندا وفلاحين في آن واحد ويجري الجيش الاراضي المجاورة الى حصص متساوية توزعها عليهم وهذا ما يسمونه مستعمرة

ويبقى المستعمرون وطنيين رومانيين ويحضعون لجميع ما تأمر به رومية . وتختلف المستعمرة الرومانية عن المستعمرة اليونانية - التي كانت كثيراً ما تشق عصا الطاعة حتى انها لتحارب آتينة نفسها - بان تكون ابنة حاضعة لامها فليست المستعمرة الاحامية رومانية مرابطة بين الاعداء . وكانت اكثر هذه المخططات العسكرية في ايطاليا ولكن كان منها في مكان آخر مثل مستعمرة فاربون وليون وآرل فاما كانت مستعمرات رومانية .

حيث التحوم - لم يكن في المدن الداخلية جيش روماني لان سكان المملكة لا يرون الانقراض على الحكومة فلم يكن للمملكة اعداء الا على الحدود وكان الاجانب ابداء على استعداد من مهاجمة فالجرمان وراء بهري الرين والطونة ورحالة الصحراء وراء رمال افريقية ووراء الفرات جيوش المملكة الفارسية

ولدا كان من اللازم اللازم اقامة حند يكون على قدم الاستعداد على تلك التحوم المعرضة ابداءاً للتهديد ادرك اعسطس ذلك فاتاً جيشاً دائماً فلم يكن جنود الامبراطورية من اصحاب الاراضي يؤخذون من حقوقهم ليجدوا في الجندية بعض حملات بل كانوا اناسا من الفقراء جعلوا الحرب صناعة لهم فيدخلون الجندية ليجدوا فيها ست عشرة سنة او عشرين سنة وربما جددوا هذه المدة

وعلى هذا كان للامبراطورية في رومية ثلاثون فرقة من الوطنيين اي ١٨٠ الفاهم بموجب العادة الرومانية مساعدون فيبلغ مجموعهم نحو ٤٠٠ الف رجل على التقريب وكان هذا الجيش قليلاً بالنسبة لعظم تلك المملكة

ولكل ولاية على الحدود جيش صغير بعيد في معسكر دائم يتبته قلعة يجيى الباعة ينزلون بقرها فلا يعتم المعسكر ان يصبح مدينة وهكذا يعسكر الجند نازاء العدو فيحفظون

شجاعتهم ودربتهم . مضت ثلاثة قرون والجند الروماني يدخل في كل حرب زبون مع الدرابرة المتوحشين ولا سيما على ضفاف الرين والبطونة في بلاد ندية قاحلة مغطاة بالغابات والمستنقعات . وربما بذل الجند الروماني في هذه الحروب التي لا نتيجة لها من الشجاعة والشهامة أكثر مما بذل قدماء اليونان في فتح العالم

الآداب — لم يكن الرومان بالطبع أمة فنون وقد أصبحوا كذلك فيما بعد مقتفين فيها أثر اليونان . فمن يواس أخذوا نمودجاً من فاجعاتهم وقصصهم المهرلية وملاحمهم وانشيدهم وأتعارهم الفلسفية والعامية والتاريخية . واقتصر بعضهم على ترجمة الاصل اليوناني (كما فعل هوراس في أناسيده) وكلهم اقتبسوا من اليونان افكارهم ومناحيهم ومزجوها عند ما احتذوا مثالها بما عرف فيهم من صفات الصبر والشهامة حتى صارت بعض آثارهم غريبة الغرائب في أسلوبها

وانفق الرومان على ان العهد الذي أزهت فيه الآداب اللاتينية حقيقة كانت المحسين سنة التي قضاها اغسطس في الحكومة وهو الوقت الذي نبغ فيه فرجيل وهوراس واوفيد وتيبول وبروبرس وتيت ليف ولكن عصراء طس (كما يسمونه) قد سبقه ولحقه قرنان ربما عادلاه في اخراج النوابع في الحيل الاول (القرن الاول قبل المسيح) ظهر الشاعر العربي المدهش لوكريس وقيصر رانير ناتر وشيخرون اخطب حطيب وفي الجيل اللاحق كتب سيديك ولوكين وتاسيت وبلين وجوفنال ما كتبوا

وبعض هؤلاء المؤلفين العظماء فقط من أسرة رومانية ومعظمهم ايطاليون وكثيرون من الولايات مثل فرجيل من مانتو وتيت ليف من بادو (في االيا) وسيديك اسباني . وكأن الفصاحة هي الفن الوطني حقاً في رومية فكان الرومان كالطليان في ايامنا يحبون الكلام علناً . وكان الخطباء يأتون الى ساحات الاجتماع حيث تلتئم مجالس الامة في أواخر عهد الجمهورية يخطبون ويكثرون من الحركات وسط دوي القوم وشيخرون اعظم أولئك الخطباء وهو الوحيد الذي بقيت بعض قطع من خطبه

ولما سقطت الجمهورية انقضت أيام المجالس فقدت الفصاحة لقلة المادة

اللغة اللاتينية — انتفعت آداب اللغة اللاتينية بفتوحات رومية فنقلها الرومان مع لغتهم الى رعاياهم المتوحشين في الغرب فتناسى جميع شعوب ايطاليا وغاليا واسبانيا وافريقية وضاف البطونة لغاتهم الخاصة وتعلموا اللغة اللاتينية . ولما لم يكن لهم آداب وطنية خاصة اقتبسوا آداب حاكميهم فتكلم اهل الامبراطورية اذ ذاك بلغتي الشعبين الكبيرين القديمين فظل الشرق يتكلم باليونانية واخذ العرب باجمعه يتكلم باللغة اللاتينية

فلم تكن اللاتينية اللغة الرسمية للوطنيين وكبار الرجال فقط كما هي الانكليزية لعهدنا في الهند بل ان الامة نفسها نتكلم بها ما امكن من الصحة بحيث ان القوم في اوربا بعد انقضاء ثمانية عشر قرناً ما برحوا يشكون الى اليوم بحمس لغات مستقة من اللاتينية وهي الايطالية والاسبانية والبرتغالية والفرنسوية والرومانية

وانتشرت الآداب اللاتينية مع اللغة اللاتينية في عامة انحاء الغرب لما كانت تدرس في القرن الرابع في مدارس نوردو واوتون غير شعراء اللاتين وخطباءهم وظل الاساقفة والقسيديون بعد هجوم البرابرة يكتبون باللغة اللاتينية ونقلوا هذه العادة ايضاً الى شعوب انكلترا والمانيا الذين احتفظوا بلغتهم الجرمانية . فباللاتينية كتبت في القرون الوسطى السجلات والعقود والشرائع والتواريخ والكتب العلمية . وفي الاديار والمدارس لا نقرأ ولا نسمع ولا نعتبر غير الكتب اللاتينية وما عدا كتب العبادة لم يعرف غير مؤلفي اللاتين امثال فرجيل وهوراس وشيسترون وبلين لجون وما كانت النهضة العنصرية الاوربية الا عبارة عن احياء ما فقد من آثار اقلام كتاب اللاتين واصح النسخ على منوالهم اكثر من دي قبل . فكما ان الرومان انتسوا لانفسهم آداباً خاصة لتقايدهم اليونان هكذا صار المحدثون من الاوربيين يسجون على مثال كتاب اللاتين . وليت شعري هل عاد ذلك بحيرام بسر؟ ومن يجرأ ان يفوه بذلك؟ فما لاجدال فيه اذا ان لعائنا الرومانية الاصل هي ببات اللاتينية وان آدانا طائفة بالافكار والمنازع الادبية الرومانية وان العالم العربي باسره مصبوع بصبغة الآداب اللاتينية .

الصناعات - عثر الباحثون بكثرة على تماثيل وصور بارزة رومانية اقتتها الايام من عهد تلك الحكومة منها ما نقل عن الآثار المصرية ويكاد يكون معظمها تقليداً لها ولكنها اقل من الاصل لطفاً وذوقاً . ومن اغرب الانودجات الباقية النقوش البارزة والصور النصفية فـ لنقوش البارزة كانت تزدان بها المصانع (كالمعابد والعمد واقواس النصر) والقبور والنواويس تمثل بها احسن تجميل مشاهد حقيقية وحفلات ونذوراً وحروراً وما تم وكل ما يحنطها علماً بالحياة السالفة . وان النقوش البارزة التي جعلت حول اعمدة تراجان ومارك اوريل لتجملنا كأننا نشاهد مشاهد حروبهما العظيمة بتلك الرسوم نتمثل لك الجنود نقاتل البرابرة ويحاصرون قلاعهم ويأتون بالاسرى كما تشاهد النذور العامة والامبراطور يحطب شعبه والصور النصفية هي في الاكثر صور الامبراطرة وسائهم واولادهم واذ كثرت تماثيلهم في اطراف المملكة باسرها عثر على كثير منها . حتى ان عند جميع المتاحف اليوم مجموعة من الصور النصفية الامبراطورية وهي صور حقيقية وربما كانت شبيهة باصحابها كل

التبهاذ يرى فيها سماء كل امبراطور واضحة اي وضوح وكثيراً ما تكون بتعة مستكرهة بحيث لم يحاول النقاشون ان يربنوها ويحفوا من سخنات المصورين

فعلم البناء هو الفن الروماني احيائي لانه يقوم بحاجة عملية وفيه ايضاً قلد الرومان اليونان باتخاذ الاروقة والعمد ولكن كانت لهم طريقة لا يستعملها اليونان وهي العقود (الاقبية) اي فن وضع الاحجار المنحوتة تدعم بعضها بعضاً على شكل قوس مربع . فبالعقود تسمى لهم ان ينشئوا النية اوسع واكثر نفناً من انية اليونان

المصانع - اليك اهم انواع المصانع الرومانية منها «المعبد» وهو كثيراً ما يتبها المعبد اليوناني وله دهليز متسع ويكون احياناً اكثر سعة تعلوه قبة . ومن هذا النوع معبد البانثيون الذي بني في رومية على عهد اغسطس . ومنها «الكنيسة الكبرى» وهي بناء مستطيل طويل تعلوه سقف وتحيط بها اروقة وفيها ينصدر الحاكم يحيط به نوانه وفيها يجتمع التجار ليتجادلوا في ثمن البضائع والكنيسة هي «بورصة» ومحكمة مما . وفي الكنائس الكبرى اقيمت بعد ذلك مجالس المسيحيين وظلت الكنائس النصرانية قروناً محتفظة باسماء الكنائس الرومانية واشكالها

ومنها المرازح (المرايح) ذات الدرجات «افنياتر» والملاعب وهي مؤلفة من عدة طبقات واروقة وضعت بعضها فوق بعض تحيط بالملاعب وكل طبقة من هذه الاروقة تعلوه عدة صفوف من الدريجات وذلك مثل الكوليرة في رومية وميادين ارل وبم . ومنها قوس النصر وهو باب شرف له بعض سعة بحيث يكفي لمرور مركبة منه وهو مرين بعمد ومرحرف بنقوش كثيرة ومن هذا النوع قوس النصر في اوراج . ومنها الجسر وهو بني على صف من الحمايا وسط النهر . ومنها المجاري التي تجلب فيها المياه و كثيراً ما تكون على شكل جسر لتر فوق دار ومن هذا الضرب من المجاري القطعة من الجسر المسماة كارد

وقد كان الامبراطور اعسطس يفخر بانه امتح في رومية رهاء تمايز معبدا قال «لقد وجدت مدينة من القرميد وهاء لذا اترك مدينة من الرحام» وعمل احلافه كلهم على زحرفة رومية وقد ازدحمت المصانع حوالى الفوروم (الميدان) خاصة واصبح الكاتول مع معبده المعروف بمعبد المشتري اشبه سبيء بالا كروبول في آينة . وفي داك الحي ايضاً اشوا عدة ساحات ذات مصانع مثل ساحة قيصر وساحة اعسطس وساحة رفا زساحة تراجان وهي ازهاهن

استخدم الرومان (١) في ابنتهم الحجارة التي وقعت تحت ايديهم في البلاد يرصفونها بمبلاط

(١) لا ينبغي ان يعرب عن الازهان ان الصناعات الرومانية هي كالأداب الرومانية

متين صنع بالكلس والرمل، بحيث اتت عليه الف وثمانمائة سنة وهو لم يتحت بما اصابه من الرطوبة . ولا نقرأ في مصانع الرومان تلك البهجة التي نتجلى على المصانع اليونانية بل انها متسعة متينة راسخة القواعد شأن افتح الروماني . وما زالت ارض البلاد الى يومنا هذا طالحة بانقاض تلك المصانع ولم يرح الباحثون يعترون حتى في قفار افريقية والدهشة آخذة منهم على مصانع رومانية محفوظة سالمة . ولما أريد جلب الماء الى تونس لم يعملوا الا ان اصلحوا مجرى النهر الذي أنشئ في العهد الروماني .

التجارة — اصححت رومية اعظم مدينة في العالم (ويذهبون الى انه حاء عليها زمن كان فيها مليون نسمة) فكانت بالطبع مركز تجارة المملكة . ولقد مصت العصور القديمة والمتاجر لنقل في الماء اي في البحار وفي الانهار اكثر من الطرق التي يقضيها محلات ثقيلة لنقل تلك المتاجر . فكانت المتاجر لنقل الى رومية من طريق البحر خاصة فنقلها السفن الى مرفأ اوستي عند مصب نهر التيبر ومنها توسق في قوارب تصعد النهر حتى تصل الى سفح جبل افنتين وتنزل تنحها في مرفأ رومية . وكانت البصائع الخاصة ببقية ايطاليا ترفع في مرفأ بوزول في خليج نابولي ومن هناك يرسلونها في الطرق وادا تيسر لم يرسلوها في قوارب تسير على الساطيء او تجري صعداً في الانهار تجرها الخيول

وكانت رومية وايطاليا تصرفان اكثر مما يتحاجن تجارتها خاصة تجارة واردات وكان تجار من الطليان يدرلون في اهم مرافيء العالم يجمعون فيها حاصلات كل بلد ليبيعوا بها الى رومية . وكنت تجد في كل بلد مركزاً للتجارة مثل البرمة في صقلية وقرطاجنة في افريقية والاسكندرية في مصر ومن هذه البلاد كانت تجلب الى رومية الحبوب والريت والفاكهة والبقول النافسة ومن المراكز التجارية افير في آسيا الصغرى واطاكية في سورية ومنها كانوا يرسلون الاصواف والاقمشة والحنطة التي تجرحها البلاد الداخلية . ومن هذه المراكز اوبيا على ساطيء البحر الاسود واليه كانت تأتي حنطة روسيا . ومنها قادش في اسبانيا كانت ترسل الى رومية فضة الملاحم واوانار شنكيا (في الاندلس) ومن هذه المراكز نارون وارل في االيا كان يجلب اليهما في نهر الرون حلود بلاد الغال واحسابها (اما مارسيليا فكانت سقطت منزلتها القديمة ومرسى فيرجوس اصح ميناء حربية) .

وكان الرومانيون يجلبون ايضاً لصائع من خارج فيبيعون اليهم الشرق بادوات الربة والرفاهية كالعطور والابازير (الفلفل وجوز الطيب والرنجيل) والنيلة والعاج والاحجار لم نبدأ بيد صناعات من الرومان بل بيد اناس من سكان الولايات ربما كانوا من العبيد ولم يكن تمت روماني الا الرجل الذي يعملون له اعمالهم

الكريّة واقشة الصوف والحرير والعبيد السود والحيوانات النادرة (ولاسيما القروء) فكانت تجلب الى الاسكندرية من طريق البحر الاحمر او في النيل وتأتي الى انطاكية من طريق الخليج الفارسي وبادية الشام (مع القواصل) والى اولبيا من طريق بلاد فارس وبحر الحزر وكان الرومان يستخرجون من بلاد الشمال المواد التي لم تهذبها يد الصناعة مثل عنبر البلطيق وقصدير انكلترا وكان يأتي من طريق غاليا الجلود والاديم والشمع وشعور النساء والعبيد أغسطس — مات أغسطس ولم يخلف ورثته مباشرة خلفه ابن زوجته تiber وهو الذي تبناه وصي نصف قرن والامبراطور ابدأ رجل من أسرة اغسطس وادرك الرومان منذ ذاك فساد هذه الطريقة

وكان للامبراطور مدة حياته سلطة مناهية لاحد لها فهو الحاكم على هواه في الاشخاص والاموال يحكم بالقتل ويصادر الاموال ويهلك من يريد اهلاكه بدون رقيب لا يقف امام ارادته حاجر من نظام ولا قانون . حتى قال المسترعون الرومان : ان لامر الامبراطور قوة القانون . وبذلك عرفت رومية الاستبداد الذي لانهية له على نحو الاستبداد الذي كان يجري في المدن اليونانية استبداد لم ينحصر في سور ضيق من مدينة بل كان عظيماً كالمملكة . وكما كان في يونان ظالمون اهل حشمة ووقار كان في رومية امراة حكام مختسمون ولكن قل في هؤلاء من لم يستهزم دوار السلطة عند ما يرون اهم بلغوا ارقى رتبة يصل اليها انسان . ومن امراة رومية من لم يستخدموا سلطتهم التي لم يسمع بتلها الا لترسل اسماؤهم كالامثال فصرب المثل نيرون وظله و بكلود حليفة تiber وسخافته وكاليجولا وجبوه المطبق وتقليده حصانه رتبة قنصل وتطاوله الى ان يعبد كالارباب . فكان الامراة يصطهدون الاشرف خاصة ليحولهم عن كيد المكاييد ويضغطون على الاغنياء ليصادروا اموالهم

وكانت هذه السلطة المتناهية سيئة النظام وهي تتمثل كلها في شخص الامبراطور ومتى هلك يجمت فيما اتاه من الاعمال . كان القوم عارفين بان العالم لا يستغني عن سيد ولكن ليس في شريعة ولا عادة ما يستدل به على ماهية دالك السيد . فكان من حق مجلس الشيوخ وحده ان يعين الامبراطور ولكنه يختار ابدأ بالقوة من اختاره الامبراطور السالف أو رضي عنه الخند . ولقد عثر حراس القصر الامبراطوري بينا كانوا يبحثون فيه عقيب وفاة الامبراطور كاليجولا على رجل احتبياً وراء الفرش وهو ترتعد فرائضه فرأوا انه من انساب كاليجولا فعينه الحرس امبراطوراً وكان هو الامبراطور كلود

الحرس الامبراطوري — كان يحظر زمن الجمهوريّة على القائد ان يأتي في جيشه الى المدينة فاصبح الامبراطور رئيس الجيوش كلها وله في رومية حرس عسكري مؤلف من نحو

عشرة آلاف رجل أقاموا منذ عهد تير في تكينة حصينة بالقرب من المدينة . وبتخب هذا الحرس من قدماء الاجناد وتدر عليه الرواتب الكثيرة وتوالى عليه الاحسانات وبهؤلاء الجنود يعتز الامبراطور فلا يخاف بائقة تصيبه من الناقمين عليه من أهل رومية بيدان الخطر كان يأتي من الحرس نفسه واذ كانت الموة معهم اعتقدوا بانه يحل لهم ان يأثوا كل شيء وكان زعيمهم أوسع سلطة من الامبراطور

التورات والحروب — استشاط أشراف الرومان عصباً مما أثاره نيرون من الفطائع وضروب الجون فحدا سخطهم ببعض الولاة الى الانتقاض وحلح الطاعة فستعرا ذاك مجلس الشيوخ بقوة يستند اليها فأعلن بان نيرون عدو عام فلم يسعه الا الهرب ثم الانتحار . وبعد موته (٦٨) وقع اختيار مجلس الشيوخ على والي اسبانيا المدعو غالبا فعينهوه امبراطوراً ولكن الحرس الامبراطوري لم يره كريماً جواداً فذبحه ونصب مكانه أحد ندماء نيرون واسمه أتوب . تم ان الجنود المراقبة في تحوم جرمانيا ارادت ان تنصب بنفسها امبراطوراً فدخلت فرق هيرالرين الى ايطاليا فصادفوا الحرس الامبراطوري بالقرب من كويمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة في وقعة شعواء أجدت بطري الليل تم نصبوا الامبراطور الذي اختاره مجلس الشيوخ وهذا القائد فينليوس

وفي دالك الحين انتخب جيش سورية زعيمه فسباسين الذي قاتل فينليوس وعين مكانه (٦٩) وهكذا اصبت رومية ثلاثة امراة في سنتين وأرل الجند ثلاثة امراة عن عروشهم . وفي خلال هذه الحروب نهب جنود جرمانيا مدينة وحرقت معبد الكانتول . الفلافيون — نصب فسباسين امبراطوراً فوطد أركان السلم وكان ايطالياً وهو حفيد أحد الفلاحين حافظ على عادات له في الاقتصاد والادخالة في عيشه . فرأى القسم الاعظم من مجلس الشيوخ قد تفرق تعلمهم والاسرات القديمة قد بادت أو هلكت فاستعاض عنها بأسرات ايطالية أو من اهل الولايات ولما تجدد مجلس الشيوخ على هذه الصورة كف عن اداء العداء للامبراطور فخلف فسباسين أولاً (٧٩) انه تينوس الذي مات للحال تم ابنه دومنسين (٨١) الذي كان قاسياً عداراً مثل ظلمة اليونان

الانطونيون — اشتهر الحمسة الامراة الآتون وهم نرفاوترا جان وادريان وانطونين ومارل أوربل (٩٦ — ١٨٠) بالحمسة والحكمة ويدعونهم الانطونيين (وهذا الاسم لا يوافق في الحقيقة الا الآخرين منهم) ولم يكونوا من نسل البيوت القديمة في رومية بل كان تراجان وادرين اسبانين وولد انطونين في نيم ولم يكونوا أمراء من أسرات امبراطورية خلقت لتولي رقاب الناس منذ ولادتها . وقد تولى الحكم اربعة امراة وهم عقيون فلم

يتسنى نقل الحكم بالوراثة . وكان الامبراطور يختار كل مرة من قواده وولاته أقدر رجل يحلفه ويتبناه ويعينه باختيار مجلس الشيوخ له وهكذا لم يبلغ عرش الامبراطورية الا اناس مخنكون يحلفون آباءهم في مركزهم بدون قال وقيل .

ولقد كان عصر الانطونيين اهدأ العصور التي عرفها العالم القديم والحروب تنشب بعيدة عن تحوم المملكة ولم يحدث في الداخلية تنقب عسكري ثباتاً ولا مظلمة ولا أحكام جائرة . فكبح الانطويون حماح الجند بتدريبتهم على النظام ونظموا المحاكم ومجلس الامبراطورية وهو مؤلف من الفقهاء والمشرعين واستعاضوا عمن حرروهم من العبيد الذين طالما سحق الرومانيون عليهم على عهد الاتني عتس قيصرآ باناس من الموظفين النظاميين احتاروهم من أشرف الطبقة الثانية (يعني الفرسان) وما عاد الامبراطور ظالماً يخدمه جند بل كان حقاً الحاكم الاول في الجمهورية لا يستعمل سلطته الا لما فيه نفع شعبه

حارب الانطويون حروناً كثيرة ليدفعوا الشعوب المحاربة التي كانت تحاول مهاجمة الامبراطور من ناحيتين . حاربوا في أسفل نهر الطونة الداسيين وهم شعب بربري سكن البلاد الجبلية ذات العانات التي سميها الآن تراسلفانيا كما حاربوا على الفرات حكومة البارتيين العسكرية الكدرى التي كانت جعلت المدائن عاصمتها قرب بابل وكانت مملكتهم تمتد على طول بلاد فارس .

ولقد حمل تراجان على الداسيين عدة حملات واجتاز الطونة ورجع في ثلاثة مواقع واستولى على عاصمة ملك الداسيين (١٠١ - ١٠٢) وتفضل عليهم بالصلح ولما عاود الداسيون الحرب عمد تراجان ان يأتى عليهم فاتساً على نهر الطونة جسراً من حجر وهاجم ولايتهم فضمها الى المملكة الرومانية (١٠٦) وأرسل فيها طواريء ومستعمرين أتتوا فيها مدناً وأصحت ولاية داسيا بلاداً رومانية تكلم اهلها باللاتينية وتحلقوا بالاخلاق الرومانية .

ولما اجملت الحيوس الرومانية في اواخر القرن الثالث كانت قد استحسكت اللغة اللاتينية من الداسيين وظلت شائعة في بلادهم خلال القرون الوسطى على الرغم من عارات برابرة الصقالبة . وقد اطلق على الشعب الذي يسكن اليوم السهول في شمالي الدانوب اسم رومية فيدعى الروماني ويتكلم بلغة مشتقة من اللاتينية كالفرنسية والاسبانية

حارب تراجان الباربيين ايضاً فجاز الفرات واستولى على « المدائن » وهي عاصمتهم وتوغل في احتساء البلاد الى فارس ودخل الى سوس واحذ منها عرش ملوك فارس المعمول من الذهب الاصم . وانشأ اسطولاً على دجلة ونزل في النهر حتى مصبه وابتدر في حليج فارس

واستخلص من البارتهين البلاد الواقعة بين بلاد المرات ودجلة وجعلها ولايتين روميتين بيد ان هاتين الولايتين انتقضتا بعد سفر الجيش الروماني .

اما الانطونيان الاحبران وهما انطوين ومارك اوريل فقد سرفا الامراطورية بنضائلها وكان كلاهما يعيش ببساطة كما يعيش الافراد على غناها دون ان يكون لهما ما يشبه قصرًا او سرايا وان يتعرا بأنه كانت لهما سلطة وسيادة

واقدر لقب مارك اوريل على العرش بالحكيم وكان يحكم البلاد مدفوعاً بعامل الواجب على غير ارادته ومع انه كان يؤثر العزلة قصى حياته في الحكم وقيادة الجيوش . وانك اترى فيما حطه في تذكرته البيئية من افكاره صورة الفيلسوف الرواقي الصالح الراهب العازف عن العالم وهو على جانب من اللطيف والحلم قال . « أحسن الاساليب في الانتقام من الاشقياء هو ان لا يعمل المرء عملهم والارباب انفسهم يعطفون على الاشقياء فلك ان نقندي بالارباب »

واقدر كان مارك اوريل يأخذ برأي مجلس الشيوخ في عامة المسائل ويحصر جلساته بدون انقطاع . واقدر وقف في وجه كثير من التعوب البربرية الجرمانية يرد عاراتها ويدفع عاداتها تلك القبائل التي اجتازت الطونة على الحليد ودخل الى شمالي ايطاليا واقتضى له ان يؤلف جيشاً جند عبيداً وبرابرة (١٧٢) فاسحب الجرمانيون ولكن بينا كان مارك اوريل مستعولاً في سورية بقتال أحد القواد المتمردين عادوا على اعتقالهم وهاجموا الامبراطورية ومات مارك اوريل على ضفاف الطونة (١٨٠)

ولما وقفت الفتوح (بعد تراجان) كانت الامبراطورية تمتد على طول جنوبي اوربا كلها وعلى طول الشمال من افريقية والغرب من آسيا ولا يقف في سبيلها الا الحدود الطبيعية فمن العرب البحر المحيط ومن الشمال جبال ايكوسيا ونهر الرين والطونة وقافقاسيا ومن الشرق بوادي المرات وبلاد العرب ومن الجنوب سلاسل الليل والصحراء الكبيرة . فكانت الامبراطورية الرومانية عبارة عن البلاد التي تتألف منها اليوم كل من انكلترا واسبانيا وايطاليا وفرنسا والبلجيك وسويسرا وبافيرا والنمسا والمجر والبلاد العثمانية في أوربا ومراكش والحزار وتونس ومصر وسورية وفلسطين والاناضول أي انها ضعفا مملكة الاسكندر .

السلم الروماني - ابطال الرومان الحروب في داخلية بلادهم باخضاع جميع التعوب لسلطانهم . فتوطد السلم الروماني الذي وصفه احد كتّاب اليونان بما يأتي: « لكل فرد ان يذهب حيث شاء فالمرافق غاصة بالسفن والجبال أمينة على ساكنيها أمن المدن لما كنفها

ولم يبق داع للخوف وقد طرحت الارض سلاحها الحديدى القديم. نجلت في نياب الاعياد .
 وها انتم أولاء قد حققتم قول هوميروس بان الارض ملك للجميع»
 فاصبح الناس في العرب للمرة الاولى في حل من اثناء بيوتهم وزرع حقولهم والاستمتاع
 باموالهم واوقاتهم دون ان يكونوا كل ساعة عرضة لمهدد يتهددهم باستلابها منهم او ان
 يذبحوا او يقادوا كالا سرى والعبيد . وهذا أمان قلما نقدره قدره اذ قد تمتعنا به كلما منذ
 الصغر ولكن الطائر انه كان يعد من حسنات الامور البائرة عند القدماء
 * سهلت الرحلة في تلك الامبراطورية المسالمة وأتت الرومان طرقاً في كل مكان مع
 محطات ومواقف وصنعوا مصورات (خراائط) لطرق المملكة وكان كثير من ارباب
 الصاعات والتجار يرحلون من طرف الى طرف آخر من المملكة . ويرحل علماء البيان
 والفلسفة في بلاد الامبراطورية داهبين من مملكة الى أخرى . هم يلقون المحاصرات .
 وكان ينزل في كل ولاية أناس من اعلل الولايات القاصية فقد دلت الكتابات على
 الاحجار انه كان في اسبانيا اساتدة ومصورون ونقاشون من اليونان وفي االيا صياغ وصناع
 آسايابون

وجميع هؤلاء كانوا ينقلون عاداتهم وصناعاتهم واديانهم ويمزجونها بما يروونه عند الامم
 التي ينزلون عليها تم يعتادون بالتدريج على التكلم باللغة الرومانية وما ابلج بحر القرن
 الثالث عشر حتى عدت اللاتينية لغة بلاد الغرب المشتركة كما صحبت اليونانية لغة الشرق منذ
 قام حلفاء الاسكندر . فنشأت في رومية كما نشأت في الاسكندرية حضارة مشتركة
 سموها الحضارة الرومانية ولم تكن كذلك الا باسمها ولعتها واجتمعت حضارة العالم القديم في
 قبضة الامبراطور

الامبراطورية الرومانية في القرن الثالث

السيفيريون — بدأت الفتن الاهلية بعد عهد الامبراطورة الايطونيين فدبح الحرس
 الامبراطوري سنة ٩٣ : الامبراطور برتيناكس ورأوا ان يضعوا المملكة في المراد فنقدم
 طالبان : يدان ابتياعها احدهما سوليسين تقدم على ان يعطي كل جندي خمسة آلاف فرنك
 والثاني ديدبوس رفع ما يدفعه لكل جندي الى ستة آلاف فرنك فحمله الحرس الى مجلس
 الشيوخ وعينوه امبراطوراً ثم لم يستطع القيام بما تعهد به فدبحوه

وفي حلال ذلك بويع بالملك ثلاثة قواد لثلاثة جيوش كبيرة وهما قائد برتانيا وقائد
 ايليريا وقائد سورية وسار هؤلاء الثلاثة المتنافسون الى رومية فوصلت فرق ايليريا قبل
 غيرها فعين مجلس الشيوخ القائد سبتيم سيفير امبراطوراً على رومية فنشبت عندئذ حروب

سالت فيهما الدماء انهاراً احدهما لمدافعة جيش سورية والاخرى لمدافعة جيش برتانيا وظلت لسيفير الكلمة النافذة مدة سنين وهو الذي اوجز سياسته في كلمتين فقال : « ايها الابناء ارضوا الجند واهروا بن بقي »

الفوضى والغارة — مضى قرن ولم يكن قاعدة في الحكومة عبر ارادة الخند وكان في الامبراطورية ما خلا جيش الحرس الصغير في رومية عدة جيوش كبيرة على مهر الرين والطونة والشرق وانكترا . وكل جيش يود ان يجعل قائده امبراطوراً او المنتمون يتقاتلون حتى كتبت العملة لواحد محكم لصع سنين تم قتل (١) واذا اسعده الحط بنقل السلطة الى ابنه من بعده فالجيش يتمرد على انه ذاته وتعود نار الحرب تستعر .

وفي ذاك الحين نشأ امبرطرة عرائ في اطوارهم فكان ايلاجابال كاهناً سورياً لبس ثياب امرأة وترك امه توألف مجلس شيوخ من النساء (مجلس شيوخات وعجائز) ومنهم الامبراطور ماكسيميان وهو هندي بالعرض وحبار قاس وسفاك كان يأكل على ما يقال ٣٠ ليرة من اللحم ويتسرب عشرين ليرة من الخمر . وجاء رمن على هذه المملكة والدين يدعون الامبراطورية ثلثون امبراطوراً انقطع كل منهم الى ناحية من المملكة (٢٧٨-٣٦٠) وسمى نفسه امبرطوراً فدعي هؤلاء الثلاثون بالثلاثين ظالماً .

وبينا جند البلاد متعولون يقتال بعضهم بعضاً كان يرى البرارة ان التحوم حالية من الحامية فيجنازون ارض الامبراطورية ويحربونها . وكان اقليم عالياً خصوصاً هو الذي يقاسي الامر من هذه العارات في القرن الثالث فتجنازها عصامات من الحاربين الجرمان كالامان وانفرنك واذ لم يجدوا فيها مدناً حصينة ولا حيوشاً هبوا المدن وحرقوها واحذوا ماشاءوا من اهلها اسرى معهم وذبجوا الباقين . وقرصان الكسون يحربون شواطئ بحر المانش كان هذا القرن الذي انقضى في حروب قرن حرافات فكانت تجدي كل مكان اناساً يبدون ارباب المشرق مثل الرب ايزيس واوزيريس والربة الكرى ولكن ميترا وهو رب فارسي رب عام اكثر من الارباب قاطبة في الامبراطورية . وميترا الشمس وهي مصورة في المصانع الى انتشت اكراماً لها وهي تصرع توراً وقد كتب عليه ما يأتي : « للشمس التي تغلب الرب ميترا » وقد عثر على مثل هذه الرسوم في جميع اجزاء الامبراطورية . وعبادة الشمس ملتبسة مبهمه وهي احياناً اشبه بالتمعائر المصرية فيكون فيها عماد وولائم مقدسة ومسحة وتوبة وشموع ولا حل ان يقبل المرء في جملة اهل هذه العبادة يجب القيام باعمال من صوم ومحن مخوفة

(١) قدروا ان عدد الامبراطرة من القرن الاول الى الثالث ٤٥ مات منهم ٢٩ قتلاً

وقد كان دين ميترا في اواخر القرن الثالث الدين الرسمي في المملكة . ودان الامبراطرة والحيش بهذا الرب القهار ولهذا الرب في كل مكان معابد على شكل مغاور ذات مذابح ونقوش بارزة وكان في رومية ايضاً معبد فحيم انتساء الامبراطور اورليان . وكان من اسد الحاجات الماسة في داك العهد البقاء مع الارباب على صلح ووثام فاخترعوا حفلات لتزكية النفس فيلبس المؤمن توناً ابيض مربنا بالذهب ويقعد في اسفل هوة فيطبقونها على رأسه بلوح من الحشب متقوب ويأتون بشور يقفونه على هذا اللوح فينخره الكاهن فيجري دمه من الثقب على انواب المؤمن ووجهه وشعره . وكانوا يعتقدون ان هذا التعمد بالدم يطهر المرء من السيئات كافة ومن يجري له يكون كيوم ولدته أمه في حياة جديدة ويخرج من الحفرة شمع الصورة ولكنه سعيداً مغبوطاً .

احتلاط الاديان — احدثت الاديان كلها في هذا القرن الذي تقدم فيه فوز النصرانية على غيرها بالاحتلاط فتعبد الشمس تحت اسماء منوعة اوهي التربية وهايوس وعمل وايلكابال وميترا) وجميع هذه العبادات منسوخة بعضها عن بعض وكثيراً ما تجري على مثال العبادات النصرانية ومن اعظم الامثلة في هذا الاحتلاط الديني ما كان يتوفر عليه اسكندر سيفير الامبراطور المحتشم الطيب ذو الدمة فقد كان في قصره مصلى يعبد فيه المحسنين للانسانية وهم ابراهيم واورفيه ويسوع وانولونيوس دي تيان .

ديوكسين — بعد مرور زمن في الحروب الاهلية قام امبراطرة تمكثوا من وضع حد للتعبد وكانوا قساة عاملين وجنداً ترقوا في درجات الجندية حتى اصبحوا زعماء وقواداً ثم صاروا امبراطرة . ويكاد يكون مستأً معظم اولئك الامبراطرة من ولايات نصف متوحشة كولايات الطوبة وايلريا وبعضهم كانوا في طفولتهم رعاة او مرارعين . وكانوا في سذاجة اخلاقهم على مثال قدماء قواد الرومان ولما ظلمت وفود ملك فارس ان يروا الامبراطور ربوبس رأوه شجاعاً اصلع يلبس عباءة صوف ويضطجع على الارض وينناول حمصاً وشحم حنير وكانت هذه سيرة كوربوس دانه توس قبل خمسة قرون

واقدر كان هؤلاء الامبراطرة اسداء على الحند فاحدثوا في الحيش نظاماً وفي البلاد اماناً ولكن نتأت بحكم الصرورة بورة اصرم نيرانها الامبراطور ديوكسين الذي تدرج من الجندية الى تولي مقام الامبراطورية (٢٨٥) ونازل عن الملك بعد ان نظم شؤون الامبراطورية .

ولم يعد يكفي رجل واحد لتولي الحكم في تلك البلاد المتسعة والدفاع عنها فاتحد كل امبراطور له كما اتحد ديوكسين من انسبائه واصحابه اثنين او ثلاثة يوازره

وعهد الى كل واحد النظر في جرد من مملكته . وفي العادة ان 'يدعوا باسم « قيصر »
ويحدث أحياناً ان يتولى امبراطوران متكافئان يدعى كلاهما باسم اعسطس ومتى هلك
احدهما يحلعه احد القياصرة اما الجيوش فلا تتطاع ان تنصب امبراطورة .
واتسعت الولايات اي اتساع حتى ادى ذلك نديوكلسين الى تقسيمها فكان عددها
٤٨ ولاية في القرن الثاني فاصبحت زهاء ٩٠ ولاية (وعدت عاليا سبع عشرة ولاية بعد ان
كانت سبعاً) واسمى الحرس الامبراطوري في رومية حطراً على البلاد فاستعاض
الامبراطور ديوكلسين عنه بفرقتين سماها فرقتي القصر .

المدنية الرومانية على عهد الامبراطورية

مدينة بومبي — ذكر بلين الفتي في كتاب له قصة توران بركان فروف (سنة ٧٩)
الذي هلك فيه حاله بلين القديم . وكان المعلوم ان هذا البركان اخرب مدينتين صغيرتين
رهتين وهما هر كولانوم وبومبي ولكن لم يعرف احد موقعهما . واكتشفت في القرن الثامن
عشر بالعرض مدينة هر كولانوم معتاة لطبقة من اللحم تم كشفت مدينة بومبي مدفونة تحت
طبقة من الرماد وحجر الكذا . وبديء بالبحث في هر كولانوم فعثر فيها على تماثيل صغيرة
جميلة ومدارج مخطوطة محروقة توصل العلماء الى حل بعضها ولكن حالت صعوبة
العمل في اللحم فوق الباحثون عن التوفر على ما كانوا يدوؤا به . وآثروا ان يحثوا في بومبي
حيث يسهل ريع الرماد وقد مضى القرن التاسع عشر واجمعه والمهم متوفرة على ريع الرماد
عن المدينة حتى كادت تظهر بأسرها الآن كما كانت .

ظهرت بومبي الانظار على ما كانت عليه قديماً وقد سقطت السقوف من ثقل الرماد
وفر السكان من كثير من البيوت عند وقوع هذا البلاء تم عادوا يفتشون عن اهم الاعلاق
وانفس النفائس . وما رحلت الحيطان قنمة ولم تمنع منها الاعلانات المكتوبة بالحجارة بل ما
زلت ترى فيها الخطوط التي حطها المارة بانفهم وسلمت التوارع وبلاطها المحفور بسير المركبات
والعجلات . وقد وجدوا ايضاً على الرماد ما تركته حثت الدين هلكوا احتناقاً من الرسوم
وقد توصلوا بان جعلوا جيساً مائعاً في تلك الرسوم واحرجوها فكانت قوالب لتلك
الاجساد الميتة .

العيثة الرومانية — تصور بومبي للفكر كيف كانت العيشة في مدينة رومانية صغيرة
فتد كانت هذه المدينة حديثة البناء ذات شوارع مصفوفة مقطوعة الى زوايا قائمة ومبلطة
ببلاط محكم الاجزاء ولها ارضنة الا ان الشارع الاعظم كان معوجاً وبلغ من ضيقه ان
كان يتمذر على مركبتين ان تلتقيا في وسطه .

ولم يكن للمساكن غير نوافذ صغيرة وقليلة تطل على الشارع بل كانت للغرفة كلها نوافذ من وسط الدور يدخل اليها النور . وهذا عرفت ان الشوارع كانت محاطة بجدران ما عدا الشوارع الرئيسة وعلى طولها صفوف من الحوانيت يستأجرها السوق والباعة . وساحة المدينة متوسطة الحجم تحيط بها المباني والمصانع مثل ديوان مجلس شيوخ المدينة ومعابد صغيرة ومحاكم وسوق مستوف ورواق ذو عمد وفيه كان يجتمع اهل البطالة وفيها داران للتمثيل حفر القسم الاعظم من الكبير منهما في أكمة وهو يسع خمسة آلاف منفرج والصغير يسع ألفاً وخمسمائة وفيها مشهد ذو درجات على شكل نصف دائرة « انفيثياتر » نقام فيه الالعب ويتصارع فيه المصارعون . وفيها ثلاثة حمامات عامة (على الاقل) لا صغرها وهو الذي حفظ اكثر من غيره مقصورة للاستحمام واخرى للحمام السخن وتالفة للبارد وصوان (محل التياب) وليس في الدور غير احوة ومقاعد ومناديق وسرر وتعمدانات وكثير من المصابيح اذ لم يكن القدماء يكترون من الاتات . اما العرف فصغيرة ويجعلون الرينة كلها في قاعة الاستقبال الكبرى الا ان مصايغ اعني اعياء السكان مبلطة بالفسيفساء والحدران معتاة بصور جميلة فيها متاهد اساطير وتزيينات من الكايل وازهار اما الحوانيت فحالتها تتعرب بضعف التجارة والحوانيت باعة المستروبات اشارات مصورة وقد صوّرت في احداها صورة باحوس (رب الكرم) يعصر عنقوداً . وكتب على حانوت آخر : « هنا فندق يؤجر عرفة ذات ثلاثة سرر » وقد عثروا في تلك المدينة على مخبر فيه رحبان تداران باليد وعلى معمل لقصر التياب ودكان حلاق وبيت جراح وادواته من القلر (الخماس الاصفر) ومعمل نقش ودباعة .

المتاهد — كان للمتاهد في حياة هذا الشعب العطل من الاعمال في رومية شأن يصعب علينا تصويره فكانت المتاهد كما في يونان عبارة عن العاب اي حفلات دينية ونتعاقب المتاهد طول النهار وتعود من الايام التالية مدة اسبوع على الاقل . والمشهد عبارة عن موعد لتواعد اليه الامة الحرة باسرها وهما كانت تقام المظاهرات في حلال الحروب المدنية سنة ١٩٦ احدى المتفرجون لسان واحد يهتفون : السلم . والمتشهد (الفرجة) كان بحسب ما تميل اليه النفوس في ذاك الزمن فقد متل فيه ثلاثة امبراطرة فمثل كاليجولا في هيئة حودي ونبرون ممثلاً وكومود مصارعاً . وللمتاهد ثلاثة اصرب وهي المرح او المسرح (المرح) والملاعب وتشكل نصف الدائرة (انفيثياتر) وكان المرح على الاسلوب اليوناني والممثلون يلبسون وقد جعلوا اوجها مستعارة على وجوههم يتخضون قصصاً اخذوها من اللغة اليونانية . ولما كان الرومان يقدررون مثل

هذه الروايات قدرها لانها تعلق عن عقولهم وكانوا يؤثرون الروايات المضحكة الجافة المعروفة بالميم ولا سيما «البانتوميم» التي يستخلصها الشخص دون ان يتكلم و يظهر عواطف الاتخاض الذين يمثلهم بحركاته وسكناته . تمتد بين اكميتين من جبل افانئين وبالنتين ساحة للسباق تحيط بها اروقة علتها مراق وادراج . وهذا المكان هو الملعب الاعظم اصبح يسع منذ وسعه نيرون ٢٥٠ الف متفرج . ثم وسع في القرن الرابع حتى صار صالحاً لاجلاس ٣٨٥ الف شخص وهناك كانوا يمثلون الفرحة التي يحبها الشعب الروماني وهي سباق المركبات ذات الاربعة الخيول فالمركة الواحدة تطوف الملعب من اقصاه الى اقصاه ثلاث مرات وعليها ان تقطع ٢٥ سوطاً في اليوم الواحد . وسائقو المركبات تبع لشركات تراحم كل منها الاخرى و يلبسون لونا من الالبسة خاصاً لشركتهم فكانت الشركات اربعاً باديء بدء تم استحوالت تسين وهما الرقاه والحصراء ولكليهما شهرة في تاريخ التمرد . ولقد اوع القوم في رومية بسباق المركبات كما يولع الناس اليوم اسباق الخيل حتى كان موضوع حديث النساء والاولاد ايضاً وكثيراً ما يتعصب الامبراطور لهريق دون آخر في السباق وتكون من النزاع بين الزرق والخضر مسألة سياسية

انتسأ الامبراطور فسبازين على ابواب رومية بناء الكوليزة وهي عمارة ضخمة ذات طبقتين تسع سبعين الف متفرج كانت عبارة عن ملعب مستدير حول ميدان يصطادون فيه ويتقاتلون فاذا ارادوا الصيد يجعلون الميدان غابة يطلقون فيها الوحوش الكاسرة فيجئ رجال مسلحون بحراب يصيدونها . وكانوا بنوعون المشهد يجعل الحيوانات الكثيرة في هذا المكان ولا سيما النادر منها كالاسود والفهود والفيلة والديبة والجواميس والكركدن والزرافة والتمور والتاماسيح . وظهر في الالاعاب التي احتفل بها الامبراطور يومى ١٧ فيلاً و ٥٠٠ اسد في الميدان وكانت لبعض الامبراطرة دار لعرائب الوحوش . تم رأى القوم بدلاً من ان يجعلوا الرجال المسلحين امام الحيوانات ان يطلقوا الحيوانات على الرجال وهم عراة مقيدون . وشاعت العادة في جميع مدن الامبراطورية باستخدام المحكوم عليهم بالاعدام في هذه التسلية فاقرست الحيوانات ألوفاً من الناس من كل جنس و سن ومنهم كثير من شهداء المسيحيين على مرأى من الحضور .

المصارعون — كان قتال المصارعين (رجال بأيديهم السيوف) من اجل المشاهدة الوطنية عند الرومانيين فينزل رجال مسلحون الى الميدان يتبارزون حتى يقتل بعضهم بعضاً وبلغ الحال بالرومانيين على عهد قيصران صاروا يقتلون ٣٢٠ زوجاً من المصارعين في آن

واحد وقد قتل اغسطس في حياته كلها عشرة آلاف رجل وقتل تراجان مثل ذلك في اربعة اشهر . وكان المغلوب يذبح في الحال الا اذا عفا الشعب عنه

وكثيراً ما يلقون باناس من المحكوم عليهم في ميدان الصراع ولكن المتصارعين يكونون في الغالب من العبيد واسرى الحرب وكل انتصار يجلب الى ميدان الصراع عصابات من البرابرة يقتل بعضهم بعضاً ليتلذذ المتفرجون (١) وكان في رومية مصارعون من كل بلد منهم العاليون والجران والتراسيون وربما كان منهم الرنوج فيقتتلون بالسلمحة مختلفة عن اسلحتهم الوطنية عادة . وكان يحب الرومان ان يروا هذه المقاتلات في صور مصغرة .

وكنت ترى بين هؤلاء المقتتلين في الملعب اناساً من المتطوعة الاحرار حدا بهم حبهم للخطر ان يقدموا انفسهم للصراع وقواعد القاسية وان يقسموا لرعائهم بانهم يقدمون ليصربوا بالعصي ويحرقوا بالحديد المحمى ويقتلوا ثقتيلاً . وقد تجدد غير واحد من اعضاء مجلس الشيوخ من هذه العصابات من العبيد والمشردين بل تجدد في زمرتهم الامبراطور كومود وبل الى الميدان بذاته . ولا نقام هذه الالعب الخطرة في رومية فقط بل في جميع مدن ايطاليا وعاليا وافريقية (اما اليونان فقد استنكفوا من قبول هذه الالعب) واليك صورة كتبت على تمثال اقيم لاحد اعيان بلدة منتورن : « قد اظهر في اربعة ايام احد عشر زوجا من المصارعين ما برحوا يقتتلون حتى بعد ان سقط نصفهم في الميدان وصاد عشرة دبة هائلة ولا تلك انكم تذكرونه ايها الوطنيون الاشراف »

وكان الشعب يهوى اهراق الدماء على نحو ما يجري اليوم باسبانيا في سباق الثيران . وينبغي للامبراطور كما ينبغي للملك اسبانيا ان يحضر هذه المجازر . ولقد فقد الامبراطور مارك اوريل ثقة العامة في رومية لانه اظهر مللاً من مشاهدة تلك الالعب فكان يقرأ ويتكلم ويقابل الناس بدلاً من ان ينفرج . ولما صحب معه المصارعين لستخدمهم في قتال الدابة الذين هاجموا ايطاليا اوشكت الغوغاء ان تمرد وصرخوا قائلين : « انه يريد ان يسلبنا تسليتنا ليضطرنا الى التفلسف »

المدارس = لم يخطر للقدماء قط ان يعلموا الاولاد كلهم فليس العبيد وحدهم بل السواد الاعظم من سكان الامبراطورية لم يتعلموا القراءة . على انه لم يكن في المملكة (١) شكر احد الخطباء الامبراطور قسطنطين في خطاب رسمي القاها لانه قدم جيشاً برمته من الدابة الاسرى ليتصارع امام الجمهور ولانه استعمل قتل الناس لتسليمة الناس . قال وليت شعري اي ظفر اجمل من هذا ؟

غير مدارس للاغنياء وللوطنيين الرومانيين . وقلما نعرف المدارس التي يتعلم فيها ابناء الوطنيين والاجناد القراءة والكتابة . وقد كانت راتب معلم المدرسة قليلاً جداً وآباء الاولاد هم الذين يؤدون اليه راتبه . وطريقة التعليم عبارة عن ضرب الاولاد بقرعة او بالعصي . وقد مثلوا في صورة وجدت في مدينة بومبي ولدًا يمسكه اترابه بينما كان المعلم يضربه بالسوط .

وتعلم الأسرات الغنية اولادها على مؤدب عبد يكون رومياً في الغالب فيعلمهم النحو واللغة اليونانية . والمدارس العامة تقبل التبان الاغنياء خاصة يرسلهم آباؤهم اليها ليتعلموا فيها الخطابة . والعاء المناير لم ينزع من الداس دوقهم في الخطابة ومراهم عليها . وعلى ذلك العهد بدأ المفوهون او الخطباء يكثررون ويعلمون الناس كيفية الاداء فافتتحوا منذ القرن الاول في رومية مدارس يقبلون فيها الفتيان الاغنياء . وكان بعضهم يرن تلاميذه على انشاء المرافعات في موضوعات خيالية في الخطابة وقد حفظ لنا الخطيب سيسيان عدة من هذه الدروس الخطابية وموضوعها اولاد مخطوفون ولصوص ومتشردون على اساليب مختلفة أسست على الولاء مدارس من هذا الطراز في جميع اقطار المملكة فكان في االيا مدرسة قديمة في مدينة مارسيليا اليونانية يقصدها الطلاب من ايطاليا . واصبحت مدرسة اوتون منذ زمن اعسطس عامرة اكثر من غيرها بالطلاب وهي التي بقيت عامرة الى آخر ايام الامبراطورية .

ثم أنشئت مدارس من هذا النوع في الشمال منها مدرسة في ريمس واخرى في تريف . وكانت في الجنوب لعدة مدن مدارس من مثل هذه واشهرها هي التي اصبحت مدرسة بورردو بعد ذلك .

تنفق المدن على هذه المدارس فتعين لها الاساتذة وتدفع لهم اجورهم والمقصد الاول منها تعليم ابناء الأسرات الغنية التكلم باللاتينية واليونانية وان يكتبوا فيهما ليتمكنوا من ان يكونوا موظفين . ويعلم فيها النحو والبيان خاصة . وكان اشهر استاذ في مدرسة اوتون في القرن الرابع الخطيب اومين ارسله الامبراطور قسطنطين وكان مدحه . واعظم رجل في مدرسة بورردو هو اوزون مربى ابن الامبراطور (٢٦٩) ومؤلف عدة مقاطيع شعرية لاتينية متكلفة .

الاشراف — دثرت الأسرات القديمة الغنية في رومية الا قليلاً ولكن قام غيرها من الأسر الحديثة التي اغتنمت بالصيرفة والتجارة والتزام الجباية واستثمار الاراضي المفتوحة . وكما تمكن غني من ارباب الاملاك من ان يعينه الامبراطور حاكماً تشرف أسرته وبذلك شرفت

جميع الأسرات العمية في ايطاليا والولايات (حتى لم يبق في اواخر القرن الثالث اناس من
الفرسان العاديين) وكان كل عظيم من كبراء هؤلاء الملوك يعيش بين عبيده ملكاً صغيراً
لا عمل له الا اتباع الشهوات وداره في رومية اشبه بقصر تنص غرة التشريفات (الانريوم)
كل صباح باناس من الربن (الرنونات) وهم اناس من الوطنيين يحتفلون اليه لا مورطيفة
صباح كل يوم يسلمون عليه بالسيادة ويسارون موكبه في الشارع . لان الاصطلاح يطلب
ان لا يظهر العبيد امام الجمهور الا ويحيط به جماعة . وقد ضحك هوراس من احد
القضاة لمروره بتوارع تيبور في خمسة من العبيد فقط . وللكبراء خارج رومية مصايف
هجة على سواطيء البحر او في الجبال ينقلون فيها لا عمل لهم والضجر آخذ منهم

ولم تكن واجهات لبيوت هؤلاء الاغنياء من الرومانيين على العكس من بيوتنا الحديثة
بل كانت كلها دائرة من داخل اما من الخارج فلم تكن سوى حيطان عارية لا شيء فيها
والغرف صغيرة وفرشها قليل وهي مظلمة لا يدخلها الضوء الا من قاعة التشريفات وهي في
وسط البيت وفيها نصبت تماثيل الاجداد وفيها يستقبل الروار ويدخل اليها النور من شق
في السقف ووراءها البير يستيد وهي حديقة محاطة بصفوف من العمود وعليها تطل عرف
الطعام مزينة انحرزينة وفيها سرر لحلوس الضيوف ويتناولون فيها الطعام لان ذلك كان من
عادة اغنياء الرومان كما كان من عادة اليونان في آسيا . وكثيراً ما يكون بلاط الدار
معمولاً بالفسيفساء .

الاخلاق — وصف سينيك في رسائله وجوفنال في اهاجيه الرجال والنساء في عهدها
وصفاً مزعجاً حتى اصبح فساد رومية القياصرة مثلاً سائراً في الغابرين . على ان هذا ناشيء
من دوام اضطرابات القرون الاخيرة للجمهورية مثل بذخ الاغنياء الغليظ وقسوة السادة
مع عبيدهم وطيش النساء المزوج محنون . فلم يأت الشر من طريقة الحكم الامبراطورية
بل من الافراط في جمع تروات العالم اجمع بيد بضعة الوف من الاشراف او اذعياء الشرف
وتحتهم بضع مئات من الاحرار يعيشون عيشاً سافلاً وملايين من العبيد يظلمون ظلماً هائلاً
وكانت الاسرة الكبرى تندثر بسرعة حتى هال الامراطور اعطس ما رأى من
نقص عدد الرجال الاحرار فسن قوانين لحمل الناس على الزواج والعقاب على العزوبة واذ
كان تأثير هذه القوانين يحتاج الى زمن لم تنجح اصلاً . ولقد كثر عدد الاعزاب من
الاغنياء حتى غدت مداھنتهم من الصناعات الراجحة وذلك ليوصي لهم من يدهنون لهم بشيء من
المال يأخذونه بعدهم . ومن حسن التدبير ان لا يرزق الغني ولداً فيكون محاطاً بالمرائين
والمتعربين . قال احد القصصيين الروحانيين : « ينقسم الناس في هذه المدينة الى طبقتين

منهم من يصطاد ومنهم من يصاد» وقال سينيك : « ان في جرمان الاولاد زيادة نفوذ المرء » .

الطبقات النازلة — فقد اتميز بين الوطنيين الرومانيين والغرباء موقعه ومكانته اذ لم يعد في رومية انتخابات وشمل حق التملك على التدرج سكان الولايات . وجاء زمن على عهد كاراكالا (سنة ٢١٢) صدر فيه امر بمنح حق الوطنية لجميع سكان الامبراطورية ولم يشعر بهذا الامر كثيراً لان العمل كان جارياً عليه من قبل بالفعل ويمتاز الرجل امتيازاً خاصاً بتروته التي يملكها ويقسم الناس الى طبقتين : الاغنياء ويدعون اشرف الشرفاء وهم اعضاء مجلس السيوخ والفرسان واطباء مجالس السيوخ في المدن ولتألف منهم طبقة قواد العشرة اما بقية الشعب وهم العامة فيتألف منهم الفقراء المدقعون والسوقة الخقيرون .

فاشرف الاتراف وحدهم يحسبون في المجتمع وهم يقومون بعامة الوظائف المدنية وجميع موظفي الامبراطور من طبقة اعضاء السيوخ او طبقة الفرسان وجميع حكام المدن من قواد العشرة . ولهم كلهم امتيازات رسمية ومحال خاصة بهم في دور التمثيل وحضور الحفلات واذا حكم عليهم بالاعدام لا يصلحون ولا ياتي بهم للوحوش في المالب لان هذه العقوبات المخزية كانت خاصة بالغواة والعامة

ولقد عاش الفقراء في هذا المجتمع الارستوكراسي عيشة ضنكاً فيعيش فقراء رومية من الصدقات العامة او بالاحتلاف الى الاغنياء ومداهنتهم وهذه العيشة كانت صراً مسنوراً من التحاذه . ويصبح الفقراء في القرى مستعمرين في اراضي كبار ارباب الاملاك الذين يعاملونهم معاملة ثقب من معاملة العبيد وترى الفقراء في المدن صناعات او مرتقة ومنزلهم منزلة المعتقين من العبيد . واذا حسنت حال المدينة يكون لهم نصيب في بوزعه الحكم من الصدقات ويدخلون بدور احرة الى متاهد التمثيل والالعب والحمامات العمومية وكنت ترى في جميع المدن حمامات حارة مؤلفة من مقاصير للاستحمام ذات احواض تأتيا الحرارة من موقد جعل تحت الارض . والحمامات في مدينة رومانية كمحال الرياضة في المدينة اليونانية هي مكان اجتماع من لا عمل لهم . بل كانت الحمامات في مدن الرومان اعظم من محال الرياضة عند جيرانهم اليونان مئات من المقاصير على اختلاف اجناسها من مقصورة باردة الى فاترة الى حارة الى صوان للثياب ومقصورة لذلك البدن بالزيت ومحل للحادثة ومقاصير للرياضة وحدائق يحيط بكل ذلك سور عظيم . وقد شغلت حرائب حمامات كاراكالا بالقرب من رومية مساحة عظيمة من الارض .

العبيد - وتأتي تحت طبقة الاحرار الفقراء الطبقة الاخيرة وهي طبقة العبيد الذين هم في بعض البلاد معظم السكان . والسادة من الرومانيين كالتسرقين لهدنا كانوا يحبون ان يحيط بهم جمهور من العبيد . في البيت الكبير الروماني يعيش مئات من العبيد ينقسمون بحسب الخدم التي يتولونها فمنهم الموكلون بالفرس وتعهده الاواني الفضية والاعلاق والتحف ومنهم حفظة للتياب ومنهم وصائف ووصيفات ومنهم القيمون على المطبخ والحمام ومنهم رئيس المتكلم ومعاونوه ومنهم عبيد الموكب الذي يرافق سيد البيت وسيدته في التوارع ومنهم حملة المحفة (المحارة) ومنهم الخوذيون والسواس ومنهم أمناء السر والقراء والنساخ والاطباء والمربون والممثلون والموسيقيون وارباب الصناعات من كل صنف لانهم في كل بيت كبير يطحنون الدقيق ويحيكون الصوف وينسجون التياب . ومن هؤلاء العبيد من حبسوا انفسهم في المعامل يصنعون اشياء يبيعها سادتهم ويكون ربحها لهم ومنهم من يؤجرهم اصحابهم الى الخارج على انهم بناؤون او بحارة فقد كان لكراسوس خمسمائة عبد من المهندسين . وكل هؤلاء يدعون عبيد المدن .

عبيد الريف - كل ملك (نفتيش) كبير يتوفر على زراعته عصاة من العبيد فهم الحرايون والرعاة وانكرامون والبساننيون والصيادون يجعلون شراذم تؤلف كل شرذمة من عشرة اشخاص . ويلاحظهم وكيل منهم يهيم عليهم . ويرى صاحب الملك ان من دواعي اعجابه ان تخرج ارضه كل شيء فهو لا يبتاع شيئاً وكل حاجياته تلبت في ارضه وهذا مما يجعلونه من جملة التناء على الاغنياء فصاحب الارض يؤوي اليه عدداً عظيماً من عبيد الريف كما يسموهم والملك الروماني اتبه تسمية ويسمى مصيفاً (فيلا) وقد بقي اسمها فاطلق عليه اسم مدينة (فيل) مد القرون الوسطى وهو الملك الروماني القديم مكبراً

معاملة العبيد - يعامل العبيد بحسب اخلاق سيدهم فمن السادة النورين الذين اشتهروا بالانسانية سيدهم ون وسيديك وبلين فقد كانوا يطعمون عبيدهم طعاماً جيداً او يحادثونهم وربما اجلسوهم معهم على موائدهم ويسمحون ان يكون لهم اسرة وثروة صغيرة . وهناك سادة على العكس من هؤلاء عاملوا عبيدهم معاملة الحيوانات وعاقبوهم اتد العقوبات بل ربما قتلهم لهوى في النفس . والامثلة على ذلك كثيرة . فقد كان مويوس بوليوت عتيق اغسطس يطعم السلور البحري (سمك مريضة) في بركته فكسره احد عبيده آنية على غير قصد فما هو الا ان القاه في البركة ليكبر طعاماً لسمكه

وصف الفيلسوف سينيكا فظائع السادات بهذه العبارة : « اذا سعل أحد العبيد أو عطس خلال المأدبة أو طرد الذباب متهاوناً أو رمى مفتاحاً وسمع له صوت نكلب في

الاقتصاص منه وأي كلب فادا اجاب رافعاً صوته قليلاً ودلت تلاميجه وجهه على سوء خلقه أبحق لنا ان نصر به بالسياط؟ وكثيراً ما نبالغ في الصرب ونقطع له عصواً ونقلع سنناً» وهكذا رأينا الفيلسوف ايبكتيت وكان عبداً كسر مولاه ساقه . اما النساء فلم يكن أيضاً على شيء من الشفقة واليكم كيف امتدح ادفيد احدى العقائل قال . «مشطوا رأسها امامي مرات وماقط غرزت الابرة في ذراع العبد الذي يمتطها»

وما كان الرأي العام ليحول دون هذه الفظائع فقد مثل جوفال عقيلة غضبي على أحد عبيدها وهي نقول أصلبوه — وأي جريمة أتاها العبد حتى استحق هذا العذاب؟ ما انحسه ودل العبد من البشر؟ وسواء أتى امرأاً اداً ام لم يأت ناني أريد عذابه وأمر به وارادتي هي الحجة في هذا الباب

اما الشريعة فلم تكن الطف من الاحلاق فكانت في القرن الاول قبل المسيح توجب بان صاحب البيت اذا ذبحان يقتل عبيده كلهم به . ولما أريد الغاء هذا القانون خطب ترازيا أحد معتبري الفلاسفة في مجلس السيوخ مطالباً ببقاء هذا القانون .

والعبيد مطبق تحت الارض يدخله النور من نوافذ ضيقة بعيدة بحيث لا يتيسر الوصول اليها فاذا اتوا ما يغضب ساداتهم يسجنونهم فيه بالليل وفي النهار يبعثونهم ليستغلوا مقيدين بسلاسل من حديد ثقيلة . وكثير منهم من وسمت وجوههم بحديدة محماة

لم يعرف القدماء المطاحن الميكانيكية بل كانوا يطحنون الحنطة بمطاحن باليد يديرها العبيد وكان ذلك من اسقى الاعمال يندبون اليها عقوبة لهم في العادة . وكانت مطحنة قديماً مثل محبس (لومان) وقال بلوت «كان يبكي أشقياء العبيد الذين يطعمون البولانتا (سويق من دقيق الدرة) وهناك يرندوي الاسواط وقعقة السلاسل والاعلال» وبعد ثلاثة قرون أي في القرن الثاني بعد المسيح وصف القصصي اوليه داخل مطحنة بقوله: «ايها الارباب ما انعس هؤلاء المساكين من البشر فقد اسودت جلودهم وتبرقت من ضرب السياط ولا تستر ابدانهم غير خرق من قميص مدموعة جباههم مخلوقة رؤوسهم مقيدة ارجلهم مشوهة ابدانهم من النيران مقروضة جفونهم من الدخان وقد علاهم غبار الدقيق»

ولم يكن العبيد يكتبون ولذلك لانعرف ما هو رأيهم انفسهم في معاملة ساداتهم لهم . الا ان الموالي انفسهم كانوا يشعرون بحقد عبيدهم عليهم . ولما انتهى الى بلين لجون ما اصاب احد ارباب الاملاك من ذبحه في حمام بيد عبيده قال ملاحظاً : «هوذا الخطر الذي يتهددنا كلنا» . وقال كاتب آخر : «اصبح كثير من الرومان عرضة لحقد عبيدهم أكثر من حقد الظالمين»

الشركات — كان في جميع بلاد الامبراطورية في الشرق اليوناني أكثر من الغرب اللاتيني عدد كبير من الشركات مختلفة الضروب والاشكال . فمنها شركات لارباب الصناعة الواحدة وشركات للمثليين والمصارعين وشركات اديية وشركات لاجتماع السكيرين على الشراب ولبعض هذه الشركات أعضاء من الرجال الاغنياء مثل جمعيات الجبابة وكان اعضاؤها يلتزمون الاموال الاميرية . ومثل جمعيات التجار الذين يتجرون بين ايطاليا وعليا ولكن معظم تلك الجمعيات كان مؤلفاً من صعايلك القوم .

واقدر طال منع الحكومة الرومانية لهذه الجمعيات والشركات ثم تسامحت بها حتى اذا كان القرن الثالث اخذت تمد اليها يد مساعدتها ولكن الحكومة لم تمنع قط الجمعيات لدفن الموتى وكانت هذه الجمعيات ثنائف من اناس مساكين لا يستطيعون ان يقتنوا ارضاً لتكون لهم قبرا فكانوا يستركون ويدفعون اقساطا للحصول على سرب يكون مشتركاً بينهم ليدفنوا فيه امواتهم . فالمغارة او السرب المعدة لدفن الموتى هو عبارة عن بناء مقبب وفيه صفوف كثيرة من المقاصير يجعل في كل واحدة منها رفات ميت ويسمون بها برج الحمام بسبب شكلها .

وعلى هذا كان اعضاء جمعية الموتى على ثقة من الحصول على مدفن لائق بعد موتهم وقبر دائم لهم على الدهر وهو ما كانت القدماء يحرضون عليه كل الحرص ويسمون هذه الشركات لا بأسماء حرن امثلا تكون شؤماً بل يسمونها باسماء ارباب ويسمون بها شركات الصغار وكان يدخل فيها كثير من العبيد وتجعل جميع الشركات الا قليلا تحت حماية احد الارباب ليحميها (مثل جمعيات الاطباء التي اطلقوا عليها اسم اسكولاب) وما كان لكثير من هذه الشركات من عاية الا ان يتعبدوا كلهم جماعة . والحكومة لاتدر الارزاق الا على المعابد والكنهة وبعض التعائر الرسمية . وجميع الاديان الاخرى كانت منظمة على هيئة جمعيات . ولاهلها صندوقهم وكاهنهم ومصلاتهم ومذبحهم وحفلاتهم . وكانت الكنائس النصرانية اولاً شركات من هذا النوع .

واهم الشركات شركات ارباب الصناعات فكان منها في عامة المدن حتى ان العواصم كان فيها عدة شركات من نوعها واعضاؤها في العادة من ارباب الصناعة الواحدة وتسمى كل شركة باسماء صناعات اعضائها فقد كان في افيز شركة حلاجي الصوف وفي جنيف شركة الملاحين وفي ليون شركة عملة البناء . ونقبل كل شركة في اعضائها اناساً من اهل صناعة اخرى . ومن العادة ان يكون لكل شركة عبادة فتعبد رباً وتقيم عيداً للاحتفال به يحملون فيه علمه (ودامت هذه العادة في القرون الوسطى في شركات الصانع المسيحيين) وهذه

الشركة تقوم بدفن أعضائها متى ماتوا في مدافن لائقة . ولكل شركة مديران يختاران من المعلمين ويكونان في العادة وكيلا وامين صندوق ينتخبهما الاعضاء كلهم الا انه لم يكن لهما ادنى سلطة على ارباب الصناعة وما كان يكره احد على الدخول معهم

الحقوق الرومانية

دين البيوت — يعبد اعضاء كل امرة باجمعهم اجدادهم ويجتمعون حول مزار واحد فار بابهم واحدة ولهم وحدهم ان ينظروا اليها ولا يحق لاحد ان يعبد اجداد أسرة الا اذا كان من فرع اولئك الجدود . ويقام المزار الذي يجعل فيه ارباب البيت في مكان منفرد من الدار لا يقترب منه غريب . والاسرة الرومانية اتبه بكيسة صغيرة لها دينها وعبادتها لا يقبل فيهما احد غير اعضائها ولذلك تختلف كثيراً عن الاسرة الحديثة لان نظامها ديني .

الزواج — اخذ الرواج الروماني يصير احتفالاً دينياً فيسلم الاب ابنته المخطوبة الى خارج الدار فتحمل في موكب الى دار زوجها والناس يرددون كلمة مقدسة وهي : « العرس ايتها العروس » حتى اذا جاؤا بها الى دار زوجها يقدمون لها الماء والنار وهناك يقسم الزوجان بحضور ارباب الاسرة قطعة من الحلواء معمولة من الحوارى وكان يسمى الزواج اذ ذاك شركة الحلواء .

وقد اخترع الرومان منذ الزمن الاطول ضرباً من الزواج يسوغ للطبقة الوسطى فقط وهو اما ان يبيع المخطوبة احد اوليائها واقربائها بحضور شهود من قبل زوجها ويصرح هذا بانه ابتاعها على ان تكون زوجته وهذا زواج البيع واما ان تجيء الزوج فتساكن زوجها ومتى قضيا سنة معاً يعتبران متزوجين وهذا الزواج بالعادة

الرومان كاليونان يرون الزواج فرضاً دينياً والدين يأمر بان لا ندر الاسر . وعند ما يتزوج الروماني يصرح بانه اتخذ زوجته ليكون له منها اولاد . وقد طلق احد اشراف الاغنياء زوجته وكان يحبها حباً جمّاً لانه لم يرزق منها اولاداً .

المرأة — ليست المرأة الرومانية حرة اصلاً فهي في سبيبتها ملك ابوها يختار لها زوجاً واذا تزوجت يصير امرها بيد بعلمها ويقول الفقهاء انها في يده وانها مثل ابنته . وبالجملة فللمرأة سيد على الدوام بيده موتها وحياتها .

ومع هذا لم يعاملوا المرأة قط معاملة الرقيق بل هي مساوية في المكانة لزوجها ويدعونها أم الاسرة كما يدعون الرجل أبا الاسرة فهي سيدة في البيت كزوجها تسيطر على النساء الرقيقات فتكلفهن بجميع الاعمال الساقة كطحن الحب وخبز الخبز وعجنه . وتجلس في قاعة التشريفات من الدار تنسج وتحمك وتوزع الاعمال بين الاماء وتلاحظ الاولاد وتدير

شؤون البيت . وايست المرأة الرومانية كالمرأة اليونانية بميدة عن الرجال بل لتناول الطعام على المائدة مع زوجها وتستقبل الزائرين وتذهب لتناول الطعام في المدينة وتظهر امام الناس، في الحفلات وفي دور التمثيل وامام المحكمة . الا انها في العادة تكون جاهلة امية وذلك لان الرومانيين لا يهتمون بتعليم بناتهم . واهم صفة يعتبرونها في المرأة ان تكون زاهدة فاذا ماتت يكتبون على قبرها اشارة الى مدحها : « انها التزمت بيتها ولم تخرج منه وعرت الصوف »

الاولاد — الولد الروماني لاييه بمثابة ملك له وللوالد الحق في ان يعرضه في الشارع فاذا اخذه يرنيه في بيته اولاً والبنات يبقين في البيت ريثما يتزوجن وهن يغزلن ويحكن تحت ملاحظة امهاتهن والبنون يعملون في الحقول مع آبائهم ويقرنون على استعمال السلاح ليس الرومان شعباً مفضلاً في الصناعات وغاية امانهم ان يعرف ابناؤهم القراءة والكتابة والحساب وهم لا يطلبون على ذلك مزيداً فلا يعلمونهم الموسيقى ولا الشعر وبلقنونهم القناعة والصمت والحشمة في ما تلبسهم والطاعة في منازعهم .

ابو العائلة — ان من يطلق عليه اسم سيد البيت يدعو الرومان ابا الاسرة . فابو الاسرة مالك للاملاك وكاهن في عبادة الاجداد وسلطان الاسرة فهو الحاكم المتحكم في بيته يحق له ان يطلق زوجته ويطرد ابنائه وان يبيعهم ويزوجهم بدون ان يأخذ رأيهم . ويحق له ان يستأثر بما يملكونه لنفسه بل وكل ما تحمله اليه زوجته وكل ما يكسبه اولاده . اذ لا يدوخ للمرأة ولا لاولادها ان يملكوا شيئاً وبالجملة فيبده حياتهم ومماتهم اي انه قاضيهم الوحيد . ان ارتكبوا جريمة قرب الاسرة يحكم عليهم لا الحاكم .

اصدر مجلس الشيوخ (١٨٦) الروماني امره ذات يوم باعدام جميع من اشتركوا في الاحتفال بعبادة باحوس فنفذ الحكم على الرجال . اما النساء اللاتي اشتركن في الحفلة مع المجرمين فعمد المجلس الى آباء الاسرات في امرهن وهم الذين اعدوا نساءهم وبناتهم . كان الشيخ كاتون يقول « ان الزوج قاضي امرأته له ان يعمل بها ما يشاء فاذا ارتكبت غلطاً يعاقبها واذا تناولت خمرأ يحكم عليها بالاعدام واذا حانت يقتلها » ولما كان كاتالينا يكيد المكاييد لمجلس الشيوخ لاحظ احداهم ان ابنه اشترك في المكيدة فاوقفه وحاكمه فحكم عليه بالموت . وتدوم سلطة ابي الاسرة بدوام حياته والابن لا يخلص من عبوديته له حتى انه اذا اصبح قنصلاً يظل خاضعاً لسلطة ابيه . ومتى مات الاب يصبح الاولاد اصحاب بيوت اما امرأته فلا تكون حرة اصلاً بل تكون تحت سيطرة وريث زوجها بل تخضع لابنها نفسه الثملك = كانت الثروة في القرون الاولى لرومية عبارة عن ماشية وعبيد خصوصاً واللفظ الذي دلّ بعد على الدراهم معناه قطع . ويسمى المالك رب الاسرة . ومن المحتمل

ان الارض لم تكن تنتقل بالارث لان لفظة ارض عندهم تدل على ارض مساحتها فدانان وهو المكان الذي يكفي لانشاء بيت وحديقة . ولم يلبث الرومانيون ان قبلوا عادة اعتبار المالك لحقل صاحباً له وعندئذ وضع حق التملك للماشية والعبيد والاراضي والبيوت وكانوا يعرفونه بانه حق الانتفاع والتحريب (الاستعمال وسوء الاستعمال)

تم صار لهذا الحق ان يتناول كل شيء من الحاجات واللاتات والدرهم والعقود والديون وحقوق الاستمتاع . ويجب على من اراد ان يملك شيئاً ان يملكه على الصورة التي عينتها العادة . واليك ملامح كيف تجري صفقة المبيع : يضع البائع امام خمسة من الوطنيين ينوبون عن مجمع ومعهم سادس يمسك الميزان بيديه قطعة من الخحاس في هذا الميزان تعادل ثمن المبيع . فاذا كان هذا حيواناً او عبداً يمسكه البائع بيده ويقول : هذا لي بموجب القانون الروماني ابتعته بهذا الخحاس الموزون وزناً حسناً .

ثم ابتدعوا طرقاً اسهل لنقل الملك من يد الى يد فصاروا يكتبون بدفع المبيع الى المشتاع . وهذه الطرق لا تملك تملكاً رسمياً بل يكون المقتني للملك ممتعاً به ولكن هذا التمتع يحوله نفس الحقوق كما لو كان ملكاً رسمياً له .

ولصاحب الملك الحق في ان يعطي املاً كه بعده لمن يشاء واذا لم يوص بشيء من هذا القبيل يقتسم اولاده تروته واذا اراد ان يغير نظام الوراثة يكتب وصيته . وكان يجري ذلك بمجلس امام مجلس الامة زمناً طويلاً ثم اصطلحوا على صورة متكلفة في البيع كأن يبيع المالك ماله لمن يريد ان يجعله وريثاً له وانتهت الحال بان اصبحوا يكتبون بوصية مسطورة وكان يحق لصاحب الملك خلال القرون الاولى ان يوصي لمن يشاء وان لا يترك شيئاً لاولاده ثم اكره القضاة آباء الاسر بالتدريج على ان يوصوا لكل واحد من اولادهم بقسم من تروتهم فاخذ ينال كل ولد قسماً من الارث .

الواح الوصايا الاثنتا عشرة = لم يكن عند الرومان في مبداء امرهم كسائر الشعوب القديمة شرائع مكتوبة بل كانوا يجرون على عادات الاحداد اي ان كل جيل يجري في كل شأن من شؤونه كما جرى الجيل السالف . وقد سنَّ حوالي سنة ٤٥٠ عشرة احكام منتخبين شرائع كتبوها في اثني عشرة لوحة من الحجر . وكانت هذه شريعة الاثني عشرة لوحة أنشئت احكاماً موجزة شديدة قطعية وما هي الا ثقتين جاف قاس مثل الشعب النصف البربري الذي وضع له . فموجب هذه الشريعة يعاقب الساحر اذا تلا كلمات سحرية ومرت على حقله بغلة جاره . واليك حكم هذا القانون في المدين الذي لم يؤد ما عليه من دين : « اذا لم يدفع يرفع امره الى القضاء واذا عاقه المرض او السن عن الحضور يركب حصاناً او

محفة ويمهل ثلاثين يوماً فاذا لم يوف ما عليه يربطه الدائن بسيور او سلاسل وزنها ١٥ ليرة وبعد ستين يوماً يبيعه فيما وراء نهر التيبر وللدائنين اذا تعددوا ان يقطعوا المدين ارباً ارباً ولا غبن اذا قطعوا منه قليلاً او كثيراً قال شيشرون كانت شريعة الاثني عشرة لوحة منبع التقنين الروماني باسره وكان الاولاد في المدارس يستظهرونها بعد اربعة قرون من وضعها .

الاشارات في الدعاوي — لا يكفي بموجب هذا القانون الروماني القديم اتفاق الاختصاص في مسائل البيع والشراء والارت فلا يكفي لاجل احد حكم المحكمة الرومانية ان يعرض الانسان قضية بل يجب عليه ان يلفظ عدة كلمات ويقوم ببعض اشارات تقضي بها العادة وكل قضية تقام امام المحكمة يجري تمثيلها بالاشارات . فللمطالبة بشيء يمسه المدعي بيده والاحتجاج على حار رفع حائطه على جاره يرمون بحجر على هذا الحائط . وهاك ما يجري اذا اختلف اثنان في ملكية حقل . يأخذ الخصمان بايديهما كأنهما يريدان ان يتضاربا ثم يفترقان ويقول كل منهما : « اصرح بان هذا الحقل لي بموجب حقوق الرومانيين فانا ادعوك باسم محكمة القاضي الى مكان الحقل ليفصل فيه بيننا » فيأمرها القاضي ان يذهبا الى الحقل قائلاً لهما : اذهبا فهذا طريقكما امام الشهود الحاضرين . فيخطو المتخاصمان بضع خطوات كأنهما ذهبا وفي ذلك رمز الى ذهابهما . فيقول لهما احد الشهود : ارجعا . وبذلك اشارة الى انهما ذهبا الى الحقل فيقدم كل من الخصمين مدرة من التراب وهي اشارة للحقل . وهكذا تبدأ الدعوى وعندئذ يستمع القاضي للمتخاصمين . والرومانيون كسائر الشعوب القديمة لا يحسنون فهم غير ما يقع تحت انظارهم فبالمداديات يمتثلون الحق الذي لا يرى .

واقدر كان الرومان يحترمون هذه الاشكال القديمة من الاحكام من وراء الغاية فكانوا في القضاء كما هم في الدين يطيعون نص القانون دون ان يهتموا بالبحث عن معناه وعندهم ان كل دستور مقدس تجب المبالغة في تنفيذه ومن الحكم الجارية في قضاياهم ان كل ما يفوه به اللسان يكون حقاً . فاذا غلط صاحب الدعوى في ايراد مدعاه يخسر قضيته واذا اقام رجل فضيته على جاره لانه قطع له كرمه يجب ان تكون الصورة التي يوردها امام المحكمة حاوية لكلمة « شجرة » فاذا استعاض عنها بكلمة « كرم » لا يحكم له .

واحترام هذه المراسيم على اطلاقها فتح للرومانيين سبيل الوفاق الغريب في أمور كثيرة فالشريعة تقول ان الاب اذا اباع ابنه ثلاث مرات يحرر الولد من سلطة ابيه ومتى اراد روماني تحرير ابنه يبيعه ثلاث مرات متوالية وهذا العمل المضحك في بيعه يكفي لتحريره .

وكانت الشريعة تقضي قبل البداءة بحرب ان يرسل مناد ينادي بها على تخوم العدو . ولما أرادت رومية اعلان الحرب على بيروس ملك ابير الذي كانت مملكته في عبرالادرياتيكا رأت الحكومة الرومانية للقيام بهذه المصطلحات ان يتناح احد رعايا بيروس وربما كان من الابقين من الجندية حقلاً من رومية واوهموا بان هذا الحقل اصبح ارضاً من بلاد ابير وراح المنادي بلقي فيها حربة ويدعو فيها للحرب علناً . وكان الرومانيون مثل جميع الامم الفتية يعتقدون باطلاً ان للراسيم المقدسة فضيلة سحرية

الفقه — كانت شريعة الاثني عشرة لوحة والشرائع التي وضعت بعد موجرة ناقصة فكانت تعرض مسائل كثيرة لاجل لها في قانون من القوانين الموضوعة . ففي مثل هذه الاحوال الصعبة كانت العادة متبعة ان يعتمد الى الاحذ برأي بعض اشخاص استهروا بمعرفتهم في مسائل الحقوق . وكانوا من اهل الاعتبار ومنهم قناصل قدماء او احبار فيكتبون آراءهم كتابة وتسمى فتاويهم اجوبة العقلاء . ومن العادة ان يكون لهذه الاجوبة شأن وقية لان استجابها الحكماء على جانب من الاعتبار والحرمة . وقد زاد الامبراطور اغسطس بان عين بعض هؤلاء الحكماء وقرر ان تكون اجوبتهم قانوناً يعمل به . وعلى هذا صار الحقوق علماً وعلماء الحقوق او الفقهاء المشرعون يضعون القواعد الجديدة التي أصبحت سارية فنتاً بذلك علم الفقه

أمر القاضي — دعت الحال في رومية الى نصب حاكم اعلى لينفذ قواعد الحقوق المقدسة وللقنصل أو القاضي فقط ان يدير شؤون محكمة او يحقق الحقوق . واذ كان القناصل يعنون بقيادة الحيوس فهم يعمدون في العادة بالنظر في الحقوق الى القضاة . وكان في رومية قاضيان حاكمان على الاقل يفصل احدهما في المسائل التي تحدث بين الوطنيين ويسمى قاضي المدينة وينظر الآخر في الدعاوي التي تنشأ بين الوطنيين والاجانب ويسمى قاضي الاجانب وهناك محكمتان لان الغريب لا يحاكم امام محكمة الوطنيين .

وهذان القاضيان بالنظر لما لها من السلطة المطلقة يفصلان القضايا على ما يترأى لهما . بل ان قاضي الاجانب لم يكن مقيداً بقانون لان الشرائع الرومانية لم توضع الا للوطنيين الرومانيين . ولما كان كل قاض يتولى منصبه في القضاء سنة واحدة فهو يكتب عند دخوله أمراً يبين فيه القواعد التي ينوي اتباعها في الاحكام ويسمون هذا الامر امر القاضي . وبعد سنة عند ما تنتهي مدة القاضي يسقط قانونه فيحق خلفه ان يسن قانوناً مخالفاً لقانون سلفه جملة واحدة ولكن جرت العادة ان يحتفظ كل قاض بما صدر عن اسلافه من الاوامر فيدخل فيها بعض التبديلات ويضيف اليها بعض زيادات . وهكذا تجتمعت أوامر القاضي

قرونًا . ثم انتأ الامبراطور هاردن في القرن الثاني « براءة القاضي » وجعلها قانونًا مرعي الاجراء .

واذ كان هناك محكمةان منفصلتان احدهما عن الاخرى وضعت قاعدتان متباينتان وقانونان مختلفان فتتألف من القواعد المتبعة التي يجري عليها قاضي المدينة في مسائل الوطنيين الحقوق المدنية أي حقوق المدينة ومن القواعد التي يجري عليها قاضي الاجانب ثنائف حقوق الناس اي الشعوب (العربية عن رومية) فادرك القوم اذ ذاك ان عدل هذه القواعد في الحقوق وابسطها واعقلها وبالاجمال افضلها الحقوق الاجنبية وان حقوق الوطنيين المأخوذة صمن قواعد محصورة عن قدماء الرومان كان فيها خسونة وقواعد بربرية . اما حقوق الناس (الاجانب) فكان اساسها على العكس عادات التجار وعادات أناس من بلاد مختلفة زلوا رومية وهي عادات سالمة من كل سائبة ووهم وطني أخذت بكرور الايام واقراها الاحتبار قرونًا كثيرة . ورأى القوم كيف كانت الحقوق القديمة مخالفة للعقل . فقد جاء في بعض الامثال الرومانية «ان الحق الناصع هو الذي نفضه ساططة عليا ظالمة» وعلى هذا أنشأ قصاة الوطنيين يصححون القانون القديم ويحكمون باحكام العدل حتى بلغوا بالتدريج ان ينفذوا في الوطنيين نفس القواعد التي كان قاضي الاجانب يجري عليها في محكمته .

متال ذلك ان القانون الروماني يقضي ان يرت الاقارب من المذكور فقط الا ان القاضي دعا الاقارب من النساء ان يشتركن في الارت . ويقضي القانون القديم بان لا يكون المرء صاحب ملك الا اذا قام بالاحتفال في المبيع فاعترف القاضي بانه يكفى المبتاع ان ينقد البائع ثمن ما ابتاعه وان يصع يده على الملك حتى يعد مالكا - وانت ترى ان حقوق الاجانب تعلبت على الحقوق المدنية وأبطالتها

القانون المسطر - أنشئت الحقوق الرومانية على عهد الامبراطرة خاصة فاصدر الامبراطرة الاطونيون كثيرًا من الاوامر واللائح وكانت هذرسائل تصدر عن الامبراطور جوابًا عن الموظفين الذين يستطلعون طلع آرائهم فيساعدهم على القيام بهذا الاصلاح القضائي اناس من المتشرعين عندهم وظل بعض المتشرعين في أوائل القرن الثالث زمن من حسنت سيرتهم او ساءت من الامبراطرة يضعون القوانين الجديدة في الحقوق ويصلحون ما وجدوه منها قديمًا . ومن أشهرهم بانين واولبين ومودسينين و بولس فان تأليفهم هي التي كانت أساسًا للحقوق الرومانية بعد

وهذه الحقوق التي نظمت في القرن الثالث لاشبه بينها وبين الحقوق الرومانية القديمة بحال من الاحوال اذ القديمة لم تكن ترحم الضعفاء فاقببس المتشرعون افكار فلاسفة اليونان

ولا سيما الرواقيين منهم وذهبوا الى ان الحرية حق طبيعي لكل من يولد حراً أي ان
العبودية مخالفة للطبيعة ولذلك رأوا انه يحق للعبد ان يطلب انصافه حتى من سيده
وان هذا اذا قتل عبده يجب ان يعاقب عقاب القاتل وكذلك حموا الولد من ظلم ابيه
وهذا القانون الجديد هو الذي سموه بعد بالقانون المـسطور وهو في الحقيقة قانون جروا فيه
مع الفلسفة على نحو ما يأمر به العقل الباس كافة ولدا لم يبق فيه اثر للقانون الحائر المعروف
بقانون الاثني عشرة لوحة . فليس القانون الروماني الذي حكمت به بلاد الامبراطورية
باسرها زمناً طويلاً ذلك القانون الذي لم يرح بعضه داخلاً في قوانيننا بل هو قانون قدماء الرومان
وضع بحسب عادات جميع الشعوب القديمة ونسخ فيه على مثال الحكم الماثورة عن
حكماء اليونان ثم مزج كل ذلك مزيجاً واحداً وكتبه اناس من الحكماء والفقهاء الرومانيين
قروناً طويلة

النصرانية

تعليم المسيح (عليه السلام) = كان الاسرائيليون ينتظرون المسيح من نسل داود ملكاً
لهم ومخلصاً فطهر عيسى في الناصرة في ولاية صغرى من الشمال اسمها الجليل لا تكاد تعرف
بانها يهودية . ولدهن اسرة وضيعة تحترب بالحجارة . فسماه اتباعه من الروم المسيح اي
الممسوح يعنون الملك المسوح بالرب المقدس كما دعي السيد والرب والمخلص . كلنا نعرف
الديانة المسيحية . فيكني اداً ان بين ماهي التعاليم الجديدة التي نشرتها في العالم . فقد
اوصى المسيح اولاً بالمحبة فقال « انك تحب الرب الهك من كل جوارحك وفكرك وستحب
قريبك كما تحب نفسك فجماع الشريعة وتعاليم الانبياء داخله في هاتين الوصيتين »
فمن الواجب محبة الغير واسعا فهم ومتى قضى الله بين عباده يجعل على يمينه من اطعموا
الجياع وسقوا العطاس وكسوا العراة . ويقول المسيح لمن يريد اتباعه اولاً : « اذهب فبع
مالك وادفعه للفقراء ولقد كان القدماء يعتبرون للشريف والغني والشجاع هو الرجل الصالح
الا ان هذا الاسم تغير معناه منذ جاء المسيح فاصبح الرجل الصالح هو الذي يحب غيره .
فعمل الخير هو محبة الغير والسعي في نفعهم . والاحسان (وهو باللاتينية مرادف للحب)
اساس التقوى . وغدت لفظة محب مرادفة للفضة محسن . وضع المسيح تعليمه في الاحسان
بدلاً من التعليم الاسرائيلي القديم في الانتقام فقال « عرفتم بانه قيل العين بالعين والسن
بالسن اما الآن فاقول لكم اذا ضربكم احد على خدكم الايمن فقدموا له الايسر . وقيل احبوا
قريبكم وابغضوا عدوكم اما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم وافعلوا الخير مع من يبغضونكم وباركوا
لمن يضطهدونكم لتكونوا ابناء الذي في السماء الذي ينزل المطر على العادلين والظالمين

حتى ان المسيح وهو على الصليب استغفر لجلاديه فقال : اعف عنهم يا رب فانهم لا يعرفون ما هم فاعلون » .

احب المسيح الناس قاطبة . ومات لا من اجل شعب واحد بل من اجل الانسانية كلها . وما قط ميز بين الانتحاص فكلهم سواء امام الله . ولقد كانت الاديان القديمة حتى دين اسرائيل دين شعب يحتفظ به ويكتمه بعناية احتفاظه بكنز تمين دون ان تحده نفسه في تبليغه شعباً آخر فقال المسيح لتلاميذه اذهبوا اذاً وعلّموا جميع الامم .

وبعد ذلك قام بولس احد الحواريين وقرر تعليم المساواة النصرانية بقوله : « لم يبق اولون ولا آخرون كما لم يبق روم ولا يهود ولا مطهرون ولا قلم ولا برابرة ولا عبيد ولا احرار فقد اصبح المسيح هو الكل في الكل . »

كان القدماء يذهبون الى ان الثروة تعلي شأن الانسان وينظرون الى ان الكبر عاطفة شريفة فقال المسيح : « طوبى للفقراء فان لهم ملكوت السموات » « من لم يتنازل عما يملكه لا يكون تلميذاً لي » حتى انه هو ايضاً كان يتنقل من مدينة الى مدينة ولا سبد له ولا لبد وعند ما كان تلاميذه يهتمون للمستقبل كان يقول لهم « لا تقلقوا لما تأكلون ولا لما تلبسون والقوا بانظاركم الى الطيور في السماء فهي لا تزرع ولا تحصد ومع هذا فان اناكم السماوي متكفل برزقها »

وعلى المسيحي ان يحقر الثروة وان يشتد في الازدراء بالعظمة . كان تلاميذه يتنازعون ذات يوم فيمن يكون له المقام الاول في السماء فقال : « ان اعظمكم هو الذي يخدم غيره لان من يرتفع يسقط ومن يسقط يرتفع » وما زال البابا الى اليوم وهو خليفة القديس بولس يدعى بمحادم خدمة المولى . كان المسيح يؤثر ان يجتذب اليه المساكين والمرضى والنساء والاولاد بل والضعاف والمحرّومين واحتار حواريه من عامة الناس وكان يكرر على مسامعهم « تلطفوا وألّينوا قلوبكم »

ملكوت الله — كان المسيح يقول انه جاء الى الارض ليؤسس ملكوت الله . فظن اعداؤه انه طامع في ملك وعند ما صلب كتبت على صليبه هذه العبارة : « يسوع الناصرة ملك اليهود » وهذا كان خلاف ما يقصده . فقد صرح المسيح نفسه بان ملكوتي ليس في هذا الارض . فلم يجيء ليقالب الحكومات ولا ليصلح المجتمع واجاب من سأله فيما اذا كان يجب اداء الجزية للرومانيين بقوله : « ادفع ما تقيصر لقيصر وأد ما لله لله . ولذا رضي المسيح بما رآه موجوداً وعمل على تهذيب نفسه وتكميلها لا على اصلاح المجتمع ولا لاجل ان يفوز المسيحي بمروءة الله ويكون اهلاً لبلوغ ملكوته لا يقتضي له ان يقدم

النذور ويقف عند حد ما رسمته الشريعة كما فعل الفريسيون اليهود او عبدة الارباب القديمة « فان المتعبدين الحقيقيين يعبدون اباهم بالفكر والحقيقة » وكلمة المسيح هي جماع آدابهم وهي : « كونوا كاملين مثل ابيكم الذي في السموات فانه كامل »

الحواريون — عهد الى الاثني عشر حوارياً الذين كانوا ملتفين حول المسيح ان يبشروا بتعاليمه في الامم باسرها . فدعوا بالحواريين (المرسلين) سكن معظمهم القدس ودعوا الى دينهم في ارض اليهودية . وكان المنتصرة الاول من الاسرائيليين .

وكان شاول اول من دان بالنصرانية وحف يحمل تعاليم هذا الدين الى امم الشرق فقصى بولس (هو الاسم الذي اتخذه) حياته يطوف المدن اليونانية في آسيا الصغرى وبلاد اليونان ومكدونية داعياً الى الدين الجديد لا الاسرائيليين فقط بل ابناء الامم الاخرى قائلاً كنتم فيما سبق بدون المسيح بعيدين عن المحالقات والوعود وها قد النأم تتحكم بدم المسيح لانه هو لا يميز بين الشعبين وينظر اليهما كأئنهما شعب واحد . ولم يعد من حاجة ان يكون المرء اسرائيلياً حتى يتنحل النصرانية فان الامم الاخرى التي نبذتها شريعة موسى قد تقاربت فيما بينها بفضل شريعة المسيح . وهذا الامتزاج هو بصنع القديس بولس ولدا سمي رسول الامم .

كان المنتحلون للنصرانية باديء بدء من يونان آسيا الصغرى ثم ننصر كثيرون في جميع المدن الكبرى واتي زمن طويل والطائفة المسيحية في رومية ايضاً مؤلفة من ابناء يونان . فانتشر دين المسيح اولاً ببطء على نحو ما ستر بذلك المسيح بقوله : « يتبه ملكوت الله حبة من الخردل فهي اصغر الحبوب ومع هذا ينبت منها نبات اطول من جميع البقول فتؤوي طيور السماء الى ظلها » .

الكنيسة الاصلية — كان المسيحيون في جميع البلاد التي نزلوها يجتمعون للصلاة جماعة وانتاد امامدح المولى والاحتفال بالعتاء السري وهي اكلة يتناولونها بالاشتراك تذكراً لآحر اكلة للمسيح وتسمى اجتماعاتهم الكنيسة (المجلس)

ومن العادة ان يعامل المسيحيون في كنيسة واحدة بعضهم بعضاً معاملة الاخوة ويأتون بالعطايا لينفقوها على الارامل والفتراء والمرضى . واكثر رجالهم احتراماً بينهم الرهبان ومعنى ذلك القدماء يديرون شؤون الطائفة ويقومون بالفروض الدينية . ويتولى آخرون النظر في املاك الطائفة وكانوا يدعون الشمامسة (الملاحظون) تم كثرت اعمال الكنيسة حتى انقسم سواد المسيحيين الى فرقتين احدهما جماعة المكلفين بالنظر في وظائف الطائفة وسموهم رجال الكهنوت (اي خدمة الرب) والباقون هم جمهور المؤمنين وسموهم العامة (العلمانيين)

كان لكل مدينة كنيسة مستقلة فيقولون كنيسة الطاكية وكنيسة كورنت وكنيسة رومية وكلها في الحقيقة كنيسة واحدة وهي كنيسة المسيح حيث كان يربط الجميع الاعتقاد بايمان واحد . فالاعتقاد العام او الكاتوليكي كان هو المعول عليه دون سواه اما الراء الخاصة (الهرطقات والاحاد) فكان يحكم عليها بانها اوهام واعلاط .

وبقي الكتاب المقدس عند اليهود اي العهد القديم مقدساً عند المسيحيين وصار لهؤلاء كتب اخرى جمعتها الكنيسة في مصحف واحد وسمتها العهد الجديد . فالانجيل الاربعة نقص حياة المسيح والبشارة بما حمله من السلام . واعمال المرسل تذكر كيف انتشرت هذه البشارة في العالم . ورسائل الرسل هي رسائل ارسلها الحواريون الى مسيحيي العهد الاول والابوكاليبسيس (رؤيا القديس يوحنا الانجيلي او الحليان) هو ما اوحاه القديس يوحنا الى السبع كنائس في آسيا . كتبت جميع كتابات العهد الجديد باليونانية وهي اللغة التي كانت لغة المسيحيين الى اواخر القرن الثاني وقد انتشر بين المسيحيين كثير من الكتب زعموا انها مقدسة فوصتها الكنيسة كلها وسموها المزمرة

الاضطهادات — اضطهدت الديانة المسيحية منذ ظهورها فكان اليهود اعداءها الاول اضطروا الحاكم الروماني في بلادهم الى صلب المسيح ورجوا القديس اتين (الشهيد الاول) واستدوا في طلب القديس بولس وكانوا يقتلونهم ثم وقع الاضطهاد على النصرانية من الرومان فان هؤلاء كانوا ينساقون مع جميع اديان الشرق لان عبدة اوزيريس وميترا والربة الصالحة كانوا يعترفون بالاديان الرومانية مع اربابهم الا ان المسيحيين عبدة الله الحي كانوا يزدرون بالمعبودات الصغيرة القديمة بل ان الجريمة الكبرى التي تعد على المسيحيين في نظر الرومانيين انهم كانوا يأتون عبادة الامبراطور كما يعبد رب وان يحرقوا الجور على مذبح ربة رومية

وقد اصدر كثير من الامبراطرة أوامر الى ولايتهم بأمر ونهم بالقبض على المسيحيين واعدامهم . وقد كتب بلين وكان والياً في آسيا الى الامبراطور تراجان كتاباً يدل على الطريقة التي كان يعامل بها المسيحيون قال : «جريت الآن مع من اتهموا بانهم نصارى على الطريقة الآتية وهو اني أسألهم عما اذا كانوا مسيحيين فاذا اقرؤا أُعيد عليهم السؤال ثانية وبألته مهدياً اباهم بالقتل فان اصرؤا أنفذ عقوبة الاعدام عليهم مقتنعاً بان عظمهم الذي يعترفون به مهما كانت فظاعته وان عنادهم الشديد وعدم طاعتهم يستحقان العقوبة . وقد وجهت الشكوى الى كثيرين بكتب لم تذيل باسماء اصحابها فانكروا بانهم نصارى وكرروا الصلاة على الارباب الذين ذكرت اسماءها امامهم وقدموا الخمر والجور لتمثال

اتيت به عمداً مع قنائل الارباب بل انهم شتموا المسيح . ويقال ان من الصعب اكرام
النصارى الحقيقيين . ومنهم من اعترفوا بانهم نصارى ولكنهم كانوا يمتنون بان حرمتهم
وحطأهم معصوران في انهم اجتمعوا بعض ايام قبل طلوع الشمس على عبادة المسيح على انه
رب وعلى استاد الاناسيد اكراماً له وتعاهدوا بينهم مقسمين الايمانات لاعلى ارتكاب جريمة
بل على ان لا يسرقوا ولا يقتلوا ولا يرثوا ويوفوا بمهودهم . ورأيت من الصلوة للوقوف على
الحقيقة ان أعذب امرأتين أمتين دعوها حادتي الكنية بيد ابي لم اقف على شيء اللهم
الاما كان من خرافة سخيفة مبالغ فيها »

وعلى هذا فقد كانت الحكومة هي المصطهدة (١) الا ان العامة في المدن الكبرى كانوا
اكثر اضطهاداً للمسيحيين فلم يكونوا يتسامحون مع هؤلاء الذين يعبدون الها آخر غيرار بانهم
ويحتقر هذه الارباب ويرون ان انكار المسيحيين لما يعبد الرومان يحلب على العالم غضب
هذه الارباب . وكنت تسمع القوم اذا وقع قحط ومحاجة ووباء يهتفون هتافهم الذي اشتهر
امره «النصارى للاسود» والتعب يكره الحكام على النحت عن المسيحيين ومطاردتهم .

الشهداء — هلك الوف من المسيحيين في حلال قرنين ونصف بالله فيها الاضطهاد في
طول المملكة الرومانية وعرضها وكان الهاكون من كل سن وجنس وطبقة . فالودنيون
الرومانيون تضرب اعناقهم كما جرى للقديس بولس والباقيون يصلبون ويحرقون وكثيراً ما
يلقون للوحوش الكاسرة نهنهم . وادا بقوا عليهم يبعثون بهم الى الاعمال الشاقة في المناجم
وكثيراً ما كانوا يبالعون في عقاب النصارى بايجاد وسائل لاهلاكهم من كل نوع . وفي
المقتلة العظمى التي وقعت في ليون سنة ١٧٧٧ احذ المسيحيون بعد ان عدوا وسحبوا في مطبق
ضيق الى الملعب فاحذت الحيوانات الكاسرة تمزق اوصالهم ولا تقتلهم ثم اجلسوهم على كراسي
من حديد محماة بالنار . واذ قاومت فتاة من الايماء اسمها بلاندين ان تعذب على هذه
الصورة جعلوها في شبكة ووضعوها امام تور عضبان .

وكان المسيحيون يتلقون بسرور هذا التعذيب الذي يفتح لهم ابواب السموات ويرون
فيه وسيلة الى الاستشهاد علناً في حب المسيح ولذلك كانوا يسمون انفسهم بالشهداء (اي
الشهود) لا بالمتكبرين وعقوباتهم شهادة . بل انهم كانوا ينظرون الى تعذيبهم نظراً الى
قتال الالعب الاولمبية ويرون انهم كالمصارع الظافرين لون الفخار والتاج . وما يرحوا حتى
اليوم يحتفلون بعيد الشهداء واعيادهم موافقة الايام التي قتلوا فيها وكثيراً ما كان احد من

(١) نقول الكنيسة ان المسيحيين اضطهدوا مرات الاولى على عهد يرون (٦٤) والثانية

على عهد ديوكلايين (٣٠٣)

يحضرون تعذيب احد الشهداء يكتب قصته وكيفية توقيفه واسنطاقه وتعذيبه وعقوبته وهذه الكتابات على احتصارها طالحة بالعبارة وكانت تسمى اعمال الشهداء ونشرت حتى بين الطوائف البعيدة من اقصى المملكة الى اقصاها وما هي الا مرددة للمحد الذي احرزه المعترفون بالائمان الصحيح وداعية الى التعريب في الحري على مثالهم

واقف حدا حب الشهادة بالوف من المسيحيين ان يعلنوا امرهم بانفسهم ويطالبوا بالحكم عليهم وامر احد حكام آسيادات يوم بالقاء القبض على بعض المسيحيين فجاء جميع متنصرة المدينة يتقدمون للمحكمة طالبين اليها محاسنهم . فاستشاطوا الى غضباً فقتل بعضهم وطرده الآخريين قائلاً : « ارحموا اليها الاساقل ان كنتم تحرصون كثيراً على الموت فهل عندكم قبور تسعكم وحبال ثقيدكم » وكان بعض المسيحيين يدخلون المعابد ويقلبون فيها اصنام الارباب ليكوبوا على رقة من انهم يشنقون حتى قضت الحال ان تمنع الكنيسة مرات تعرض النصارى لليل الشهادة

الدياميس — كان المسيحيون ينكرون العادة القديمة في احراق الموتى فاحذوا يدفنون موتاهم كاليهود في نواويس بعد ان يكفونهم في اكفان فاحتاجوا الى قبور . واذ كانت الارض غالية الثمن حدا رل المسيحيون الى تحت الارض وحفروا في الارض الرحوة التي كانت رومية قائمة عليها دهالير طويلة وعرفاً ارضية وهناك كان المسيحيون في مقاصير احتفر وهاعلى طول الحواجز يدفنون موتاهم واداحد كل حيل يحتفر لنفسه دهالير جديدة صارت تحت الارض مع الرمن مدينة ارضية سموها الدياميس . ومثل هذه الدياميس كان في نابولي وميلان والاسكندرية الا ان اشهرها دياميس رومية . وقد فتحت في ايامنا فرأوا فيها الوفاً من القبور والكتابات المصرية وما اكتشاف هذا العالم المدفون تحت الارض اشأ فرع جديد من فروع العلوم التاريخية وهو علم الكتابات والآثار المصرية . وقد شوهد ان قاعات المدافن في الدياميس منقوشة برسوم بسيطة وصور ولكنها تمثل متاهد واحدة الاقليات وهي اما ان تصور المؤمنين من المسيحيين في الصلاة او الراعي الصالح وهو رمز للمسيح . وكانت بعض هذه القاعات اتبه بالمعابد وفيها دفنوا جثث القديسين الشهداء والمؤمنين الذين رغبوا في ان يدفنوا في جوارهم وكانوا يأتون كل سنة لتناول الاسرار . وكثيراً ما التجأ المسيحيين في رومية خلال اضطهادات القرن الثالث الى هذه الكنائس الارضية للقيام بصلواتهم او للفرار من الطلب عليهم .

قسطنطين

تغلب النصرانية — مضى القرنان الاولان للميلاد والمسيحيون ضعاف التأث في

الامبراطورية الرومانية وجمهورهم من السوق والعمل والعبيد والمعتقين والعبيد ممن يضيعون في عمار الناس بالمدن الكبرى وقد مضى زمن والطبقة العالية تُنكر وجودهم حتى ان سويتون في القرن السامي لما تكلم في تاريخ القياصرة على المسيح قال انه رجل اسمه كريستوس يلبي الاضطراب بين سكان رومية . ولما اخذ الاغنياء والادباءُ يبنون بامر الدين الجديد لم يكن ذلك منهم الا ليهروا انه ولا يدكرونه الا انه دين فقراء وجهلة . واذ حانت النصرانية لمساكين هذا العالم بان وعدتهم الحراء عن هذه الحياة في الآخرة كثر اشباعها والقائلون بالتدين بها ولم تحمل الاضطهادات دون انتشارها بل قوتها وبعثت كلمتها فقد كان المسيحيون يقولون ان دم الشهداء نذر للمسيحيين وقد ظل الاهتداء الى النصرانية ينتشر خلال القرن الثالث كله بين رجال الاسرات الكبرى لا بين الفقراء فقط وما جاءت اوائل القرن الرابع الا وقد اصبح الشرق كله اي البلاد التي نتكلم باللغة اليونانية مسيحياً باسمه وكانت هيلانة ام الامبراطور قسطنطين مسيحية فجعلتها الكنييسة في مصاف القديسات ولما زحف هذا الامبراطور على مراحمه ملك رومية وضع على علمه شارة الصليب وشعار المسيح وكانت العلبة التي كتبت له علبة للنصرانية فسمح للنصارى ان يقوموا بتعائير دينهم دون ان يعارضهم احد (بامره الصادر سنة ٣١٣) ثم اخذ يعطف عليهم حجاراً . ومع هذا لم يتحل عن الدين القديم (الوثنية) . فبينما كنت تراه يرأس مجلس اساقفة المسيحيين الاعلى كان بلقب بلقب الحبر الاعظم ويحمل على حودته مسماراً من الصليب الحقيقي وقوده منقوش عليها صورة رب الشمس . وقد انتأ في مدينة القسطنطينية كنيسة نصرانية كما انتأ معبداً تذكراً لهذه العلبة . ومضى نصف قرن كان فيه من الصعب معرفة دين المملكة الرسمي في الامبراطورية .

نظيم الكنيسة — لم يحظر في نال المسيحيين حتي في الارمان التي لهم فيها الاضطهاد ان يقابلوا كيان الامبراطورية وممذ بطل اضطهادهم اصبح اساقفتهم حلفاء الامبراطور وعندها انتظمت حالة الكنيسة المسيحية بصورة قطعية على الصورة التي بقيت عليها الى يومنا هذا . فصار لكل مدينة اسقف يقيم في الحاضرة ويحكم على المسيحيين التابعين لها وتسمى الارض الخاضعة لاسقف ابرشية . وكان في اقطار الامبراطورية الرومانية ابرشيات واساقفة على قدر ما فيها من مدن وهذا هو السبب الذي من اجله كان الاساقفة كثيرين والابرشيات صغيرة في الشرق وفي ايطاليا حيث كثر عدد المدن . وعلى العكس في مدن غالبا فانه لم يكن بين الرين والبيريه سوى ١٢٠ ابرشية ومعظمها ما عدا ابرشيات الجنوب في الامانة كلاً .

اصبحت كل ولاية مقاطعة كنائسية وسمي اسقف الماسمة اسقف المركز بعد رئيس الاساقفة . وكثيراً ما ينظر الى اسقف اعظم مدينة في بقعة باه ارقى الاساقفة في تلك الارحاء وكان اساقفة المدن الرئيسة بالترق في القدس وانطاكية والاسكندرية والاستانة يدعون بالبطاركة وفوقهم كلهم البابا اسقف رومية وهو الرئيس الاعظم في الكنيسة . وفي هذا القرن انتشت المجامع الدينية الكبرى فكان في آسيا الصغرى اولا مجامع خاصة يجتمع فيها اساقفة ناحية من النواحي وكهناتها . وفي سنة ٣٢٤ دعا قسطنطين للمرة الاولى مجمعا دينيا عاما من اهل الارض الى مدينة بيقية في آسيا الصغرى حضره ٣١٨ رجلا من رجال الكنيسة فتناقشوا في المسائل اللاهوتية واتسوا الاعتراف بايمان الكاثوليك الذي سموه قانون نيقية وما زال المسيحيون يتدونه الى اليوم في قداس كل احد . تم كتب الامراطور الى عامة الكنائس ان تمتثل ارادة المولى التي تجلت فيما اجمع عليه المجمع العام وكان هذا هو المجمع المسكوني الاول . واصبحت القرارات التي نقرها المجمع سريعة يجب على المسيحيين قاطبة ان يعملوا بها وسموها القوانين او القواعد . ويتألف من مجموع هذه القواعد القوانين الكنائسية .

الملاحدة (الهرطقة) - نشأ منذ القرن الثاني بين المسيحيين ملاحدة يحالفون في آرائهم السواد الاعظم من اساء الكنيسة . وكثيراً ما اجتمع الاساقفة في بلد ليعلنوا المؤمنين بان المذهب الجديد باطل ويكرهوا مبتدعه على الرجوع منه وادا ابى يخرجونه من الوحدة المسيحية . وقد يستحيى صاحب البدعة اعوانا يقتنعون بصحة دعوته فلا يروى الرجوع عما وافقره عليه ويظلمون يدينون بما حكم المجمع برده من الآراء . ومن هنا نشأت العداوات والفتن الشديدة بينهم وبين المسيحيين المتعلقين برأي الكنيسة (الارثوذكس) واد كان المسيحيون صاعقا ومضطهدين لم يتنازعوا بينهم الا بالكلام والكتابة ولكن لما اصحت الدلائل مسيحية كلها استحال الدراع بين المسيحيين والمخالفين منهم في بعض الآراء الى اصطهاد الملاحدة وكثيراً ما تدسب منه حروب اهلية .

وتكاد تنشأ جميع البدع في ذاك العهد بين يوزن آسيا ومصر على يد اناس من الازكياء والسفسطائيين والمجادلين وقد نشأت تلك البدع في العادة من محاولة فهم اسرار التثليث والتجسد . وكانت بدعة آريوس اقوى جميع البدع فمن مذهبه ان الله الآب خالق المسيح وليس هو مثله فحكم المجمع النيقى بتبديعه . لكن مذهبه انتشر في بلاد الشرق عامة . ومذ ذاك العهد ظل الكاثوليك والآريوسيون يتنازعون بينهم ايهم يستأثر بالسلطة في الكنيسة والحرب الاقوى يعزل وينفى ويحبس وحيانا يذبح زعماء الحزب المخالف . ومضى زمن

والقوة للآريوسيين وقد تحزب لقولهم عدة من الامبراطرة تم ان الآريوسية كانت نقوى
بكثرة دخول البرابرة في الامبراطورية وتمذهبهم بهذا المذهب ومعارضتهم لاساقفته .
وقضى الكاتوليك زهاء مائتي سنة حتى قضوا على هذا المذهب المبتدع .

اواخر ايام الامبراطورية

لما ذبح الجنود احوه قسطنطين وابناء اخته سنة ٣٣٨ املت منهم طفل في السادسة
من عمره اسمه جولين فجعله الامبراطور نسيبه في اقصي آسيا الصغرى ورباه على يد
قسيسين مسيحيين فبعت به هؤلاء الى قبر الشهداء يشتد المرامير ويتلو الكتاب المقدس
امام الشعب ولما سب رحص له بالقدوم الى الاستانة فاشأ يدرس كتب الملء الروم
وفلاسفتهم واولع باحد الفلاسفة الافلاطونيين فاصرفت نفسه عن البصرانية . واتم دروسه
في آثينا وتعلم فيها اسرار معبد الوزير سم جاهر انه من اشباع الدين القديم علماً واخذ
يحتفل بعبادة الارباب فلقبه المسيحيون بالمرتد .

كان جولين آخر من بقي حياً من الاسرة الامبراطورية واد لم يكن للامبراطور قسطنطين
وارث يرثه غير هذا اجمع امره على ان يلقبه باسم قيصر وبعث به قائداً على جيش عاليا
(٣٥٥) وكانت البرابرة قد هاجمت هذه البلاد وحاصرت عصابة من الالمانيين على مقربة من
مدينة اوتون . واذا لم يكن لجولين حبرة بالحرب انصرفت همته الى درس الفلسفة فصرف
شأه بطوله في تعلم صماعة الكر والفر واشأ يرض نفسه ويتمرن ويتلو سيرة مشاهيرة القراءة
فلما تم له ذلك حمل على الالمان في جيش صغير من المشاة الرومانيين والفرسان البرابرة
فكشبت له الطفر في الحملة الثانية في سهل بالقرب من مدينة ستراسبورغ وركب اكتاف
الالمان ورجعوا يجتازون نهر الرين (٣٥٧) وقضى جولين في عاليا ثلاث سنين اخرى وجعل
مشتاه في بلدة لوتيس حاضرة الشعب الباريزي وهي منية في جزيرة من جزر السين وكان
يدعوها «لوتيس المحبوبة» وهو اول من وصفها .

وفي هذه المدينة اتاه امر الامبراطور ان بعت اليه بقسم من جيشه الى الشرق ليقاتل
البارتيين الذين داهموا بلاد الامبراطورية فلم ير الجند ان يتعدوا عن بلادهم الى مثل تلك
القاصية وابوا ان يقاتلوا تم اخذوا جولين ورفعوه على ترس (وكان هذا الاسلوب هو الذي يجري
عليه المحاربون الجرمانيون في مبايعة ملوكهم) وحملوه وهم ينادون «جولين اعسطس» (٣٦٠)
فكتب جولين الى الامبراطور يريد ان يرضيه رصيفاً له فابى قسطنطين عليه
ذلك فرحف جولين في جيشه على القسطنطينية وكان قسطنطين قضى نحبه قبل وصوله (٣٦١)
ولما خلا الجو لجولين واصبح امبراطوراً وحده اقام في الشرق وحاول ان يعيد الدين

القديم (الونية) فارجع الى الكهنة املاكهم ومناصبهم واعاد تقديم النذور الارباب بل اصدر امره الى المسيحيين بان يرجعوا المعابد التي كانوا حولوها الى كنائس وانتأ يناهض النصرانية مباشرة واني ان يعين المسيحيين في الوظائف وطرده المعلمين المسيحيين من المدارس قائلاً انه لا يحق لهم ان يدرسوا كتباً يذكر فيها اسم الارباب وهم لا يعتقدون فيها . وسعى الى اعادة الدين القديم الى حاله بان عهد الى الكهنة ان يقرؤا على العامة مواعظ ودروساً دينية الا ان الرمن حانه فساد في حملة على الباربيين واعلمهم واصيب بسهم في احدى المعارك . وقيل انه صرح وهو يجود بنفسه «لقد علت يا عالي !» القضاء على الونية — لم يقض على دين السوق القديم لاول مرة فقد اهتدى الشرق في الحال اما في الغرب فلم يبق مسيحيون الا في المدن بل ان الامة ظلت هنا أيضاً تعبد الاصنام وذلك لان الامبراطرة الاول المسيحيين لم يريدوا ان يقصوا القضاء الاخير على دين المملكة القديم بل كانوا يحمون القسوس المسيحيين كما يحمون كهنة الارباب يرأسون المحامع الدينية وبقون اقباطاً عظاماً . وكان الامبراطور فراسين سنة ٣٨٤ اول من اذن ان يلعب بالحر الا عظموا ذم التسامح في ذاك القرن بدى باضطهاد الدين الروماني منذ عدا غير رسمي . واطيء الموقد المقدس الذي كان يشتعل في رومية منذ احد عشر قرناً وطردت الكاهنات اللاتي كن في معبد فستا يوقدن النار كما خمدت . واحتفل آخر مرة بالالعب الاولمبية في بلاد يونان سنة ٣٩٤ . وعندئذ خرج النساء في مصر من الصحراء لينقصوا مدايح الارباب المرورة ويجعلوا بقاياها في قبور انوبيس وسيرايس . وقام وارسل الاسقف السوري في مقدمة عصاة من الحند والمستعوزين فحرب معبد المستري في اومية وانتأ يجوب البلاد ويحرب المزارات فقتله الفلاحون فجعلته الكنيسة من القديسين

ثما هو الا قليل حتى لم يبق عبدة اوتان الا في القرى بأوون اليها فراراً من المراقبة وهم فلاحون ممن تقوا يعبدون الاتجار المقدسة والينايع ويجتمعون في المزارات البعيدة . واخذ المسيحيون يطلقون اسم الوثنيين (الفلاحين) على من كانوا سموهم الى ذلك العهد بالظرفاء وبقي ذاك الاسم يطلق عليهم . وهكذا استتدت الحال على الونية في ايطاليا واليا واسبانيا الى اواخر القرن الرابع وطوي بساطها تحت طي السكوت .

التنظيم الجديد في الامبراطورية

رومية والقسطنطينية — حرب الغرب وقل سكانه في القرن الثالث بما تواتر عليه من الحروب والغارات فاصبح الشرق اليوناني القسم المهم من الامبراطورية . وكان ديوكلسين قد تحلى عن رومية وجعل عاصمته في نيكوميديا في آسيا الصغرى . اما قسطنطين فتوسع

في الامر أكثر من ذلك فانتأ رومية جديدة في الشرق وكانت القسطنطينية على رأس من البحر في محل لا يفصل أوربا عن آسيا غير خليج البوسفور الضيق في ارض كثيرة الكروم والغلات وتحت سماء صافية الاديوم واشأ طواري من الروم مدينة بيزانس وكان لها من الآكام ما يجعلها سهلة على الدفاع ومرواً وها المعروف بقرن الذهب من احسن مرافئ العالم يؤوي ١٢٠٠ سفينة ويمكن سده سلسلة طولها ٢٥٠ مترًا ثلاثاً تخطاه اساطيل العدو . فهناك ألتاً قسطنطين مدينته الجديدة القسطنطينية ، مدينة قسطنطين (وجعل في اطراف السواراً عالية وانتأ فيها ساحتين اثنتين تحيط بهذا الروقة . وأنشؤا فيها قصرًا وملعبًا ودور تمثيل واقنية وحمامات ومعابد وكنيسة مسيحية

وزع قسطنطين من المدن الاخرى ما كان فيها من التمايل والقوتس البارزة المشهورة ليزين بها مدينته ولأجل اسكانها نقل اليها سكان المدن المجاورة بالقوة وقدر مكافآت والقاب تشريف للأسر الكرى التي ستقل اليها وقرر كما كان الحال في رومية توزيع الخنطة والحمر والريت على الناس وتوفير المتاهد والفرج لهم فكان تأسيس تلك العاصمة من السرعة العريية على نحو ما يجب القوم في الشرق مدأ العمل بذلك في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ٣٢٦ واحتفل بافتتاحها في ١١ ايار (مايو) سنة ٣٣٠ وأكن است بحيت تبقى على الدهر فقد صارت القسطنطينية على هجمات المهاجمين عشرة قرون و بقيت بمقام عاصمة انداً والمملكة الرومانية ترق ولا تزال الى اليوم اول مدينة في الشرق

ولما ترك الامبراطور رومية لم تعد مقرًا للحكومة وظل فيها مجلس اعيانها وان لم تعد له سلطة وبقية مزاراتها احتفالاتها كما بقيت الى اواخر القرن الرابع مركز الحزب الديني القديم . القصر - اخذ الامبراطرة الدين برلما الشرق في التمود بعاداته (١) وأنشؤا بلبسون بياباً ضافية من الحرير والقصب ويجعلون على رؤوسهم تاجاً مرصعاً بالؤلؤ ويتحجبون في قصورهم حيث كانوا يحلون على عرش من ذهب يحف بهم وزراؤهم ويفصلهم عن الناس جمهور من الحشم والخدم والموظفين والحرس . وعلى من ينال شرف الحظوة من (١) كثيراً ما يتولى الامبراطورية اثنتان احدهما في الشرق والاخرى في العرب وان تكن المملكة واحدة . فالامبراطوران وان كان احدهما ينزل الاستانة والاخر ايطاليا كانا يعنيان بان يكونا كشخص واحد . فكان القوم اذا خاطبوا احدهما يخاطبونه بالجمع فيقولون له انتم كأنتم يخاطبون الامبراطورين كليهما وهكذا انتأت عادة الخطاب بالجمع المفرد لان الناس في القديم كانوا يخاطبون بصيغة المفرد «انت» حتى الملوك والامبراطرة

مواجهتهم ان يسجد امامهم ويمرّ وجهه في الارض علامة العبادة والخضوع ويطأون عليهم القاب «المولى» و«الجلالة» ويماملونهم معاملة الارباب وكل مايمس اشخاصهم مقدس فيقولون القصر المقدس والغرفة المقدسة . ومجلس الامبراطورية المقدس والحزاة المقدسة . فكان عيش الامبراطور في الامبراطورية العربية (ايطاليا) من القرن الاول الى الثالث اشبه بحياة حاكم او قائد ام قصر الامبراطور في الامبراطورية الشرقية (القسطنطينية) فهو اشبه بقصر ملك فارس . وقد أطلق على طريقة الحكم في الامبراطورية الشرقية اسم الامبراطورية الواطئة معارضة لطريقة الحكم السالفة في القرون الثلاثة التي لقبوها بالامبراطورية العابية .

الموظفون — اصبح الموظفون اكثر عدداً مما كانوا ويحجب بالامبراطور جيش صغير من الخاصة يحرسون قصره وهناك حرس وقرنائ ووكلاء وخدم ومجلس عال وحجاب وسعاة وامناء سريّنقسمون الى اربعة مكاتب . واصبح الموظفون في الولايات اكثر سواداً ايضاً اذ رأى الامبراطور ديوكسين الولايات متسعة فقسمها الى عدة قطع في عاليها مثلاً قسم ولاية ليون الى اربع واكتين الى ثلاث . وبعد ان كان في الامبراطورية ٤٦ والياً اصبح فيها ١١٧ تم وصلوا الوظائف فجعلوا مع الولاة والوكلاء قواداً عسكريين من دوقات وكنيتية في الولايات الواقعة على التحوم .

واصبح جميع الموظفين لا تصلهم اوامر الامبراطور مباشرة فلا يحاطبون الا كبار الموظفين رؤساءهم . فيضع الولاة لقائدي حرس القصر والموظفون في الاشغال العمومية لحرس المدينة وحياة الاموال الى الكونت الذي يتولى الاعطيات المقدسة . والوكلاء الكونت المشرف على الاملاك والصباط الى موالي الاجناد وجميع موظفي القصر يرجعون الى مولى التشريفات وخدمة القصر الى رئيس العرفة المقدسة . وهو لاء الرؤساء كالوزراء وهذه الطريقة لا يصعب علينا فهمها فقد اعتدنا ان يرى موظفين وقضاة وقواداً وجباة ومهندسين على اختلاف في اعمالهم التي يتولونها ولكل واحد عمله الخاص ويرجع امرهم الى ناظر هو رئيس ديوانه . بل ان عندنا من الظارات اكثر مما في الاستانة . الا ان هذه الاداة الادارية التي ألفناها لانا نعرفها منذ الطفولة ليس فيها التباس ولا خروج عن حد الطبيعة . فقد كانت الامبراطورية الشرقية انموذجاً في هذا الباب واحفظت به المملكة البيزنطية ومن ذاك العهد حاولت جميع الحكومات المقلقة ان تنسج على منوالها لان في ذلك من التسهيل في العمل ما ينتفع به من يتولون اعمال الحكم .

المتجمع في الامبراطورية الشرقية — كانت هذه الامبراطورية هي الحد الفاصل

في تاريخ الحضارة اجتمعت فيها سلطة الحاكم الروماني المطلقة مع فخفة ملوك الشرق يتألف منها سلطة لم يكن بها عهد الى ذلك العهد . وهذه السلطة التي لم يسمع بثلاثها تأتي على كل شيء في يدها فلم يعد سكان الامبراطورية وطيبين رومانيين منذ القرن الرابع بل صاروا يدعون باللاتينية الرايا (الخاضعون) وبالرومية « العبيد » فكانوا كلهم من تم عبيد الامبراطورية ولكنهم يحتلفون في المنقام وهم درجات في الشرف الذي يوليهم اياه مولاهم ويورتونه اناءهم واليك تلك المناصب بحسب درجاتها .

- (١) اشرف الاشراف وهم الاسرة الامبراطورية
- (٢) المشاهير وهم وزراء رؤساء الدواوين
- (٣) المعترون وهم كبار ارباب المناصب
- (٤) الممدون وهم كبار الموظفين (ويدعون الاعيان)
- (٥) اهل الكمال

ولكل صاحب شأن مقامه ولقبه ووظائفه . واكثر الناس احتراماً الندماء والموظفون حتى صبح ان يدعى ذاك العهد عهد الالقاب والتشريفات . وماقط شوهد الى اي حد تبلغ السلطة المطلقة اذا دعمها الخنوف في الالقاب والميل الى ترتيب كل امر بالاكتار من القوانين وعليه فقد كانت الامبراطورية الشرقية مثالا تاما لمجتمع يدار بالآلة الصماء والحكومة فنية في ارادة فيصيرها محازت اقصى ما يتطال اليه حتى اليوم اصار السلطة المطلقة وسيكافح بعد امتناع الحرية زمناً طويلاً تلك التقاليد التي انقبتها امبراطورية الشرق .

حكومة المدينة — لم يعتن الرومان بحماية اموال الرايا بانفسهم بل كان الامبراطور يكتبي بيان الخراج المطلوب من كل ولاية (وذلك كل خمس سنين في الغالب) ويحدده كما يريد . ويعلم الوالي كل مدينة ما يجب عليها ادائه . لحكومة المدينة هي التي تقدم المبلغ المطلوب . وما دامت المدينة غنية يحبي الوالي حراجها موزعاً له بين السكان فاذا عجزوا عن الدفع يقتسم على من تولوا الخراج ان يسدوا العجز لانهم مسئولون عن الخراج وحرانة الامبراطورية لاننازل عن حقوقها .

واقدر كان منصب الحماية حتى القرن الثالث مرعونا فيه كانه من أسباب الشرف فيعد الخالي في مدينته كعضو التيوخ في رومية . واذا انتقلت البلاد يعود منصب الحماية من المناصب التي تكسر متوليها فتزدهق النفوس في توليها . فرأى الامبراطورة ان يسووا قانوناً لعقاب من يأبى جباية الخراج فصار الخالي يتولى ذلك رعم أنه ويجب على كل من يملك خمسة وعشرين فدانا من الارض ان يكون احد الجباة طوعاً أو

كرهاً . وكثير من الحياة كانوا يؤثرون ان يحرقوا عما يملكون من الاراضي ويهربوا ويدخلوا في سلك الرهبنة والخوربة او الاستخدام والحداثة . وأصدر الامبراطرة اوامرهم بالبحث عن هؤلاء الفارين وان يعادوا الى مدنها بالقوة . وقد جاء في احد القوانين المسماة اسمهم عبيد الامبراطورية

وكانت الحكومة تحاول ان تسي محاسن التيوخ في المدن على هذه الكيفية واد كانت تحرب بيوتهم بحراحتها اصح عدد الحياة اندا في قلة . وكان مجلس التيوخ يتألف على عهد الامبراطورية العربية من مئة عضو . وفي القرن الرابع سببت فتن في احدى الولايات وأمر احد الامبراطرة ان يأتيه رؤوس ثلاثة من الحياة من كل مدينة فكتب اليه الوالي « ليسع حلمكم ان يقرر ما الذي يجب ان نعمله في المدينة التي ليس فيها ثلاثة من الحياة »

المستعمرون -- وقع في الامبراطورية الرومانية مثل ما وقع في عامة المجتمعات القديمة مثل اسبارطة ويونان وايطاليا وهوان يصحاح الاحرار ويخلصهم العبيد ولم يبق في القرى ما يكفيها من الحرايين . لاحرم ان المدينة الرومانية لم تحرب بل كانت آحدة بالماء . وقد كان عدد الوطنيين في القرن الاول رها . مليون نسمة وفي القرن الثالث (٢١٢) وقد صدر أمر الامبراطور بمنح جميع سكان الامبراطورية حق الوطنية وصار الوطنيون الرومانيون يعدون بالملايين (١) وسموا استحقاق سائر سكان العالم بيد ان الحكم الروماني كان سيما في استحقاق شعوب المملكة كما استحقاقه من قبل اهل ايطاليا وكان يقضي له كثير من الخنود وكثير من العبيد

وهذا الحكم يفلح الاعبياء ويصعب على صغار ارباب الاملاك ان يقفوا امام الكبراء مستخدمون في الحداثة او يهربون بيوتهم بأيديهم . ويقضي صاحب الاملاك الواسعة اراضيهم حتى آخر من لم يبق في بعض البلاد غير املاك واسعة يحرثها العبيد . وهؤلاء السكان من العبيد لا تجددون فاذا عرض عارض من العوارض المألوفة اذ داك من مثل ونا وحرب وعارة برارة وهلاك جمهور من الحرايين في احدى الاملاك تسمى الارض نورا

خلت القرى على التدرج ولا سيما ما كان منها على التحوم من الناس ولم يبق سكان الا في المدن بل صار في عدة انحاء من المملكة قفار حقيقية حلت من السكان والعمران

(١) كان سكان المملكة يدعون كلهم بالرومانيين منذ ذلك العهد ولم يدخل البرارة الى عاليا لم يحدوا فيها عاليا بل رومانيون حتى كان الشعب في الشرق حيث كان السكان يتكلمون اليونانية يدعى الى عهد الفتح العثماني بالشعب الروماني وما رالت الى اليوم بلاد الاستانة تدعى روم الي

ماشأ الامبراطرة يسكنون فيها عصابات من البربر ممن صربوهم وأسروهم ليحيوا بهم
موات تلك القرى . الا ان هؤلاء البرابرة لا يملكون الاراضي بل يستعمرونها فقط مثل
الهيلوتيين في اسبارطة ويقصى عليهم ان يبقوا في الارض التي أرسلوا فيها لا يفارقونها ولا
اولادهم بحال يؤدون الى صاحب الارض مالا مقررا ثم نم كانوا مستأجرين الى الابد
بالقوة . وليس هذا النظام جديدا بل كان في ايطاليا على عهد الامبراطورية الشرقية
أناس من الطواريء من الاحرار الفقراء قيدوا انفسهم في خدمة صاحب ملك عظيم
ليناالوا منه أرضا يررعونها . وراد سواد هؤلاء الطواريء زيادة كبرى لما صمموا اليهم
الاسرى من البربر

وهذه الطريقة الشديدة لم تكف في احياء امة لان اولئك الحرايين كانوا يفرون
او يهلكون وفي القرن الخامس بعد مرور الحيوش العطشى من المحربين (داكيز واتيلا)
كان في اراضي المملكة فراخ كبير تعذر على الامبراطرة ان يسدوه . وبقي في غالبا
وا. بانيا وايطاليا وفي العرب كله حيز من الاراضي بورا اقلية العاملين فيها واقفرت ولايات
التخوم وقد اصحح الشعب الروماني في جميع حوض الطونة من سويسرا الى البلقان منذ
القرن السادس فلم يكن في تلك البلاد الا اثم حرمانية او سلافية . حتى ان الفرنك لم
يجدوا في الملحيك غير فقر .

الدرارة في الجيش الروماني — هذه الاراضي الحالية تستدعي سكانا جديدا وكان
الدرارة يحاولون على الدوام ان تحطوها وما دام للحكومة الرومانية بعض جيش لا يصعب
عليها ان تردهم على اعتناهم . الا ان الامر في التخميد صار الى الصعوبة كايحاد المال . وألف
سكان الامبراطورية حياة السكون ولم يعودوا يهتمون بخدمه الخدمة . حتى اضطرت
الحكومة ان تطلب حندا من كبار ارباب الاملاك فيأخذ هؤلاء بعض الطواريء الذين
يعملون في اراضيهم وكان هؤلاء المساكين المأخوذين بالقوة من وراء محاريبهم حندا
غير كفوف للقتال . وعدت الحمود منذ القرن الرابع من الصعف بحيث لا تستطيع حمل
الدروع واستعاضت عن الحمود القمصات

واصبح القواد يؤثرون ان يستعملوا الخاربين من البربر لانهم يقاتلون بشدة على الاقل
وقد جندت الامبراطورية في خدمتها مدد من حمودا من الجرمايين يتناولون جرايات
ويقاتلون بأسلحتهم وكان اكثرهم من الفرسان واحد امبراطرة الرومان في القرن الرابع
يحمدون منهم عصابات رمتها يدلون مع سائهم واولادهم وخدمهم في اراض يهبونهم اياها
على سبيل الجراية . ويحتفظ هؤلاء المحاربون انثارلون في ارض رومانية بالغتهم وعاداتهم

وسلاحهم وزعمائهم ويدعون «المخالفين» وبلغ بالامبراطور انه اخذ يقبل منهم في جيشه
تعبوياً برمتها مثل الوز يغوت والبور عند وكانوا اجتازوا التحوم بالقوة احياناً ثم آثروا ان
يكونوا في خدمته على ان يقاتلوه . فأصحت ادراك جهوش رومانية مؤلفة من شعوب بربرية
يقودها قائد بربري . ولقد كان الجيش الروماني الذي رد غارة اتيلا سنة ٤٥١ مؤلفاً من
الوريغوت والفرنك والبورتمند وصار كثير من القواد الرومان منذ القرن الرابع (سيلفانوس
وار يوكاست) ومعظمهم في القرن الخامس (مثل ستيلاكون ورسمير وادواكر) من اصل بربري
ولم تعد الامبراطورية الرومانية محمية الا بأناس من المحاربين من الدارورة فاحتلها بعد انهاء جنسهم



To: www.al-mostafa.com